براءة ظُلمه

(الجزء الأول)

الكتاب: براءة ظُلمه.

المؤلف: رحمة نبيل.

الغلاف: علي إيهاب.

رقم الإيداع: 10036

الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6812 – 94 - 5

المراجعة اللغوية: مكتب مدينة الكتب للخدمات.

الإخراج الفني: دار المدينة للنشر والتوزيع والترجمة.

رئيس مجلس الإدارة: محمود عادل محمود

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز لأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع أي جزء من الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو كان أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر.

العنوان4 ح جامع بلال– الشرابية - القاهرة

البريد الإلكتروني: Citybooks20@gmail.com

رواية

براءة ظُلمه

(الجزء الأول)

رحمة نبيل

المدينة
للنشر والتوزيع

إهداء

إهداء إلى من شاركتني آلامي واوجاعي.. إلى أمي.

فاعذريني غاليتي فلن توفيكِ بعض السطور حقك.

***

إهداء لأبي الذي كان خير عون وسند لي منذ بدأ حياتي.

***

إهداء لتلك الصديقة التي شاركتني دموعي وضحكاتي شاركتني كل لحظة من لحظات حياتي.

***

إهداء لمن تطيب بهم الأوقات، أصدقاء اليوم وكل يوم، من تحلو معهم الضحكة ويطيب بهم الحديث.

***

إهداء لأصدقاء بل أخوة تحطمت معهم مقولة (الأصدقاء هم من استمروا معك سنين وسنين) لكن عفوا فمنذ يومي الأول معهم اضحوا لي عالما.

***

إهداء لصديقه ساندتني منذ خطوت أولى خطواتي في هذا الطريق.

***

إهداء لشريكتي في الوجدان، ولتعلما أنني لطالما كنت فخورة بصداقتنا وأكثر من فخورة بكم بعد أن كنتم يومًا من الكتاب المفضلين لي، اضحيتم الآن أقرب لي من نفسي.

***

إهداء لكلًا من أختي وأبنة عمي، لن أنسى دعمكما يوماً.

***

وأخيرًا إهداء لكل من أسعدت قلبي يومًا بكلمة تشجيع أو دعم، لم تكونوا يومًا مجرد متابعين أو جمهور بل كنتم ويشهد الله على كلامي أكثر من أسرة، أسرة كبيرة أفتخر دائما بامتلاكها.

شكرا لكم.

المقدمة

"لطالما تستهوى النفس سجنها"

للوهلة الأولى قد تظن أن تلك المقولة ما هي سوى مجرد هراء، ولكن لحظة لتفكر في الأمر ثواني فقط، ستجد أنها أكثر المقولات صدقًا، فلطالما كنا نفضل الظلام عن النور، نستأنس للحزن أكثر من الفرح، نرتاح بالبكاء أكثر من الضحك، نميل للأسود أكثر من الأبيض، حتى أننا نصبناه ملكاً على عرش الألوان، لذا لا تتعجب عندما أخبرك أن النفس تستهوى سجنها طالما فضلت الجانب المظلم فما المانع من أن تألف سجنها؟؟

عندما تسأل شخص ما هل تفضل السجن أم الحرية؟

تكون إجابته دون تفكير هي (الحرية بالطبع).

ولكن إذا فكر ولو للثانية واحدة سيعلم أن الإجابة الصحيحة هي (السجن).

شيدنا سجون لأنفسنا وعشنا بها لسنوات وسنوات حتى ألفناها ولم نعد نتقبل الحرية، عشقنا جدران تلك السجون التي بنيناها من الوحدة أو الشعور بالذنب أو الكره أو الخوف، لا يهم ما هو السجن الذي تسجن نفسك به، فسيظل بالنهاية سجن، وأبشع أنواع السجون هو سجن الظُلم، أن تظلم نفسك فتكون القاضي والجلاد وتحكم على نفسك

بالسجن الأبدي، فهل ستظل معتزلًا العالم داخل جدران سجنك إذا ما وأتتك الفرصة للتحرر أم تنبذ ذلك العفو وتتقدم بطلب لمدّ فترة سجنك؟

ماذا إن اقتحم أحدهم سجنك الخاص وعبث بقوانينك التي وضعتها لنفسك؟

ماذا إن فتح نوافذ ذاك السجن ليبدد ظلامه؟؟

ماذا إن اقتحم ذلك الشخص قلبك بتصرفاته المنافية لتقاليد سجنك العتيقة؟؟

ماذا إن جعل الضحكات ترنّ في جدران سجنك التي اعتادت صوت الصراخ والبكاء فقط؟؟

ماذا إن مدّ يده لك بتصريح براءة من سجنك ذاك؟؟

هل ستقبل تصريح البراءة للتحرر من ظُلمك؟؟

أم.....؟؟

***

(الفصل الأول)

هدوء شديد يعم الأجواء لا تسمع سوى صوت هرير الرياح وكأنها همسات تحاول إيصال رسالة لك بلغتها الخاصة، كما أن هناك بعض أصوات الحيوانات الليلية بضجيجها المعتاد، وسط هذا وذاك في صحراء سيناء نجد أشباح سوداء تتحرك بسرعة كبيرة لا تتداركها العين بسهولة، قد تبدو للرائي أنها مجرد خيالات، لكن إذا دققت الرؤية جيدا في هذا الظلام تلاحظ أنها ليست مجرد خيالات بل هي أجساد لأشخاص غير واضحي الملامح.

تقدمت تلك المجموعة من الأشخاص في خفة شديدة وتنظيم عالي جدا نحو منطقة كثيفة الأشجار، بدأ أحد هؤلاء الأشخاص الإشارة بيده بحركات معينة لإيصال رسالة لمن معه، وبالفعل بدأت المجموعة المصاحبة له في التحرك بحركات مدروسة وبدأ كلٌ منهم في إتخاذ مكان بعيد عن الأعين .

عم صمت طويل، ومازالت تلك الأصوات المعروفة في مثل هذا الوقت من الليل تتردد في الأذان وكأنها ترغب في أن تشعرهم بالأنس ، ثواني وصدرت إشارة خاصة من أحد الرجال والذي يبدو أنه قائدهم، في خفة معتادة منهم تقدموا واحدًا تلو الاخر نحو أحد المنازل الصغيرة التي تتوسط تلك الصحراء، نظر الجميع لبعضهم البعض كأنهم يتبادلون رسالة مشفرة، عندما اقتربوا واصبحوا أمام المنزل مباشرة، أصدر القائد

بعض الأوامر من خلال الإشارة، لحظات وانقسمت المجموعة لمجموعات صغيرة قامت بتطويق ذلك المنزل بمهارة وحرفية تنم عن تدريبات مكثفة.

نظر القائد في الانحاء جيدا ثم رفع يده وقام بحركة خاصة فهمها من معه، وفي ثواني كانوا قد اقتحموا ذلك المنزل مانعين أحد من المقاومة، وبمهارة عالية قامت تلك القوات بمداهمة ذلك المنزل وامساك كل من به دون أن يعطوا لهم الفرصة للمقاومة. في إحدى الغرف ذلك المنزل يوجد رجل يبدو عليه التوتر والقلق هو ومن معه وهم يسمعون لأصوات تبادل النار في الخارج، لكن لم يتسنى لهم حتى التفكير في طريقة للهرب حتى وجدوا رصاصات تخترق اجسادهم لتصرعهم أرضًا وكان ذلك بواسطة قائد تلك الكتيبة الذي هبط من أعلى المنزل وهو يتعلق في النافذة بقدمه ويحمل سلاحه بيده، دخل أفراد فرقته للغرفة حاملين تلك الأجساد للخارج وتحدث أحدهم:

- تمام يا فندم تم مداهمة كل اللي في المكان

تحدث ذلك الرجل الذي كان يتعلق في النافذة بعدما هبط ودخل للغرفة :

- والرحماني؟

اقترب منه ذلك الجندي قائلا بنبرة تبدو للمستمع جامده دون أي مشاعر واضحة :

- اتقبض عليه يافندم بس تمت إصابته أثناء الاشتباك

تحدث القائد متجها لخارج الغرفة وخلفه ذلك الجندي :

- لازم نعالجه يا مصطفى الرحماني لو مات دلوقتي مش هنعرف منه موقع الباقي

تحدث المدعو مصطفى بنبرة هادئة :

- بمجرد رجعونا للمقر هيتم علاجه يا زين باشا

هز زين (القائد) رأسه بإيجاب قائلًا بنبرة باردة بعض الشيء :

- اجمع الجنود عشان هنرجع للمقر

بعيدا عن ذلك المكان حيث إحدى القرى الريفية النائية، كان جميع من بالقرية يجتمع فى إحدى الساحات وتعلو أصواتهم في ضوضاء مزعجة حتى قاطع تلك الضوضاء صوت عالي زاجرًا إياهم في حدة :

جرا ايه منك ليه، اسكتوا شوية خليني اعرف اتكلم

صاح أحد الرجال في اعتراض وخوف :

- طب وبعد ما نسكت يا عمدة، هنفضل طول عمرنا نسكت نسكت لغاية ما كل يوم ينقص مننا بنت واحنا مش عارفين بيروحوا فين وإذا كانوا عايشين ولا ميتين

صمت ذلك الرجل لتعلو الهمهمات مجددا حتى قاطعها صوت نسائي حاد :

- كله من خوفكم، مش فالحين بس غير في الندب، ما هو لو كل راجل منكم بدأ بنفسه يدور ورا الموضوع كان زمان كل واحد معاه بنته في حضنه، بس نقول ايه الخوف وحش برضو.

بدا الضيق واضحا على وجوه الرجال من حديث تلك الفتاة ولم يتحدث منهم أحد فهي محقة الجميع هنا خائف مما يحدث

تحدثت إحدى النساء صائحة بنبرة ساخرة :

- طبعا ما انتِ مش خايفة ياست براءة أصل النداهة مش بتاخد غير البنات الصغيرة، إنما إنتِ خلاص مبقاش عليكي خوف بعد ما قربتي تكسري التلاتين

ابتسمت براءة بتهكم من حديثها ثم تقدمت منها :

- طب ما دي ميزة يا ام سلامة ولا إنتِ ايه رأيك

ثم قالت ساخرة من اعتقادهم الذي ما يزالون مصرين عليه :

- بعدين نداهة ايه اللي انتم مصدقين إنها بتاخد بناتكم، والله جديدة دي يعني على حسب معرفتي إن النداهه كانت بتاخد رجالة بس

ثم صمتت وهى تتطلع لتلك الأوجه وبعدها هتفت بنبرة ساخرة :

- يكونش النداهة الراجل استلم الشيفت منها؟

مش بعيدة والله، بس تصدقوا النداهة ده طلع عنده مزاج بيختار البنات الصغيرة الحلوة.

تحدث أحد الرجال معلقا على حديث براءة :

- قصدك ايه يا ست براءة؟ وضحي كلامك.

نظرت براءة للجميع ثم صاحت بصوت عالي ليصل لهم :

- قصدي واضح، بس انتم اللي مش عايزين تشوفوه، أو خايفين تشوفوه.

تحدث العمدة وهو ينظر لجميع الأوجه جيدا بنبرة واثقة :

- كله يرجع على بيته وقريب هتكون كل بنت في حضن أهلها.

نظرت براءة بتعجب لوالدها (العمدة) ثم اقتربت منه وهمست له بتعجب :

- انت تعرف حاجه ومخبي عليا يا رياض

نظر لها رياض بحاجب مرفوع ثم لوى فمه بضيق من اصرارها على مناداته باسمه مجردًا :

- ياختي ولا عرفت حاجة ولا نيلة انا بس عايز وقت أفكر

نظرت له براءة قليلا ثم همست بقلق تنظر للجميع الذين يراقبون في ترقب :

- شكلك هتتخلع يا رياض قريب و القرية هتتبلي بفرج ويبقى هو العمدة

فجأة وجدوا أحد الرجال يمدُ رأسه بينهم يتمتم ببسمة خبيثة :

- وفرج موافق

نظرت براءة لفرج (عمها الأصغر) ثم قالت ببسمة وهى تبعد وجهه :

- بس يافرج بس يا حبيبي.

زفر رياض بضيق من أفعال أخيه الأصغر وابنته ثم هتف صائحًا في ذلك الجمع الغفير :

- مستنين ايه يلا كل واحد يروح لمصلحته، والموضوع ده انا هحله قولتلكم، ايه مفيش ثقة فيا ولا إيه؟؟

وضعت براءة يدها على فمها وهى تكتم ضحكتها وتقول :

- بلاش الثقة دي بس يا رياض احسن يعملوا معاك زي ما عملوا في طير انت مع احمد مكي لما بقى الكبير ويجيبوا شعل ويقولوا الكبير لازم يرحل .

نظر لها رياض بحنق ولكن قاطع نظراته حديث فرج بسخرية من براءة:

- طير انت ايه والكبير ايه، ايه العبث بتاعك ده

تحدث رياض بتذمر يساند أخيه الأصغر :

- قولها عشان خلاص جبت أخري.

نظر له فرج وهو يهز رأسه قائلا :

- منا بقول اهو.

ثم أعاد نظره لبراءة وقال بجدية كبيرة :

- ما تقولي فيلم "شيء من الخوف" احسن بدل اللفة دي.

وضعت براءة يدها على ذقنها بتفكير في حديث فرج وكأنه قال مسألة حسابية تحتاج للتفكير :

- الاه، مش فيلم "شيء من الخوف" ده هو بتاع جواز عتريس من فؤادة باطل.

اقترب منها فرج قائلا بنبرته الجدية :

- آه هو بس المفروض ان في المشهد ده لماااا

قاطعهم رياض بنبرة مرعبة :

- لو ممشيتوش من خلقتي إنتم الاتنين انا هعلقكم على أقرب نخلة، اخفوا من وشي مش ناقصة قرف على المسا.

ركضت براءة بعيدا عن والدها وتبعها فرج تجنبا لغضب أخيه الاكبر بينما مسح رياض وجهه بضيق وهو يهمس :

- يارب الصبر من عندك يارب، يعني ميبقاش بنتي واخويا.

أنهى رياض حديثه ثم مد بصره لتلك الرقعة التي تقع على بداية القرية و التي تتميز بكثرة بالأراضي الزراعية، و كل شهر تبتلع فتاة من قريتهم على حسب أقوال المزارعين، فمنهم من يقول أنها النداهة، ومنهم من يظن أنها لعنة قد أصابت القرية ومنهم من يرى أن الفتيات هى من تهرب بعيدا، كلها أقوال ولكن أين الحقيقة؟ لا أحد يدري

بعد مرور شهر من تلك الاحداث :

كان يجلس على الاريكة الخاصة به يمسك كوب من الحليب الساخن ويتناوله بتلذذ يحمل بين يديه إحدى الروايات التي قد ابتاعها من مكتبة بجوار منزله، بدأ يقرأ الرواية بصوت عالي :

- كما أن البطل يتميز بطوله الفارع وقامته الممشوقة، ذو عضلات بارزة

قاطع قراءته للرواية نزول ابنه الوحيد على درج المنزل وهو يتثاءب بنعاس فدقق عزيز النظر بابنه بعدم تصديق وبسمة منبهرة ونظر للرواية مجددا يعدد الصفات ويطبقها على ابنه :

- طول فارع، قامة ممشوقة، عضلات بارزة

كان عزيز يقرأ وهو يرمق ابنه بنظرات متفحصة كأنه يتأكد من امتلاك ابنه لهذه الصفات ثم قال ببسمة متحمسة :

- الاه، هما يعرفوا زين ولا إيه؟؟

اقترب زين من والده يجلس بجواره قائلا ببسمة :

- صباح الخير يا عزيز، بتعمل ايه؟

نظر له عزيز بدقة يقول موضحا :

- بقرأ رواية؟

ترك زين كوب الماء الذي كان يشرب منه بتعجب :

- رواية؟ وده من امتى يا عزيز هو إنت اعتزلت افلام الكرتون؟؟

زفر عزيز بضيق ثم القى الرواية على الطاولة وقال بتذمر :

- انهاردة الجمعة ومفيش حلقات كرتون، والراوية دي شوفتها في المكتبة اللي جنبنا فعجبتني، وقولت اجيبها اتسلى بيها انهاردة.

ضحك زين بخفوت على والده وتصرفاته الطفولية بعض الشئ :

- ماشي يا زيزو، هطلع انا اخد شاور واجي نقعد سوا بما اننا اجازة انهاردة.

هز عزيز رأسه بموافقة، ثم قال متسائلا :

- صحيح انت رجعت امتى من المهمة؟؟

نظر له زين ثم تذكر تلك المهمة التي انتهى منها تماما منذ يومان وقد نجحت بامتياز واستطاع فيها القضاء على إحدى بؤر الإرهاب.

خرج زين من تفكيره ذلك على صوت والده الذي قال صائحًا بنزق :

- ها قولت ايه؟؟

نظر له زين بانتباه لحديثه ثم هتف متسائلا :

- في إيه؟

اقترب منه فرج ببسمة بريئة ورمش بعينه عدة مرات وقال مترجيًا ابنه:

- هتتجوز سامنثا صح؟؟ كان باين انها عجبتك أخر مرة.

ابتسم زين بسخرية على حديث والده ثم اقترب منه وقال وهو يربت على كتفه :

- عزيز يا حبيبي، ريح قلبك شوية يا غالي عشان جواز مش هتجوز وده لسبب بسيط وانت عارفه كويس، دلوقتي بقى سيبني اخلص واجيلك.

أنهى زين حديثه صاعدا وهو يترك خلفه والده الذي قال بحنق شديد وهو يعود لروايته لعله يجد بها حلًا :

- والله بكرة تيجي اللي تديك بالجذمة وتخليك تقول حقي برقبتي

فجأة سمع عزيز صوت رنين الباب نهض ليفتحه لكن وجد زين يركض على الدرج هابطا بسرعة يسبقه للباب مرددا :

لا استريح انت يا حبيبي انا اللي هفتح

لطم عزيز خده برعب وتراجع بسرعة يبحث عن مكان يختبئ فيه ثم تذكر المطبخ فركض له يدور بجنون باحثا عن أي مكان يتوارى فيه عن أعين زين الذي يصرخ بغضب مناديا إياه :

- اطلع يا عزيز يا حبيبي مش هعمل حاجة ده إحنا هنتفاهم بس يا غالي، تعالى بس فهمني قولي الحجات دي بتاعة ايه؟

نظر عزيز حوله برعب لا يجد أي مكان يختبئ به فقال :

- مفيش فتحة تهوية ولا خزنة مؤن حتى مين الغبي اللي عمل المطبخ ده؟

سمع صوت من خلفه يقول ساخرا :

- انت يا حبيبي اللي عامل ديكور الفيلا دي كلها

انتفض عزيز صارخا وهو يقول :

- زين حبيبي دي شوية ضروريات وطلبتها مش اكتر يعني

ابتسم زين وهو يرفع امامه الحقيبة التي أتى بها عامل التوصيل قائلا ببسمة باردة :

- ضروريات؟؟؟ فعلا؟؟ طب نشوف الضروريات مع بعض؟

ابتسم عزيز بغباء وقد ظن أن ابنه يتحدث بجدية واقترب منه بهدوء فأفرغ زين محتويات الحقيبة على طاولة المطبخ وجلس وامامه عزيز ثم أخذ يتفحص محتويات الحقيبة قائلا :

- الله ساعة بن تن، إيه الجمال ده!!

عزيز ببسمة ساذجة وهو ينزعها من يد ابنه قائلا :

- ومش بس كده، بص دي بتعمل أصوات وبتنور كمان

قال زين بأنبهار مصطنع :

- سبحان الله بتنور كمان مش مصدق بجد، ويخلق ما لا تعلمون

هز عزيز رأسه ببسمة فأكمل زين يتفحص الباقي هتف بانبهار مصطنع قائلا :

- لالا مش معقول اللي انا شايفه ده، اكيد مش اللي في بالي

هز عزيز رأسه يتفاخر قائلا :

- هو فعلا اللي في بالك

ابتسم زين ثم هتف بعدم تصديق مصطنع :

- يا راجل قول كلام غير ده، إزاى عرفت تجيب طربوش الفار الطباخ انت مش طبيعي يا جدع

تحدث عزيز ببسمة وفخر كما لو انه أنجز مهمة مستحيلة :

- هو كان فعلا صعب اجيبه بس في الاخر قدرت ده كله بسبب الاصرار والعزيمة

هز زين راسه ثم اكمل فحص وفجأة وضع يده على فمه وهو يشهق بعنف :

- لا لا ده بقى اللي مستحيل، هذا ما لم نسمع به من قبل

ارجع عزيز ظهره للخلف مردفا بفخر كبير :

- تعرف كلفتني كام دي عشان اقدر اجيبها،بس مستخسرتش فيها حاجة

زين وهو ينظر لما بيده ويهز رأسه مقتنعا :

- آه طبعا فردة جذمة سندريلا اكيد لازم تجيبها بصعوبة، انا مش عارف ازاى كنا عايشين من غير الحجات دي بجد؟

ابتسم عزيز لظنه أن ابنه اقتنع بمشترياته الثمينة من وجهة نظره، فقال زين :

- بس تعرف نسيت حاجة مهمة

انتفض عزيز بفزع يتفحص الحقيبة جيدا :

- ايه هو نسى حاجة ولا ايه؟

قال زين وهو يضرب الطاولة بعنف صارخا :

- نسيت سيف الساموراى عشان ترشقني بيه في قلبي وتريحني او تشقني نصين ارحم من الغلب اللي أنا عايش فيه، خدها مني كلمة اخرتنا انا وانت هنقعد بالجذمة دي (حاملا حذاء سندريلا) ونشحت فيها قدام الجامع يا عزيز.

ثم تركه ورحل غاصبا فقال عزيز بعدم فهم :

- هو زعلان ليه، يكونش عايز سيف الساموراى بجد ومكسوف يطلبه

ثم نهض قائلا بلهفة وبسمة :

- هروح اطلبه ليه وبالمرة اطلب التليفون بتاع الجاسوسات.

في تلك القرية حيث الجميع مستيقظ منذ الصباح الباكر منهم من اتجه لعمله ومنهم من اتجه لمدرسته ومنهم من شرع ينهي واجباته.

في مدرسة القرية كانت تقف في الفصل تنظر للطلاب بينما خلفها على الحائط كانت تعلق أحد الأطفال :

- نجول تاني كلام أثناء الشرج ممنوع، اكل أثناء الشرح ممنوع

رفع أحد الطلاب يده قائلا بسخرية :

- ميس اتنفس أثناء الشرح عادي

قالت براءة ردا على سخريته :

- يكون أفضل لو عشت على الطاقة الشمسية

لاحظت نظرات أحد الصبية لفتاة ما فضربت بيدها على المكتب امامه تقول بتحذير :

- بصبصة ولقلقة ممنوع

تحدث أحد الصبية يلوي فمه متذمرا من كل تلك القواعد التي تكبت حريتهم كما يظن :

- هو كله ممنوع ممنوع؟؟ ده حرام

ابتسمت براءة تربع يدها وتنظر له نظره مستفزة :

- اعتراض على كلامي ممنوع يا ابو دومة

قال ذلك الصبى والذي يناديه الجميع ابو دومة :

- بس ده ظلم وقهر وكبت للحريات، احنا بشكوى لحقوق الطفل نوديكي ورا الشمس

تقدمت منه براءة وحملته من ثيابه تقول ببسمة باردة :

- ده الطفل انت مالك ومال الطفل ها؟؟ مش قولنا نبطل ناخد كل حاجه على نفسنا؟؟ وبعدين انا ظالمة وريني هتعمل ايه؟؟

نظر لها ينفخ خديه بغيظ شديد ثم صاح متذمرًا:

- هعمل ايه يعني، لاملك سوى الدعاء

انزلته براءة تبتسم بانتصار ثم وقفت حيث كانت تقف سابقا وأكملت حديثها :

- هنبدأها بمشاكل هعلقكوا زى الاخ اللي ورا ده لغاية ما يبان ليكم صاحب فاهمين؟

هز الجميع رأسه بسرعة بينما ابتسمت هي لهم ثم اتجهت لذلك الطفل الذي تعلقه وانزلته بحذر :

- المرة دي كانت ربع ساعة يا علي مرة تانية هخليك لغاية الفسحة ماشي؟؟

دخل علي للمقعد الخاص به وهو يلوح بيده دلالة لعدم اهتمامه بينما نظرت له براءة بصدمة و عدم تصديق تقلد حركة يده :

- ده بيشوح ليا، واد انت تعالى هنا ياض.

في نفس الوقت كان أحد الأطفال يركض في ممر المدرسة يقول بصوت عالي :

- عربية البسكوت جات

سريعا نهض علي (الذي كانت تعلقه) وخرج من الفصل ليحضر البسكوت حيث انه مكلف بجلب البسكوت لتوزيعه على رفاقه، عاد

علي وهو يحمل كرتونة كبيرة من البسكوت يهم بتوزيعها متجاهلا براءة التي تقف في منتصف الفصل ترمقه بتشنج ثم اقتربت منه تقول بعنف :

- انت استأذنت وانت نازل تجيب البسكوت؟

قال علي بلا مبالاة جعلتها تصدم :

- لا

بهتت براءة من ردة السريع ذاك وتمتمت بصوت منخفض لم يصل لاحد:

- ايه المفاجأة دي؟؟

ثم نظرت له تدعي الصلابة والجدية :

- طب هات بسكوتة؟

نظر لها علي بحاجب مرفوع قليلا :

- مش معمول حسابك في الكرتونة يا ابلة

أنهى حديثه تزامنا مع انتهاء كرتونة البسكوت وخروجه ليعيدها للأسفل بينما كانت براءة تفتح فمها ببلاهة تقول :

هو أنا مبقاش ليا لازمة ولا ده مجرد احساس بس؟؟

بمجرد انتهاء كلماتها سمع الجميع جرس الانذار الذي تطلقه المدرسة عند حدوث أي مشكلة قالت تشير لهم بعدم الذعر وتذكرهم بسرعة بكل التدريبات التي تدربوا عليها لمثل تلك الحالات :

- اهدوا اهدوا ماشي واحد واحد بسرعة يخرج بدون تزاحم عشان ....

ولم تكمل حديثها حتى شعرت براءة بأن هناك ما يشبه اندفاع جماعي يحدث في المدرسة حيث ركض الجميع بسرعة مرعبة لينقذ كل شخص نفسه فدفعها الطلاب أرضا وركضوا فوقها نهضت بسرعة وهى تمسك ظهرها بوجع وتكمل حديثها :

- منوقعش حد، شكلك دعيت بقلب يا ابو دومة

ركضت براءة لخارج المدرسة سريعا حتى أصبحت امامها تتنفس بعنف وتنظر حولها ولم تكد تتحدث حتى سمعت صوت المدير يقول لأحد المعلمين الذين يقفون فوق المدرسة :

- ها يا استاذ نشأت صورت ده؟

أشار له نشأت بإصبعه بمعنى تم فابتسم المدير بسمة غبية جعلت براءة تقترب منه وهى تقول بغباء شديد :

- هو في ايه؟ والأستاذ نشأت متعلق فوق يصورنا واحنا بنموت ولا إيه؟ ثم اني مش شايفة زلزال ولا حريقة ولا غزو فضائي هو فيه إيه بالضبط؟

قال المدير ببسمة واسعة وفخورة كأنه أنجز شيء كبير :

- لا ده كان تدريب على خطة الإخلاء

تحدثت براءة بعدم فهم تتمنى الا يكون ما وصل لها هو قصده :

- يعني كل ده كان مجرد خطة إخلاء، طب وليه حضرتك مبلغتناش زى كل مرة؟

تحدث المدير يشرح لها وجهه نظر لفعل ذلك :

- أصل أنا اقترحت إن المرة دي مش هنقول لحد عشان تكون ردة الفعل طبيعية زى ما انتِ شوفتي كده والحمدلله الموضوع نجح.

ابتسمت براءة بشر وهى تقترب منه وتتحدث بنبرة مرعبة:

- يعني انا بقيت عاملة زى رغيف العجين المفرود في الأرض والعيال انفعصت في بعضها وفي عيال اتكسرت وهى بتنزل،عشان أستاذ نشأت يرصد الحدث ويظبط الحبكة، يا أخي تبًا لحياة البسطاء،

ابتلع المدير ريقه ولم يكد يتحدث حتى وجد براءة تتقدم قائلا :

- خليني اعرفك بقى على التدريب الخاص بيا.

هبط زين من الأعلى وهو يغلق قميصه ثم شمر عن ساعديه قال ببسمة لوالده الذي يجلس على الاريكة ومازال منغمسا في تلك الرواية:

- ايه يا عزيز لسه ماسك الرواية دي؟

نظر له عزيز بسرعة ولهفة كبيرة ثم اقترب منه قائلا :

- خلاص يا زين لقيت الحل اللي هيغير حياتنا

قال زين وهو يعقد حاجبيه بسخرية :

- مصباح علاء الدين؟؟

تجاهل عزيز سخريته تلك وقال وهو يضع الرواية على الطاولة :

- اسمع احنا هندور على اى حد لينا معاه طار ونجوزك بنته عشان نوقف سلسال الدم

كرمش زين ملامحه بدهشة ثم همس مفكرا :

- ايوة بس احنا مش صعايدة يا عزيز عشان يكون لينا طار عند حد، بس لو تحب في ناس كتير مش طيقاني فممكن نعتبره طار،بطل هزار يا عزيز

صمت عزيز مفكرا قليلا في حل لتلك المشكلة ثم فتح روايته مرة أخرى وأخذ يتصفحها لدقائق :

- ايوة خلاص لقيتها انت تيجي معايا الشركة وهناك هتقابل السكرتيرة بتاعتي وهخليها تديك قلم وانت بقى كرامتك تنقح عليها فتقوم متجوزها عشان تنتقم منها.

نظر له زين وهو يفكر في حديث والده ثم قال :

- بغض النظر عن الأحلام دي كلها بس هو أنا هنتقم منها عشان ضربتني قلم، أمال لو ضربتني بالنار؟؟ هولع فيها عايشة؟؟ بعدين انت عايز ابنك ينضرب بالقلم؟

زفر عزيز بحدة بسبب برودة ابنه الذي يفسد له جميع مخططاته التي عمل على جمعها لساعات:

- سيبنا دلوقتي في سبب الجواز وخلينا في الخطوة اللي بعدها انت لما تتجوز أيا كانت الطريقة، هتصبحها بعلقة وتمسيها بعلقة، وتديها بالجذمة مرة قبل الأكل ومرة بعد الأكل و

قاطعه زين وهو يضحك على حديثه :

- واطفي فيها السجاير وازغزغها تحت باطها

ايه جو كفار الجاهلية ده؟ جبت الكلام ده منين؟

أشار عزيز للرواية بخيبة امل بعدما فشلت خطته :

- من الرواية دي، أول ما لقيت مواصفات الأبطال زيك قلت بس هشوف الابطال هيتجوزا ازاى ونعمل زيهم.

ضيق زين عينه قليلا وهو يتساءل في دهشة :

- نفس مواصفاتي؟؟

أجاب عزيز وهو ينظر له بملل ثم هز رأسه يشرح له مقصده :

- بطل بارد، جاد في عمله، قاسي، لا يرحم، متملك و

لم يكمل عزيز حديثه بسبب إشارة زين له بيده أن يتوقف:

- ناقص تقولي ومش متربي هو فيه إيه يا عزيز؟ هو بطل الرواية دي ملهوش ميزة يقابل بيها ربه ؟ بعدين مين قال ان الصفات دي فيا؟

رفع له عزيز حاجبه بسخرية فتنحنح زين قائلا :

- ممكن اكون بارد ساعات وكمان جاد في عملي دي طبيعي ، بس انا مش قاسي ولا متملك ولا غيره

أنهى زين حديثه ثم نظر للرواية واخذها منه وقال :

- بقولك ايه يا عزيز انت تسيبك من جو الروايات ده وارجع للكرتون تاني ارحم

لم يكد يجيب عليه عزيز حتى قاطع حديثهم رنين هاتف زين فنظر لوالده ونهض واتجه بعيدا عنه قليلا وغاب لدقائق ثم عاد لعزيز وحمل اشياؤه وهو يتجه للخارج :

- معلش يا زيزو جه ليا شغل طارئ اشوفك بعدين

نظر عزيز لأثره بملل ثم قال بحنق وضيق :

- اهو ده اللي فالح فيه، بكرة تيجي اللي تقعدك في البيت وتطلع عينك

ثم ابتسم بحالمية وهو يتخيل ذلك اليوم الذي سيزوج به وحيده في هذه الحياة :

- متخيلها اميرة رقيقة راكبة عربية زى بتاعة سندريلا بتجرها احصنة وهو زى الأمير مستنيها قدام القصر

- ايوة هنا بس بس، تُشكر يا حاج

كانت هذه كلمات براءة التي ترجلت لتوها من إحدى العربات التي تُجر بواسطة الحمار.

نظرت براءة للعربة وهى ترحل من امامها ثم تمتمت بتذمر شديد تتذكر مشاحنتها مع المدير والتي انتهت بطردها من العمل.

بمجرد دخولها للمنزل حتى وجدت فرج يركض لها ويبدو عليه الرعب قائلا :

- ابوكي هيقتلنا، الورق اللي عملنا عليه بطاطس مقلية امبارح طلع ورق لمشروع محطة تنقية المايا الجديدة

ابتلعت براءة ريقها برعب ترمق عمها قائلة :

- كله منك يا خرابة انت عشان قولتلك روح اشتري مناديل مطبخ كسلت

صاح فرج بصدمة:

- انتِ بتبعيني يا براءة طب والله اروح اقول لابوكي كل حاجة، هتغدي بيكي قبل ما تتعشي بيا

امسكته براءة قبل أن يركض قائلة:

- انت مش بتستر أبدا يا أخي، بعدين مش انت حطيت الورق اللي عطيته ليك بداله

هز فرج رأسه بقلق :

- ايوة حطيته بس برضو هنتنفخ، صحيح ايه الورق اللي عطيته ليا

أجابت براءة ببسمة غبية :

- مش المحطة دي للماية

هز فرج رأسه بايجاب فقالت براءة ببسمة غبية :

- وانا حطيت ليه دعاء الاستسقاء احنا علينا الدعاء وربك عليه الاستجابة يابني، بعدين هو اللي مهمل ورامي ورقه في كل حته

لم يكد فرج يجيب فسمع الاثنان صراخ رياض الذي هز الدوار باسمهما ليركض الاثنان سريعا برعب من غضب رياض.

في المساء هبطت براءة للأسفل وجدت الجميع يجلس في البهو يبدو عليهم التوتر والتركيز الشديد بمجرد هبوطها وجدت فرج ينهض مهللًا وهو يستقبلها قائلا :

- أبشري يا براءة ، اخيرا ستنالين الشهادة.

حدقت براءة في الوجوه الواجمة بتعجب حتى توقفت على وجه فرج بدهشة :

- شهادة ايه؟ انا اتخرجت من زمان يا فرج.

امسك فرج كتفيها يرمقها بتأثر :

- لا شهادة اكبر من التخرج بكتير

فكرت براءة قليلا بتركيز فيما يقصد ثم ابتسمت ببلاهة :

- بس انا معملتش الدكتوراه عشان اخد الشهادة، بعدين مش حابة اكون دكتورة و

قاطعها فرج وهو يربت على كتفها بحنان وفخر :

- لا شهادة اكبر من كده بكتير

زفرت براءة ببأس وقد ملت هذه اللعبة :

- شهادة ايه اكبر من الدكتوراه، هتعين عميد للجامعة؟

نظر لها فرج بتأثر ثم صاح فخورا :

- شهادة لا اله الا الله

تساءلت براءة ببلاهة لا تعي ما يقصد فرج :

- هو فيه إيه؟

تحدث والدها بقلق من ردة فعلها وبخوف عليها مما سيحدث :

- أصل فرج يعني..... هو اقترح انه....

انطلقت والدتها مقاطعة حديثهم بحماس :

- هنبعتك للنداهة عشان تكوني طعم

نظر زين للرجال معه ثم تحدث وهو يقف أمامهم :

- زى ما فهمنا يا رجالة احنا هنقتحم وكر العصابة دي ونحاول اننا نخرج بأقل الخسايرطبعا مش محتاج أكد عليكم أن رقم واحد هو سلامة البنات اللي بيتخطفوا دول يعني ميهمنيش تقتلوا مين منهم يهمني انقذتوا مين من البنات.

صاح الرجال معا في صوت جهوري غليظ النبرة :

- تمام يافندم

ابتسم لهم زين بفخر ثم تذكر تعليمات رئيسه الأعلى عندما أبلغه بوجود إحدى القرى التي تعاني من اختفاء مفاجئ لبعض فتياتها، وأنهم سبقوا وقاموا بزرع أحد رجالهم بينهم لكن كانوا ينتظرون معرفة اسباب خطفهم للفتيات وقد تم فعلا واكتشفوا أنهم يرسلون الفتيات لأحد الاشخاص الذي يقوم بتهريبهم للعمل في بيوت مشبوهة في الخارج

تحدث زين بصوت جهوري ليصل للجميع :

- ودلوقتي نتحرك كلنا للقرية عايز نرجع رافعين راسنا، فاهمين يارجالة؟

صاح الرجال بصوت عالي وحماس وقوة :

- فاهمين يافندم..

***

(الفصل الثاني)

نظرت براءة للجميع بدون ردة فعل على حديثهم ذاك ثم قالت بعدم اسيتعاب :

- هي النداهة نادتني وانا مسمعتش ولا إيه؟

أشار لها فرج وقد شرع يشرح لها ما قرروه :

- لا بصي ركزي معايا انهاردة هو اليوم اللي بيتم فيه اختفاء البنات فأنتِ هتروحي عند الأراضي الزراعية، وتقفي هناك كأنك مستنية مثلا حد

ثم حرك يده شارحا خطته بدقة :

- واحنا هنكون حواليكي ومعاكي وكمان هيكون معاكي جهاز تعقب الواد أسامة بتاعة السايبر جابه وهنكون وراكي بمجرد ما هتناديكي وتاخدك هنكون وراكي ونعرف ايه الحقيقه بالظبط

ضربت براءة كف بكف في حركة مستهجنة تدل على سخطها :

- وايه الحماس اللي بتحكي بيه ده يا فرج هو أنا اترشحت لنوبل ؟ بعدين افرض ما نادتش ليا اروح انا اقولها اصلي استغيبتك فقولت اسأل؟

تقدم منها والدها يحاول اقناعها بالأمر رغم أنه نفسه يخشى هذه المخاطرة :

- متخافيش ياقلبي احنا هنكون دايما حواليكي واول ما تحسي بحاجه غريبه صرخي

لم تكد تجيب براءة حتى جذبتها والدتها صائحة بحماس :

- تعالي بقى نجهزك للموضوع

تحدثت براءة بدهشة من حماس والدتها :

- يا حاجة اهدي الله يكرمك هو إنتِ هتجهزيني لفرحي ولا إيه؟

نظر لها الجميع بترقب بينما هي فركت انفها في حركة عصبية وقالت بحسم :

- إنتم تنسوا الموضوع ده لأنه مستحيل

تحركت براءة بجانب الحقول تدعي أنها تنتظر أحد ثم ابتسمت ساخرة من نفسها :

- ليشهد التاريخ اني حققت المستحيل.

نظرت حولها برعب لتلك الحقول تقول بقلق اشتد بسبب ذلك المنظر المرعب :

- هي مش كانت النداهة بتعيش في الترعة او المايةؤ ايه خافت تبوش فنقلت محل الإقامة؟

نظرت خلفها تحاول أن تتبين مكان والدها ومن معه لكن لم تجد أحد تقدمت تجاه الحقول أكثر بخوف شديد حيث كانت الحقول عبارة عن محاصيل قمح لا تظهر ما بداخلها وكانت الأجواء المحيطة بها لا تشجع على الهدوء حيث كان صوت صرصور الليل يصدح مقاطعا ذلك الهدوء المريب بصوته المزعج، تحدثت براءة بتذمر وقد بدأت تملّ فهي تقف في ذلك المكان منذ وقت طويل ولم تصل لشيء بعد :

- ايه مش عارفة اسمي ولا مش لقياه في الأرشيف عندك و...

لم تكمل حديثها لتسمع صوت تحرك في الحقول نظرت حولها بريبة ثم حاولت التظاهر بعدم الانتباه لكن بدأ الصوت يقترب منها حتى شعرت بأنفاس على رقبتها استدارت ببطئ ورعب سرعان ما صدحت صرخاتها تشق سكون الليل مشاركة صرصور الليل مقطعوته.

نظر اسامة (عامل السايبر) للهاتف بيده، يضغط على اسنانه بغضب شديد فاقترب منه رياض قائلا:

- ايه يا أسامة وقفت ليه؟

نظر أسامة لرياض بقلق شديد ثم ابتلع ريقه برعب:

- هو ده اخر مكان ظهر في جهاز التتبع

نظر له فرج بعدم فهم يحاول تكذيب ما توصل له ثم قال:

- يعني؟؟

زفر اسامة بتوتر وهو ينظر حوله بتقييم:

- هو حاجة من الاتنين يا اما هما هنا في مكان احنا مش شايفينه، يا اما اكتشفوا جهاز التتبع وضللونا في الطريق

انتفض رياض بغصب وهو يقترب من اسامة صائحا:

- انت بتقول ايه يعني بنتي كده ضاعت؟

اقترب فرج من اخيه يخشى تسرعه وخروجه عن السيطرة:

- اهدى بس يا رياض هتتحل متخافش هنلاقيها والله انت بس اهدى

رمق رياض اخيه بعتاب هاتفا بلوم :

- اسكت انت كله من افكارك الزفت، بنتي دلوقتي معاهم والله اعلم بيعملوا فيها ايه

علت الصرخات في المكان وهناك بعض الرجال يجذبون براءة بقوة بينما أحدهم يصرخ بوجع :

- يابنت العضاضة هتقطعي دراعي

تركته براءة وهي ترمقه بغضب متذكره كيف كمموا فمها وجروها لهنا بعد أن خرجوا من الحقول، ابعدت يده وتقول بصراخ:

- اوعى ياض تكون مفكرني من البنات اياهم بتوع بابي ومامي و ارنوبي لا اصحى ده انا ادبح ارنوبي واعمله ملوخيا

رمقها الرجل بشر ثم فتح أحد الابواب ودفعها بعنف وهو يضحك بسخرية:

- انا مستعد اعملك انتي نفسك على ملوخية فاتقي شري.

انهى ذلك الرجل حديثه وخرج وأغلق الباب بعنف بينما نظرت براءة للباب تبتسم بسخرية عليه وتحاول أن تهدأ حتى تتمكن من التفكير بطريقة تخرجها من هنا لكن فجأة سمعت صوت همهمات وتأوهات تصدر من أحد الاركان فابتلعت ريقها واقتربت بحذر حتى رأت ما جعلها تفتح عينها بصدمة كبيرة

كانت سيارات القوات تقترب من المكان الموجود به براءة ولكن فجأة توقفت في منتصف الطريق فتحدث زين بتعجب كبير ينظر حوله:

- فيه ايه يابني وقفت ليه؟

أجاب الرجل الذي يقود السيارة بجدية كبيرة:

- فيه ناس واقفة في نص الطريق ياباشا

ضيق زين ما بين حاجبيه بتعجب شديد يفكر ما الذي قد يحضر اشخاص لهذا المكان النائي

أشأر زين لاحد الرجال بأمر:

- انزل يابني شوف بيعملوا ايه هنا الناس دي خلينا نخلص

لاحظ فرج توقف سيارة تبدو من سيارات الشرطة بالقرب منهم ثم ترجل منها شخص بالثياب العسكرية حتى توقف بالقرب منهم وقال بلهجته الغليظة:

- ايه اللي موقفكم في المكان ده؟؟

نظر له رياض بلهفة ورجاء يقترب منه صائحا بخوف :

- بنتي، بنتي اخدوها ياباشا رجعولي بنتي

نظر فرج أرضا بخجل وحزن شديد على ابنة أخيه وعلى تهوره الذي اوصلهم لهنا

رمقهم الجندي بتعجب ثم تحدث بنبرة جامدة قليلا يتخللها بعض الشك :

- وبنت حضرتك بتعمل ايه هنا؟

ابتلع رياض ريقه ولم يكد يجيبه حتى سارع فرج بالتحدث :

- هى اتاخدت زى ما كل بنات البلد اتاخدت واحنا وصلنا هنا لأنها لابسة سلسلة فيها جهاز تعقب عطته ليها بسبب اللي بيحصل وده اخر مكان ظهر لينا في جهاز التتبع

مرر ذلك الجندي عينه على وجوههم بشك وريبة ثم تحدث بنبره لا تظهر انفعالاته :

- طب لو سمحت وسعوا الطريق عشان لازم نعدي

وكاد يرحل عائدا للسيارة لولا حديث رياض المكلوم على ابنته :

- طب وبنتي؟

تحدث الجندي وهو يعود للسيارة دون أن يستدير لرياض :

- بنتك هتبات في حضنك يا حاج بس وسعوا الطريق لو سمحتوا

امسك فرج يد أخيه وتنحى معه جانبا يدعوا الله أن يكون حديث ذلك الجندي صحيح مرت السيارة من أمامهم فكانت أعين زين تدرسهم

أثناء شرح الجندي له عن سبب وقوفهم ليهز رأسه ثم نظر امامه بشرود يضع امام عينه مهمة إنقاذ الفتيات.

شهقت براءة بفزع تركض جهة تلك الفتاة التي تستلقي أرضا وهى تأن بوجع ويبدو انها على وشك الولادة نظرت للفتيات حولها وهى تقول بخوف :

- هي بتولد؟؟

هزت الفتاة بجوارها رأسها بالإيجاب تبكي برعب :

- بقالها وقت عماله تصرخ من الوجع ومحدش من اللي بره رد علينا لحد ما مبقتش قادرة تصرخ واحنا مش عارفين نعمل ايه

نظرت براءة للفتاة والتي تبدو في العشرين من عمرها كأكبر تقدير لها كما جميع الفتيات هنا، تحركت براءة تنظر للفتيات جيدا :

- اعدليها معايا بسرعة بس براحة عليها

تحدثت الفتاة بقلق وخوف على رفيقتها :

- هتعملي ايه؟

براءة بنظرة جادة تنظر حولها جيدا علّها تجد ما يساعدها :

- هولدها، عندك حل غير ده؟ يلا اعدليها معايا وهاتي الملاية اللي هناك دي بسرعة

ركضت إحدى الفتيات بسرعة واحضرت الملاءة واعطتها لبراءة وهى تنظر لها بقلق ورعب لما سيحدث، بينما براءة بدأت تحاول أن تفعل ما يجب فعله، رفعت رأسها للفتاة وقالت بحنان وشفقة :

- حبيبتي ساعديني ماشي؟ بإذن الله دقايق وكل ده هينتهي

نظرت لها الفتاة بنظرات غائرة وعدم وعى لما تقول براءة فتحدثت رفيقتها بدموع خوف :

- رجاء معلش يا قلبي استحملي خلاص هانت معلش استحملي

نظرت لها رجاء وقالت بصوت ضعيف وحزن :

- ابني يا حياة، ابني خلي بالك منه، لو خرجنا من هنا ابويا مش هيرضى يربيه وهيقتله، خديه انتِ، انا عارفة جدتك طيبة وهترضى تربيه ابوس ايدك متسبيش ابني يعيش في الزبالة دي

بكت حياة بعنف لحديث صديقتها بينما كانت براءة قد وصل بها التوتر لحده تحاول أن تخرج رأس الطفل بصعوبة نظرت لرجاء وقالت:

- ساعديني ارجوكِ، خلاص راسه بدأت تظهر

اخذت حياة تشد على يد صديقتها لتقويتها، ثواني عصيبة مرت على الجميع وكانت صرخات الطفل تصدح في تلك الغرفة النتنة الضيقة ابتسمت حياة بفرحه تتناوله من يد براءة وتقبله بفرحه ودموع :

- ما شاء الله يا رجاء الواد طالع قمر ليكي يا حبيبتي بصي

لكن حينما استدارت وجدت صديقتها تغمض عينها بطريقه مقلقه ووجها شاحب بشده ففزع قلبها تهتف برعب :

- رجاء بصي يا حبيبتي ابنك اهو، بصي مش انتِ كنتي بتقولي هسميه، هتسميه ايه طيب؟ يلا بصي اهو جه يلا قومي سميه، انتِ تعبانه ولا ايه؟؟

نظرت حياة لبراءة بعدم فهم او عدم تصديق:

- هى تعبانه صح؟ هى نامت عشان تعبانة مش كده؟

كانت حياة تتحدث ودموعها تهبط برجاء أن تُصدق براءة على حديثها وتبعد ذلك الخوف الذي بدأ يحتل قلبها بكل قوة

انتبهت براءة لحالة رجاء فاقتربت منها بقلق وأخذت تفحص تنفسها ونبضها و مؤشراتها لكن وجدت أنها قد سلمت روحها لخالقها مودعة تلك الحياة التي لم تر منها سوى كل وجع وذل.

اغمضت عينها بوجع وحزن تنظر حولها للفتيات الصغار اللاتي قمن بالانطواء في أركان الغرفة برعب مما شاهدن منذ لحظات

هتفت حياة تضم الطفل برعب وتهز الفتاة بعنف شديد :

- بت يا رجاء، إنتِ يا مهفوفة اصحي يابت بقولك ابنك جه اهو بعد ما استنتيه، إنتِ يابت، رجاء متسبنيش لوحدي بالله عليك، لالا اصحي مش عايزه افضل لوحدي حبا بالله لتصحي يا رجاء

أخذت دموعها تنهمر بعنف على خدها وهى تتحدث بهذيان لصديقتها التي وكأنها فقط كانت تنتظر أن توصل صغيرها لتلك الحياة ثم تتركه وترحل، وكأنها بذلك قد ادت دورها في تلك الحياة وأضحى لِزاما عليها الرحيل.

علت أصوات البكاء في الغرفة امام أعين براءة التي كانت تبكي بشدة وشفقة على ما ترى تشعر في قلبها بحقد وغل وغضب شديد تجاة كل شخص كان له يد في أن يوصل فتاة بهذا العمر للموت، صدحت صرخة حياة تهز أركان المكان بعنف تصيح بقهر :

- رجـــــــــــــــــــــــــــاء

في نفس الوقت كانت القوات تقتحم المكان بقيادة زين ومن معه وفي ثواني اشتعلت الأجواء بعد ظهور ذلك الرجل الذي كان متخفي ضمن العصابة وقد قام بالانضمام لجهة زين والرجال وبعد قتال طويل انتهى بانتصار فريق زين بسبب عامل المفاجأة أشار زين لرجاله بالبحث عن الفتيات واخراجهن بسلام من المكان

لكن أثناء إخراج العصابة للسيارات بالخارج تقدم ذلك الجندي الذي كان متخفيا ضمن العصابة من زين وقال وهو ينظر لزين بتردد :

- لو سمحت يا فندم كنت عايز اقول لحضرتك حاجة حصلت أثناء العملية.

انتبه له زين جيدا وقال بعيون باردة برود صقيعي يرسل قشعريرة لمن امامه فخرج صوته مرعب :

- خير يا وائل حصل حاجة؟

تنحنح وائل بقلق وخوف من قائدة وردة فعله لما هو مقبل على الاعتراف به ثم قال :

- هو يا فندم الموضوع إنه لما دخلت العصابة وكده كانوا في الاول شاكين فيا اني ممكن اكون مدسوس وانا عشان ابعد الشك كنت بنفذ معاهم عمليات خطف وكل حاجة يطلبوها مني بس

صمت بقلق وهو لا يعلم كيف يقول ذلك لقائدة الذي اقل ردة فعل له ستكون قتله :

- بس في مرة طلبوا مني اني اختار بنت من البنات اللي جابوهم واني يعني

توقف غير قادر على إكمال حديثه فهو يعلم جيدا أن اكثر ما يكرهه قائده هو أن يمس رجل منهم امرأة بسوء فعندها يفقد صفة الرجولة كما يقول هو دائما

تقدم زين منه خطوات زادت الرهبة في قلبه وجعلته يبتلع ريقه برعب بينما زين نظر له نظرات قد تبدو باردة ولكنها تحمل في طياتها تهديد مبطن :

- انك ايه؟؟

عاد وائل للخلف خطوات قليلة ثم أردف بخفوت :

- نفذت طلبهم عشان محدش يشك فيا واختـ

قاطعه زين بنبرة جعلته يرتجف في أرضه :

- واعتديت على بنت صغيرة ملهاش ذنب غير أن واحد زيك مكنش راجل كفاية صح؟

رفع وائل رأسه بخجل وخزى مجيبا قائده :

- يا فندم مكنش قدامي حل تاني والا كانوا هيشكوا فيا، بعدين أنا اتجوزتها..

امسكه زين من تلابيب ثيابه يسحبه بعنف وهو يضغط على أسنانه قائلا :

- عرفي صح؟؟ كان يكفي توهمهم انك نفذت اوامرهم مش إنك تعتدي على بنت كل ذنبها إنها وقعت في ايدك

تحدث وائل وهو يحاول أن يبعد نفسه عن يد زين الذي يكاد يتسبب في خنقه :

- مكنش ينفع يا فندم لأنهم كانوا حاطين عينهم عليا ولو مكنتش انا عملت كده كانت المهمة فشلت

هدر به زين بغضب جحيمي يكاد يحرقه :

- تفشل، كنت انسحبت بهدوء ورجعت وقولت إنك مش قد المهمة كنت احترمتك آكتر منا مستحقرك دلوقتي، يعني المهمة نجحت وقدمنا ضحيتها بنت بريئة؟؟

صمت وائل دون اى رد فعل، فهو حتى يخجل مما فعله ولكن ماذا كان بوسعه أن يفعل فكان نجاح المهمة يعتمد على ذلك

تحدث زين يمسح وجهه بعنف ويفكر في حل لتلك المصيبة :

- والبنت دي حصل ليها ايه عايشة ولا قالولك تقتلها كمان

قال آخر جملة له بسخرية لاذعة جعلت وائل ينظر أرضا بخجل وهو يقول:

- يا فندم إنت محسسني اني وحش، انا مظلمتهاش لاني فهمتها كل حاجة و هي مش ماتت بس هي...

صمت فنظر له زين بترقب لما هو قادم، اكمل وائل :

- هي كانت حامل

ابتسم زين بعدم تصديق ثم اطلق سبة نابية كتمها في سره ثم فتح ذراعيه يتحدث بعصبية :

- كمان؟ اسمع كويس هقول ايه اول ما تخرج من هنا هتاخد البنت اللي ربنا بلاها بيك دي وتعقد عليها رسمي، أنت سامع ولا لا؟؟

نظر له وائل وهو يهز رأسه بايجاب :

- كنت هعمل كده يافندم والله وهي عارفة ده

لم يجب عليه زين حيث لمح خلف وائل فتاة تقف وهى تحمل طفل صغير بيدها تنظر لوائل بازدراء واستحقار جعل غضب زين يتأجج اكثر من وائل فلابد أن تلك هي نفسها التي اعتدى عليها

تقدمت براءة والتي كانت تحمل الطفل الصغير بين يديها بعدما أخذته من حياة التي انهارت وسقطت أرضا فتم حملها للخارج وبينما تسير خلف الجميع التقطت اذانها صياح وصراخ وتبينت من الحديث انهم كانوا يتحدثون عن رجاء، توقفت براءة أمام وائل ثم قالت بنبرة لاذعة بينما تمد يدها له بالطفل :

- أتفضل يا حضرة الضابط يتربى في عزك، ولما يكبر متنساش تحكيله هو جه على الدنيا ازاى؟

نظر لها زين وعينه تحمل اعتذار ومواساة لها ولكن فتح عينه بصدمة كبيرة وهو يرى يدها تهوي بعنف على خد وائل صافعه اياه ثم ابتسمت بسمة مخيفة حقا وللعجب شعر أنها تشبه بسمته قالت بنبرة مشمئزة:

- كنت مفكرة إن اللي عمل كده هو واحد من ال.... دول لكن للأسف طلع واحد المفروض كان هنا عشان يحميها هي واللي معاها

تحدث وائل لبراءة بشر كبير وغضب :

- هتندمي كتير اوي على الكف ده، ثم انك متدخليش في الموضوع وانا هعرف أصلح غلطتي كويس

أخذت براءة الطفل من يده وقالت بسخرية لاذعة تنافي الحزن الذي يسكن أعينها :

- لا متتعبش نفسك يا باشا خلاص اللي كنت هتصلح معاها غلطتك راحت لربها عشان تشكيه غلطتك

نظرت له جيدا تلاحظ تيبس جسده وشحوب وجهه لتكمل بنبرة موجوعة :

- رجاء ماتت.

أنهت حديثها ثم حملت الطفل وخرجت مبتعدة عنهم تمسح دموعها بعنف حزنا على تلك الصغيرة التي كانت هي الضحية في هذه القصة

نظر زين لوائل وقال بنبرة متسائلة :

- مش دي البنت اللي انت....

هز وائل رأسه برفض وهو ينظر أرضا ويمنع دموعه من الهبوط امام قائده :

- لا مش دي

ابتسم زين بوجع ثم نظر لوائل بشفقة وقال :

- أظن مفيش عقاب اكبر من انك تعيش بالذنب طول حياتك وتتحرم من ابنك يا وائل، انت محول للتحقيق

ثم تركه ورحل مفكرا في تلك الفتاة التي تجرأت وصفعت أحد جنوده دون أن يرف لها جفن حتى

تقدمت براءة لداخل منزلها تحمل الصغير الذي أصبح بلا ام وأب تقريبا فقط تبقى له حياة صديقة والدته والتي تركتها براءة منذ قليل في المشفى بسبب تعبها.

انتفض الجميع ناهضا بعدما لمحوا طيفها يدخل للمنزل لكن توقفوا بتفاجئ ناظرين ذلك الطفل بين ذراعيها

تقدمت منها والدتها تنظر للطفل بعدم فهم لكن كان الحنان واضحا في نظراتها بينما انطلق لها فرج يضمها بحنان وخوف كبير ويهمس لها بأسف :

- حقك عليا يابنت الغالي كله بسبب تهوري كنتِ هتضيعي مننا

ابتسمت براءة بسمة باهته تجيب بخفوت :

_متقولش كده يافرج انت كان عندك حق وكان لازم نساعد البنات دول من الجحيم اللي هما فيه

اقترب والدها بحنان يمد يده لها فانطلقت لأحضانه بعدما أعطت الطفل لوالدتها، ضمها رياض بحنان وحب وقال :

- حتة من قلبي رجعت ليا بعد ما حسيت اني بموت من العجز يابنتي

ابتعدت براءة وقبلت يده تهمس بحب :

- متقولش كده يا بابا انت كنت بس حابب تساعد، والحمدلله خلصنا من الكابوس ده

قالت والدتها التي اخذت تبتسم للصغير بحب وحنان :

- مين الطفل ده يا براءة؟ وجيباه معاكي ليه

اقتربت براءة من الطفل وأخذت تلاعبه وهي تردف بشرود :

- امه كانت واحده من ضمن البنات اللي اتخطفوا وفيه واحد اعتدى عليها وانهاردة وضعته بس للاسف ماتت بعدها

ظهر الأسف والوجع على الجميع بينما ادمعت عين والدتها تتمتم بشفقة :

- يا ضنايا يا ابني حظك قليل في الدنيا، طيب وهنعمل فيه إيه؟

تحدث رياض بجدية كبيرة وهو يرى نظرات ابنته الموجوعة :

- هنوديه لأهل البنت يا سماح (والدة براءة)

نظرت له براءة بسرعة وقالت بخوف :

- لا يا بابا بلاش ارجوك دي كانت آخر وصية لأمه قبل موتها انه مايروحش لأهلها والا هيأذوه

تحدث فرج بشفقة وعدم قدرة على إيجاد حل :

- طب ايه العمل امه ماتت وأبوه انسجن، هنخليه هنا؟؟

لم ترغب براءة في أن تخبرهم بأن والده لم يسجن لأنه جندي ولكنها قالت بتقرير لما سيحدث :

- امه قبل ما تموت وصت صاحبتها عليه وهى هتاخد بالها منه بس لما تخرج من المستشفى لأنها تعبت من اللي حصل واتنقلت على هناك

تمتم رياض بشفقة وحزن لما حدث :

- لا حول ولا قوة الا بالله، ماشي يابنتي خليه هنا مع امك لغاية ما صاحبتها تخرج من المستشفى براحتها

هزت براءة رأسها ثم نظرت لوالديها وعمها بنظرات اصرار شديدة لما ستقوله :

- أظن اني نفذت اللي انتم عايزينه جه وقت تنفذوا اللي انا عايزاه زى ما وعدتوني

نظر الجميع لبعضهم البعض بتوتر لطلبها فهي قبل الذهاب لتلك المهمة اشترطت أن يوافقوا على طلبها في المقابل تحدث فرج ينظر لها لعله يستطيع فهم دواخلها :

- وايه هو طلبك يا براءة؟

قالت براءة بنظرات اصرار كبيرة تظهر صعوبة اثنائها عن قرارها الذي سبق واتخذته :

هروح اشتغل في القاهرة، والمرة دي بشهادتي

تحدث رياض وهو يفكر في حديث صغيرته :

- يعني ده اخر كلام ليكي؟

هزت براءة رأسها بإيجاب وقد لمع الاصرار بعينها :

- ده اخر كلام يابابا، انا هستنى البنت تيجي تاخد الطفل واسلمها الأمانة بنفسي وبعدها هروح القاهرة عشان أبدا مشواري.

نظر عزيز للتلفاز بحماس كبير فالان من المفترض أنه موعد برنامجه المفضل لكن حاول تشغيل التلفاز وفشل في ذلك، كرمش ملامحه بتفكير يحاول مجددا وايضا لم يستطع فجأة انتبه لرسالة موضوعة فوق شاشة التلفاز، حملها بتعجب فوجدها من زين يخبره أنه عطل التلفاز عقابا له على شراءه تلك الأشياء، غضب عزيز وأخرج هاتفه متصلا بابنه وحينما سمع صوته صرخ بإمتعاض قائلا :

- ازاى يا أستاذ يا محترم تتجرأ وتقفلي التلفزيون اتابع ازاى دلوقتي الكرتون فهمني

نظر زين حوله لجنوده ثم قال بصوت منخفض :

- مش مشكلتي يا عزيز مش إنت عملت اللي في دماغك وجبت الحجات بتاعتك انا برضو عملت اللي في دماغي وشيلت الكابل وريني بقى هتعمل ايه

تحدث عزيز بغضب كبير :

- بقى كده طيب

لم يهتم زين لتهديده ذاك وأغلق المكالمه لكن بعد مرور نصف ساعة تقريبا وجد مكالمة فيديو تأتيه من عزيز فتحها بتعجب وما كاد يتحدث حتى سمع صوت عزيز يقول بنبرة عالية :

- كده يا زين يابني مقولتش قبل ما تمشي إن المشمع بتاعتك اتبل امبارح

نظر زين سريعا للجنود حوله فوجدهم ينظرون بصدمة فقال يضغط على أسنانه بغضب :

- متهزرش يا عزيز، انا في وسط الجنود

عزيز وهو يتحدث بجدية :

- اهزر ايه يا ولد انت بتوه الموضوع ولا إيه، بعدين أنا مكلف نفسي بامبرز وبوتي بالشئ الفلاني عشان تعملها على روحك، طيب لما ترجع هوريك

ثم اغلق الهاتف فقال بغضب شديد :

- ماشي يا عزيز خليك فاكرها بس

نظر حوله لجنوده وصرخ بهم :

- بتبصوا على ايه هي اول مرة يعني ما انتم عارفين عزيز

ابعد الجميع نظرهم عنه يعلمون أن هذا مزاح من والده فالجميع يعرف والد قائدهم وأفعاله الطفولية بينما هو كان يتوعد لعزيز.

بدأت السيارة التي يركبها الجنود تتحرك مبتعدة عن القرية.

نظر زين للقرية التي خرجوا منها للتو وقد بدأت تبتعد عن مرمى بصره ثم همس بشرود :

- مهمة تانية انتهت زى اللي قبلها، بس قلبي بيقولي انها لسه فيها فصول كتير اوي.....

***

(الفصل الثالث)

كانت براءة تسير في محطة القطار بعدما ترجلت منه في محطتها المرجوة، ابتسمت تتذكر أنها أخيرا ستعمل في شئ تفهمه جيدا، شئ تحبه فلقد عملت في العديد من الوظائف التي لا تناسب مؤهلاتها بسبب رفض والديها السفر رغم حصولها على أكثر من فرصة كبيرة للعمل في العاصمة لكنهم كانوا دائما يخافون أن يتم خداعها او ايذائها وكأنها مازالت صغيرة ولم تبلغ التاسعة والعشرين من عمرها بالفعل، تذكرت لقائها مع حياة قبل أيام قليلة من اليوم وحديثها الذي طال معها، تنهدت بخفوت تذكر نفسها أنها ستنسى كل ما سبق وتبدأ بداية جديدة بروح جديدة، وتعود براءة لسابق عهدها المشاكس

ابتسمت لتلك الفكرة وقد وصلت لخارج محطة القطار ففتحت ذراعيها هاتفة بفرح كبير :

- مرحبا بالقاهـ...

ولم تكمل حديثها حتى عبرت من امامها سيارة مسرعة سببت تناثر بعض المياة الساقطة أرضا على وجهها مما جعلها تغمض عينها بسخرية:

- بداية مبشرة بالت..

لم تكد تنتهي من كلماتها حتى عبرت دراجة نارية تحمل اثنان على ظهرها قام أحدهما بسرقة حقيبة يدها وانصرفوا مبتعدين بسرعة كبيرة عنها بينما هى فتحت عينها بصدمة وصرخت :

- حرامـــــــــي

وبلا شعور وجدت نفسها تترك حقيبتها الأخرى وتركض خلفه تصرخ به وتسبه بكل ما تعلم من السباب بينما سائق تلك الدراجة كان ينظر خلفه للفتاة بصدمة فهذه أول مرة يجد فتاة تركض خلف دراجته حينما يسرق حقيبتها،

لم تعطي براءة لنفسها فرصة التفكير حتى فوجدت قدمها تتحرك دون ارادة منها كرد فعل طبيعي وتركض خلفهم.

انحنت براءة وحملت حجارة وأخذت تقذفها عليهم وتصرخ بهم والجميع في الشارع ينظر لها بتعجب

نظر الشاب الذي يقود الدراجة للخلف يحدث صديقه :

- هنعمل ايه البت شكلها طلعت هبلة.

أمسكت براءة حجر كبير والقته بعنف شديد فكسر مصباح الدراجة الخلفي مما جعل أحد الشباب يصرخ بها بعنف لكن لم ينتبه أيًا منهم للسيارة التي توقفت في منتصف الطريق وفتحت بابها فحاول السائق تجنب السيارة مما أدى لأنحرافة عن الطريق واصطدام الدراجة بإحدى الأشجار الجانبية فسقط الاثنان ارضا، ومن بعيد خلعت براءة حذائها وركضت لهم ثم هبطت فوقهم بعنف تضربهم :

- ده انا هطلع على جتتكم كل سنتي جريته وراكم

تحدث أحدهم وهو يحاول تجنب ضرباتها :

- ياست إنتِ خلاص دي كانت سرقة سودة، انا اساسا استاهل ضرب الجذم اني قربت منك.

ابتسمت براءة بشراسة تضربه أقوى وتصيح به :

- يا سلام ده إنت بس تأمر ، وادي ضرب الجذم اهو

اقترب منها بعض المارة يحاولون إنقاذ اللصوص من أسفل ايديها

تحدث أحد اللصوص وهو يصرخ في الاشخاص المحيطين بهم :

- يا حاج ابوس ايدك بلغ البوليس، بلغ البوليس قولهم إني أنا اللي قتلت انو السادات ابوس ايدك الحقنا

صرخت به براءة وهى تضربه بقدمها وتحمل حقيبتها بضيق :

- والله لو جبتلي أنور السادات بذات نفسه ما هو ناجدكم من تحت ايدي

نظر زين لوالده بملل وهو يقوم بعمل تمرينات صباحية :

- يا عزيز انسى مفيش خدامة هتدخل بيتنا ماشي، ريحني بقى لأنك من وقت ما رجعت من عند شريكك وانت مش مبطل حكاية الخدامة

نظر له عزيز بغيظ شديد ثم حاول أن يظهر في شكل صارم :

- جرا ايه يا سيادة الظابط هو إنت نسيت انك بتكلم ابوك مش جندي عندك يعني تكلمني باحترام

صمت ثم قال بشدة وتحذير:

- ثم إن البيت ده بيتي اجيب اللي انا عايزه و امشي اللي انا عايزه وانا قولت هنجيب خدامة تقولي تؤمرني يابيه، زى عند عمك عبدالجليل فاهم ولا كلامي مش واضح

أنهى حديثه ينظر لعين ابنه بنظرة جادة غاضبة فقال زين وهو يبتسم له :

- هو مش ده ميعاد اسبونج بوب

تحدث عزيز وهو يعلم أنه يحاول أن يضلله عما يريد كما يفعل عادة فهتف يربع يده :

- لا لسه باقي ساعتين ثم إنك متوهش الموضوع هنجيب خدامة ولا لا؟

نظر له زين بنظرة باردة خاوية كعادته ثم قال وهو يرحل من امامه :

- لا

نظر له عزيز بصدمة يتابع رحيلة ثم صاح قائلا بحنق :

- الظاهر مفيش فايدة

دقائق مرت وكان زين يهبط من الأعلى ينظر لوالده ببسمة و يعلم بما يفكر فاقترب منه وقال :

- بقولك يا عزيز مش انت كنت عايز تيشرت مازنجر

نظر له عزيز يحاول أن يدعي عدم الاهتمام :

- لا مش عايز حاجة

ضحك زين عليه ثم اقترب منه وقال له بهدوء محاولا أن يقنعه بالعدول عن رأيه :

- طب أسمع يا زيزو ينفع ندخل ست غريبة علينا واحنا أتنين رجالة لوحدنا في البيت، يعني ينفع ندي الشيطان فرصة عشان يدخلنا منها

نظر له عزيز بحزن يعلم أنه محق ثم هز رأسه برفض فاكمل زين :

- شغلة البيت وكل اسبوع أم سميرة ربنا يديها الصحة بتيجي تعمله، أكل وبنطلب من برة ونقضيها، ايه بقى اللي ناقصنا؟

نظر له عزيز ثم قال بنبرة متحسرة :

- ناقصنا ست تكون في بيتنا، ناقصنا واحدة تدي لبيتنا روح يا زين، ناقصنا واحدة تجمعنا على الأكل سوا حتى لو مش فاضيين، ناقصنا نعيش وناكل زى بقيت الناس مش هنفضل طول حياتنا عايشين على أكل المحلات، ناقصنا نعيش وفيه حنان في بيتنا يازين

تنهد زين بضيق واختناق يعلم الجملة القادمة بعد ذلك الحديث ولم يُكذّب والده ظنه فقد أكمل برجاء :

- اتجوز يا زين اتجوز يابني وفرح قلبي، اطلع من حزنك وبلاش تفضل حابس نفسك طول العمر في الضلمة دي، يابني انت مش ملاحظ انك وحيد ملكش لا صاحب ولا جار ولا غيره ملكش غيري يا زين

امسك زين يده ينظر لعينه بعجز :

- مش بقدر يابابا مش بقدر، انت عارف إنه مش بأيدي، الموضوع بعيد عني يا بابا، وبعدين يا سيدي انا مكتفي بيك ومش عايز غيرك

تحدث عزيز بحزن على صغيره الذي يعاني من حالة نفسية صعبة منذ صغره والتي تفاقمت بمرور الايام :

- يا زين انا مش هعيشلك العمر كله، دور على اللي ترافقك في بقيت حياتك، دور على اللي تنور قلبك يابني، اعمل حاجه جديدة وأخرج برة قوقعتك دي شوف العالم بعيون جديدة،

دور على اللي تشوف العالم بعيونها، اللي تخرجك من سجنك اللي انت حابس نفسك فيه

ابتسم عزيز في نهاية حديثه ثم وضع يده على قلب ابنه وقال بحنان :

- دور على اللي تخلي ده يدق يا زين

تقدمت براءة جهه العمارة التي اختارت العيش بها ورفضت الأنتقال لمنزل عمها هنا، وذلك لقربها الشديد من عملها الجديد ابتسمت بسعادة كبيرة فها هى تخطو على أول طريق لنجاحها بعيدا عن نساء قريتها وحديثهم لها بأنها فتاة وبدلا من البحث عن وظيفة كان من الأحرى لها البحث عن زوج فقد تخطت العمر المناسب للزواج وكأن الزواج اصبح له سن معين ومن بعده يتم غلق هذا الباب للأبد.

دخلت براءة للبناية ببسمة ثم توجهت مباشرة للمصعد لكن وجدته معطل زفرت بضيق ولكن حاولت أن تتبسم فلا بأس هى تسكن في الطابق الثاني، حملت حقيبتها وصعدت على الدرج لكن أثناء اقترابها من الطابق المطلوب سمعت أصوات صراخ وكأن هناك شجار ما.

واخيرا وصلت للطابق بالفعل فوجدت بعض الأشخاص يجتمعون في منتصف الطابق وهم يتجادلون بحدة

شهقت فتاة ما شهقة عالية قائلة بينما تتمايل بجسدها :

- نعم يا عنيا ميت جنيه؟ جاك ميت عفريت يلبسوك يا بعيد.

صرخ مقابلها رجل اخر بحدة :

- لا هتغلطي هغلط

حاولت المرأة بجانبه ان تهدأه:

- خلاص يا شعبان اهدى بس

ابعد شعبان يدها عنه يقول :

- لا استني يا منار ما هو أصل قلة الأدب مفيش أسهل منها، جرا ايه يا ست سوستة انتِ ما تحمدي ربنا اننا مستحملينك

شهقت الفتاة وهى تمضغ اللبان هاتفة:

- اياكش سوستة مفوتة تقطم على رقبتك يا بعيد ما تقوم منها

شهقت منار بعنف تردح بيدها قائلة :

- ان شاء الله انتِ يا بتاعة واحدة ونص، والليل وآخره

تمايلت سوسيتا في وقفتها قائلة بدلال زائد :

- مالها الواحدة ونص يا نص نقل انتِ، ولا هو عيني فيه واقول اخيه، هتموتي وتبقى زيي ومش عارفة

صرخ شعبان بحدة يرفع أصبعه في وجهها :

- لا مسمحلكيش تغلطي في المدام، مين دي اللي تبقى زيك يا ختي ما تبصي لنفسك وانتِ معصصة كده

تحدث رجل كبير في السن قائلا :

- معصصة ايه يابني ما هي قمر اهي

نظرت له سوسيتا وضحكت بصخب قائلة :

- والله انت عسل يا سيد

غمز لها سيد بينما ضرب عامر (حفيد سيد) كف بكف قائلا :

- يا جدي اعتق شوية

نظر له سيد بإمتعاض قائلا :

- جد مين يا عجل إنت هو أنا اعرفك

تقدمت براءة من الجميع تحاول أن تعلم ماذا يحدث فقالت ببسمة هادئة :

- السلام عليكم

نظر لها الجميع وردوا السلام فتحدثت براءة :

- انا براءة الساكنة الجديدة هنا في العمارة

ابتسم شعبان وقال مرحبا :

- نورتي عمارتنا المتواضعة أنا شعبان رمضان وده ابني رجب

قالت براءة ببسمة غبية:

- لبيك اللهم لبيك

قالت منار وهي تقترب وتعانقها بود غريب :

- وانا ابقى منار، مرات شعبان

قالت سوسيتا ببسمة وهى تنظر لبراءة :

- وانا بقى يا ابلة ابقى سوسيتا لو احتاجتي اى حاجة بلغيني على طول اصلي بحب فعل الخير آوي

قالت منار بسخرية لاذعة :

- أمال البت فاتحة ملجأ أيتام، يتيم طالع ويتيم نازل، وماشاء الله بتدخل السعادة على قلب رجالة البلد والبلدان المجاورة

ضحكت سوسيتا ضحكة عالية قائلة :

- أمال اهم حاجة النية ياختي

قالت براءة بسخرية وهى تبعد نظرها عنها :

- بارك الله فيكي يا أختاه

ثم نظرت وجدت مراهق وبجانبه رجل كبير في السن فقالت ببسمة :

- وانت ياقمر؟

كاد عامر يتحدث لولا أن منعه سيد قائلا بحنق:

- قالت ياقمر انت مال اهلك ومال القمر ولا هو اى تلزيق وخلاص

ثم مد يده لبراءة قائلا ببسمة طفولية :

- انا سيد ممكن تناديني ديدو

ضحكت براءة عليه ونظرت لعامر الذي قال بتهكم:

- وانا عامر حفيد ديدو

تمتم سيد بنزق قائلا :

- حفيدي قال، ده انت لقيط بس انا مستحملك لله بس

زفر عامر من جده ذلك الذي كلما استيقظ من نومه نسى من يكون

تحدثت براءة تمسك حقيبتها قائلة ببسمة :

- طب يا جماعة اتشرفت كتير بيكم والله بس اعذروني عايزة ارتاح لأني عندي شغل بكره بدري

هز الجميع رأسه وبمجرد ذهاب براءة علت الأصوات مجددا وبدأ الجميع يعود للشجار

بينما ألقت براءة نفسها على الفراش قائلة بتعب :

- شكلها هتكون فترة ما يعلم بيها غير المولى

خرجت حياة من الغرفة تحمل الصغير بحنان شديد وتهدهده بكل حب وهى تتذكر رجاء صديقتها التي رحلت عن هذا العالم بطريقة قاسية جدا لكن فجأة توقفت بتعجب تستمع لصوت رجل في المنزل كيف ذلك وهى فقط تسكن مع جدتها، تقدمت جهه الصالة وبصدمة تيبست قدمها وهى تتعرف على صاحب ذلك الصوت ولم يكن سوى الرجل الذي تسبب فيما حدث لصديقتها، نظرت لجدتها برعب ثم قالت :

- هو الراجل ده هنا بيعمل ايه؟؟ وازاى هرب من السجن؟

نهض وائل بسرعة ونظر لها نظرات غامضة ثم أبعد نظره عنها رامقا صغيره الذي يسكن بين ذراعيها بهدوء جعل ضربات قلبه تخفق بشدة، تقدم منها بهدوء راغبا في ضم صغيره لقلبه لكن عادت حياة للخلف بسرعة ترمقه بغضب شديد وعدائية مبررة، فقال هو بهدوء يحاول أن يتمالك اعصابه :

- انا بس جاى أخد ابني وامشي، فلو سمحتي هاتيه ومش هتشوفي وشي تاني

نظرت له حياة نظرات احرقته وجعلته يشعر بالدنيوية ويتوقف دون حراك صاحت به بغضب كبير :

- إياك حتى تفكر اني هسمحلك تلمسه بإيدك القذره دي، ايدك اللي كانت سبب إنه يبقى يتيم، انسى خالص إن ليك ابن واتفضل دلوقت اخرج برة لاني حقيقي مش هضمن ردة فعلي لو فضلت آكتر من كده

نظر لها وائل بغضب كبير حاول أن يخفيه فهى رغم كل شئ محقة في حديثها :

- اسمعي يابنت الناس انا مش جاى عشان اتكلم كتير انا بس عايز ابني وهمشي بهدوء فاديني ابني خليني امشي من هنا واخلص

ضحكت حياة من بين دموعها ضحكة ميتة ثم ضمت الطفل أكثر لها وقالت :

- انسى ده بقى ابني أنا ، وأمه الله يرحمها وصتني عليه قبل ما تموت وعمري ما هفرط فيه وأكيد مش ليك، لواحد مجرم هربان

تحدث هو بلهجة غاضبة وهو يصرخ بها :

- مجرم مين انتِ كمان، انا ظابط وكنت في مهمة، واللي حصل ده كله كان غصب عني عشان المهمة تنجح واقدر اني اكشف العصابة

صرخت به حياة بعنف جعل الصغير ينتفض ويبكي على بكائها هى :

- إنت مش بني آدم، صاحبتي بسببك خسرت حياتها، وكل ده عشان سيادتك تنجح في مهمتك وتاخد نجمة زيادة على كتفك لا برافو يا حضرة الظابط، ودلوقتي أتفضل اطلع برة عشان مش ضامنة اذا كنت هتحمل شكلك قدامي آكتر من كدة

كاد يتحدث ويصرخ بها لولا يد جدتها التي أمسكته وتحدثت برجاء :

- معلش يابني سيبها شوية هي بس لسة خارجة من صدمة موت صاحبتها وأكيد نفسيتها تعبانه بعدين ابنك في أمانتي أنا متخافش عليه

أمسكت حياة الطفل وركضت لغرفتها تضمه بحنان شديد وأغلقت غرفتها خوفا من أخذ والده اياه من احضانها فهو اخر من تبقى لها من صديقتها ورفيقتها

نظر وائل للسيدة العجوز وقال بعد صمت طويل :

- ماشي يا حاجة بس مش هصبر كتير وصبري له آخر، ولو حفيدتك فضلت منشفة دماغها يبقى هاخد ابني بس غصب عنها وبالقانون، عن اذنك

نظرت السيدة في اثره بخوف تردد :

- ربنا يهديكي يا حياة يابنتي، كان لينا ايه من كل البهدلة دي ياربي ده انا ماصدقت انها ترجع ليا، يارب احميها يارب

ارجعت براءة رأسها للخلف بتعب شديد فهى منذ أتت صباح اليوم وهى منكبة على أوراق كثيرة وقد شعرت وكأن ظهرها يصرخ مطالبا للراحة لكن اى راحة تلك وهى قد اختارت اكبر مصالح الجمارك لتعمل بها في قرية البضائع للشحن الجوي.

انتهت من العمل الذي امامها ورفعت وجهها لكن تفاجأت مما ترى فقد كانت شريكتها في المكتب تجلس مع أحد الزملاء تضحك له وتقدم له هدية ما وهو يقدم لها هدية أيضا كرمشت براءة ملامحها بتعجب ثم نظرت في هاتفها لترى تاريخ اليوم إذا ما كان عيد الحب المزعوم او اى مناسبة تستحق الهدايا ولكن لم ترى شئ وبعد دقائق خرج ذلك الزميل وعادت الفتاة لعملها مجددا وكذلك فعلت براءة ولكن ما هى إلا دقائق وكان زميل اخر غير السابق يتقدم وهو يقدم هدية لنفس الفتاة وهى أيضا تقدم له هدية تشبه تلك التي قدمتها للسابق، ضيقت براءة عينها بتفكير في الأمر وشك وتابعت الأمر بفضولها المعتاد دون أن تجذب الانتباه وبمجرد خروجه ابتسمت تلك الفتاة بغرور ثم نظرت لبراءة ورمقتها بتكبر وابتسمت بسخرية مما جعل براءة تعود بظهرها للخلف وهى تنظر لها ببرود كبير فتحدثت الفتاة تنظر للمرآة :

- متحاوليش حتى إنك تعملي زيي لإنك مش هتعرفي

رفعت براءة حاجبها تبتسم بسخرية :

- قصدك إني اجيب هدية ولا إني أخد هدية لأني عندي ايد زيك بعرف أخد وأسلم بيها الهدايا

ضحكت الفتاة ثم نهضت من مكتبها وتقدمت من مكتب براءة بحركات دلال جعلت براءة تقارنها بمشيتها التي تشبه الرحال ثم همست لنفسها بضحكة مكتومة :

- البت تستحق الصراحة دي وسطها قد رقبتي.

جلست الفتاة على مكتب براءة ثم قالت بدلع مفرط :

- لا يا حبيبتي قصدي إنك مش هتعرفي تجيبي اللي يجبلك الهدايا نفسها، أصل دي محتاجة خبرة كبيرة آوي في التعامل

نظرت لها براءة من أعلى لاسفل تقول ببسمة ساخرة :

- لا وإنتِ الشهادة لله ولا اجدعها خبيرة

ضحكت الفتاة ضحكة عالية ثم نهضت وخرجت من المكتب تقول :

- وقت الاستراحة يا اسمك ايه، الحقي كلي حاجة قبل ما نكمل شغل

نفخت براءة بضيق وهى تنظر لنفسها وتقول :

- كان لازم يعني يا رياض تربيني، ما كنت سيبني استكشف الدنيا واكتسب خبرات، ولا إحنا مش مكتوب لينا نجيب دبادشيب .

انهت حديثها وهى تنهض لتلملم الأوراق جيدا لكن فجأة وقعت عينها على ورقة جذبت نظرها بسبب لونها المختلف عن الباقي و ما جعلها تفتح عينها بصدمة هو ما يوجد بتلك الورقة، حملتها براءة وخرجت مسرعة لمكتب المشرف التجاري على الشحنات التي تدخل للبلاد ولكن لم تجده في مكتبه فعادت للمكتب مجددا تبحث في جميع الأوراق عن أى شئ يدعو للشك لكن لم تجد سوى فقط الورقة التي اكتشفتها بالصدفة منذ قليل، خرجت مجددا من المكتب تبحث عن المدير في

كل مكان ولكن لم تجده، أخذت تسير وهى تسأل عنه الجميع حتى وصلت خلف المخازن في الجهة الغربية حسب وصف احد العمال الذين شاهدوه يتجه لذلك الجزء من المخازن ولكن قبل أن تتقدم سمعت صوت يهتف بعنف :

_مش مشكلتي أنا سبق وقولت لك إن الشحنة تمر من غير اى مشاكل، ولو حصل والشحن وقفت يوم زيادة كمان انا هنسفك انت وكل عيلتك فاهم

ارتجف المدير بخوف من نبرة ذلك الرجل فهو لا يُستهان به أبدا وقال :

- امرك امرك ياباشا بس

صمت قليلا ليفكر في كل حرف قبل أن ينطقه لئلا تكون رقبته ثمنا لغلطته

أخرجت براءة هاتفها بسرعة وأخذت تصور مايحدث وهى تتابع باهتمام مجرى الحديث

اكمل المدير يمسح وجهه بخوف وتوتر وينظر حوله :

- فيه ظابط جديد كده استلم الشغل والتفتيش وصعب علينا شوية نمشي الموضوع

رفع الرجل يده وقال بنبرة حاسمة لينهي الحديث :

- دي مشكلتك انت حلها، انا المهم عندي ألاقي بضاعتي كلها خارجة بدون ما تنقص جرام واحد وإلا

ترك حديثه معلقا ليدرك المدير أن الأمور قد تعقدت تماما :

- تمام يا رائد باشا اللي تؤمر بيه

اغلقت براءة هاتفها تختبئ خلف إحدى حاملات البضائع وهى تكتم فمها برعب خوفا أن تُكشف حتى رأت المدير يعود للمركز وذلك المدعو رائد يتحرك خارجا، وبمجرد خروجهم كانت تسابق الريح لتخرج من هذا المكان بخوف شديد تلهث بعنف :

- اهدي يابراءة خلاص اول خطوة عدت على خير وجبنا دليل وصورنا فيديو جودة p٣٦٠ وصوت واضح بدون ما نخبط في اى حاجة او نوقع حاجة تجذب انتباهم زى الأفلام، دلوقتي ايه الخطوة اللي بعدها؟

نظرت خلفها بخوف أن يكون هناك أحد يتبعها ثم اكملت وهى تتابع ركض :

- هروح أبلغ البوليس ولما رئيس العصابة يعرف هيخطفني ويعذبني شوية، كام جلدة على كام ڤولت كهربا على شوية ارتجاجات في المخ بس thanks God هيحبني في الاخر ونهرب انا وهو على أى دوله تانية او اسوء تقدير إننا نهرب لجزيرة هيشتريها هو ويسميها على اسمي، ايوة هو كده خلاص ونقفل الحكاية على كدة بعد ما اخليه يتوب ويبقى كيوت.

أنهت حديثها تتوقف على جانب الطريق وهى تتنفس بعنف وتستند على ركبتيها لتنظر خلفها ثم اكملت طريقها حتى وصلت لمركز الشرطة وأخذت تبحث عن من يمكن أن يفيدها لكن الجميع كان يخبرها أن تنتظر قليلا حتى نفذ صبرها وأخذت تصرخ باحد العساكر

مما جعل احد الشرطيين يفتح بابه وهو ينظر بتعجب لذلك الصراخ وكان من خلفه شخص آخر فتح عينه بصدمة يطالع براءة بتعجب.

صرخت براءة بغضب تحاول الوصول لأحد يمكنها أن تسلمه الدليل بدون خوف :

- ياجدع انت بقولك خليني اشوف اى ظابط كبير الموضوع مهم آوي

زفر العسكري بملل شديد من تلك الفتاة العنيدة التي تقف منذ وقت طويل تصر على مقابلة الضابط :

- ياست قولتلك لو عندك شكوى روحي قدميها للشاويش وهو هيشوفها، حضرة الظابط مش فاضي

نظرت له براءة بشر ثم صرخت به :

- تصدق بالله انا مش هستنى رئيس العصابة يعرف من برة ويجي ياخدني انا هروح ليه بنفسي واسلمه كل حاجة وهخليه يقتلك اول واحد في الحكاية دي.

كرمش زين ملامحه بدهشة وتعجب لما تقول تلك الفتاة فحديثها غير مفهوم أبدا، أشار زين للضابط بجانبه :

- خلي العسكري يسمح ليها إنها تقابلك يا منير

نظر له منير بتعجب وقال :

- ايوة بس انا لسه مخلـ

قاطعه زين ينظر لبراءة جيدا و يرى نظراتها المشتعلة وكأنها ستهجم على العسكري :

- بعدين يا منير خلينا نفهم فيه إيه؟؟ والبنت دي مالها؟

تنهد منير باستسلام يشير للعسكري يجعلها تذهب اليه ثم دخل للمكتب وخلفه زين الذي ابتسم على تلك الفتاة

بينما نظر العسكري لبراءة التي لم تتوقف ثانية واحدة عن الصراخ :

- اتفضلي يا ست منير باشا مستنيكي في مكتبه

نظرت له براءة بانتصار ظنا أنها من أجبرته بصراخها على ذلك ثم تقدمت من باب مكتب ذلك الشرطى تقول بكبرياء :

- اكيد اترعب من تهديدي، صوت ركبه وهى بتخبط في بعض وصلني

توقفت أمام الباب ثم تنفست بهدوء وطرقت الباب ودخلت حينما سمعت صوت يأذن لها بالدخول

كان فرج يجلس في الملحق الخاص بمنزله والذي يستخدمه كمقر لحل النزاعات في القرية، فقد جاء اليوم بدلا من أخيه الذي اشتد عليه المرض امس وكان يجلس وأمامه كبار البلد مجتمعين لحل المشاكل التي تشغل الجميع.

تحدث فرج وهو يضرب الأرض بعصاه في حدة وقوة ثم صرخ :

- والله عال كل واحد عمال يغني ويرد على نفسه ولا كأن فيه غيره ياخد رأيهم

صمت يتابع الوجوه التي صمتت على مضض مستمعه له ثم تنهد بضيق يفكر في كم يعاني اخيه حتى يتحكم بهم وقال :

- احكي يابني ايه مشكلتك

تحدث احد الشباب يرمق شخص بجواره بحنق :

- بقى يا عمدة من الأصول في الجواز هى طاعة الزوج

هز فرج رأسه مترقبا الحديث في جدية فاكمل الشاب وهو يرمق من بجانبه بغضب :

- يبقى لما يجي حد ويعصي مراتي عليا مش واجب اوقفه عند حد

تحدث فرج ناظرا للشاب بجدية كبيرة :

- تمام.

قال الشاب صائحا بغضب كبير :

- ولما اخو المدام يقولها تعمله سمك على العشا رغم إني قولتلها إني عايز لحمة فتقوم عامله ليه سمك وتسيبني انا اخبط راسي في الحيط يبقى اسمه ايه ده

نظر له فرج بغباء شديد وهو يحاول ان يستوعب سبب ذلك الشجار العنيف بين الشابين :

- يبقى اختلاف في الأذواق

صرخ الشاب بعنف ثم اقترب من فرج شاكيا :

- لا يا عمده المشكلة إن كلمتي مش بتتسمع في البيت بتاعي والمدام عملت سمك لاخوها وانا طنشتني

تحدث فرج وهو يوقف الشاب عن الاكمال:

- انت بتقول ايه يابني؟ انت مش واقف في قناة cbc سفرة بتشكي للشيف الشربيني، ده مجلس مشاكل القرية انت مستوعب انت بتقول ايه؟ مجمع المجلس ده كله ومعطل

مصالح كبار البلد عشان المدام عملت سمك لاخوها، يا أخي اياكش كانت شوكة وقفت في زورك خنقتك عشان غبائك ده، امشي ياض انجر من هنا ومتجيش المجلس ده تاني غير لما يكون عندك مشكلة بجد تناقشها

نظر الشاب بجواره بغضب ثم دفع الشاب الاخر وهو يقول بعنف :

- عجبك كده كان هيحصل ايه لو عملنا لحمة يعني

زفر فرج بتعب وهو يمسح وجهه ويقول :

- الله يعينك يا رياض عندك مرارة لكل ده ازاى ده الوحد حس نفسه بيحل مشاكل في حضانة ، دي مشاكل عالم سمسم فيها خطورة عن مشاكلهم

جلست براءة على المكتب وامامها بجلس زين الذي لم يرفع عينه عنها منذ دخلت للمكتب وامامهم يجلس منير في انتظار حديثها المهم وشديد الخطورة كما تدعي، صمت الجميع وطال الصمت حتى قاطعه منير وهو يزفر بملل :

_ايوة اتفضلي كنتِ عايزة تقولي حاجة مهمة وخطيرة

نظرت له براءة بتعجب ثم أعادت نظرها لزين وقالت تقترب قليلا من مكان منير وتهمس بخفوت شديد حتى لا يسمعها زين ولكنه سمعها بالفعل وهى تقول :

- طب مش هتطلبلي عصير الأول وتقولي هدي أعصابك ، و تمشي الجدع ده، الموضوع مش فيه هزار ياباشا افرض راح وبلغ العصابة، اقولك طرقه (اصرفه) دلوقتي لحد ما نخلص كلام

وضع زين يده على فمه ليحاول كتم ضحكاته وهو يتذكر انها لم ترى وجهه ذلك اليوم بسبب قناعه لذا لم تتعرف عليه

نظر منير لزين الذي يكتم ضحكاته بتعجب ثم أعاد نظره لبراءة وهو يقول بأستهجان:

- عصير ايه واهديكِ ايه ده انتِ ابرد مني شخصيا ثم ايه اطرقه دي؟؟ انتِ متعرفيش ده مين ده يكـ

قاطعه زين بسرعة يقول برزانة وهدوء معتاد :

- انا قريبة..

***

(الفصل الرابع)

نظر منير لزين بصدمة، فغمز له زين في الخفاء وأكمل حديثه لتلك التي تنظر له نظرات تكاد تخترقه كما لو أنها تحقق معه :

- متقلقيش من ناحيتي أنا قريبه وأكيد مش هطلع حاجة لحد برة

ضحكت براءة بسخرية ثم تمتمت وهى تنظر له بتهكم :

- ما هى المصايب مش بتيجي غير من القرايب، بكرة تقولوا براءة قالت

ردد زين اسمها بينه وبين نفسه ثم نظر لمنير وقال بغموض :

- قولها يا منير إني محل ثقة ومتخافش تتكلم قدامي

تحدث منير يخرج من صدمة كل ما يحدث أمامه :

- آه آه زين باشا.... قصدي زين يبقى قريبي وميتخافش منه أبدا

نظرت لهم براءة بشك قليلا ثم تنهدت وهى تبدأ بقص ما شاهدته عليهم :

- وبس كدة جريت وجيت على هنا على طول قبل ما يخطفوني

نظر الاثنان لها بتعجب ثم كان زين اول من يتحدث :

- رائد الدميري، طب وفين التسجيل ده؟؟

نظرت له براءة بغيظ وهى تقول له :

- وإنت مالك، إنت مالك هو أنا بكلمك إنت انا بكلم حضرة الظابط

نظر زين لمنير ليتحدث، فقال بنبرة هادئة بعض الشئ :

- ممكن نشوف التسجيل يا آنسة

هزت براءة رأسها بإيجاب تخرج هاتفها ثم تفتحه لتحضر الفيديو وتتحدث أثناء ذلك :

- اكيد طبعا ياباشا، وكمان صورت الفيديو بجودة عالية عشان كل حاجة تكون واضحة واخد من الشحن كتير بس ميغلاش على مـــ..... احيه

انتبه لها الاثنان ولملامحها التي تغيرت فجأه وهى تنظر لهم بإحراج كبير، فقاطع منير الصمت قائلا بترقب :

- فين الفيديو يا أنسة؟

نظرت له براءة ببسمة بلهاء تحاول أن تفكر في حل سريع للأمر حتى قالت فجأة :

- آه أصل هو يعني انا قولت بدل ما تاخدوا الفيديو دلوقتي ممكن اسلمه بكره بعد ما اعمل ليه مونتاج بقى واظبطه ليكم وكده

صرخ منير بنفاذ صبر :

- هو شريط فرحك ما تخلصي تقولي هو فين؟

رفع زين حاجبه يحاول سبر اغوارها ثم انحنى بجسده مستندا على ركبتيه بيده يقول بنبرة باردة لا تكاد تفارقه :

- مش معاكي فيديو اصلا صح؟

نظرت له براءة بغيظ شديد وغضب ثم نفخت بضيق :

- أنا مش فاهمة إنت بتتحشر في الموضوع ليه لو سمحت ياباشا قوله ملوش دعوة بالموضوع، هيعملي نفسه المحقق كونان وهو حتى محصلش المفتش كرمبو

فتح منير عينه بفزع ثم نظر بسرعة لزين ليرى ردة فعله ولكن وجد ملامحه باردة كالعادة رامقا تلك الفتاة بنظرات غامضة :

- معلش اصل كان نفسي ابقى ظابط بس ابويا مرضيش

رمقته براءة بسخرية ثم نظرت لمنير :

- أنا ممكن أحكي لحضرتك اللي حصل بالضبط في الفيديو و إنت تتخيل معايا والموضوع هيكون احلى لو اتخيلناه

تحدث منير بسخرية كبيرة و قد وصل لآخر صبره معها :

- هو انا بقرأ رواية اخلصي هاتي ام الفيديو

نظرت براءة أرضا تفكر في مخرج لمشكلتها تلك ثم نظرت لهم بخجل تقول :

- ما هو أصل وانا بصور الفيديو نسيت اضغط على تسجيل وافتكرت إني سجلت بس طلع مسجلتش حاجة.

ضحك زين بسخرية يعود بظهره للخلف بينما مسح منير وجهه بغضب فتحدثت براءة بخوف من ملامحهم :

- أنا سمعت كل حاجة والله، بالامارة قاله إنه اهم حاجة ليه إن البضاعة توصل المخازن مش ناقصة جرام واحد

تحدث منير بتهكم واضح يرمقها بسخرية ونظرات مشتعلة :

- وايه اللي يثبت انهم بيتكلموا عن بضاعة او شحنات غير قانونية؟

كان دور براءة لتتحدث بسخرية من افكارة تلك وتشكيكه بها :

- إتنين من ضمنهم رئيس قطاع الجمارك وواحد شكله مريب واقفين في منطقة محدش بيروح ليها وبعيده عن العيون وبيتكلموا في بضاعة وظابط جديد عامل قلق وجرامات، هتكون ايه يعني؟ جرامات سكر بودرة؟ ولا جرامات دقيق زيرو؟

تجاهل زين نبرتها الساخرة تلك ثم سارع في سؤالها :

- اتكلموا عن ظابط جديد؟؟ قالوا ايه بالضبط؟؟

نظرت له براءة قليلا ثم قالت بحنق :

- مش شايفة يعني دبابير على كتافك عشان تحقق معايا

زفر زين بغيظ من عناد تلك الفتاة و حديثها المزعج ذاك ثم صرخ بها :

- طاروا، استريحتي، دلوقتي بقى احكي كل حاجه بالكلمة

نظرت له براءة ورغم غيظها منه إلا أنها بالفعل بدأت تقص عليهم كل ما سمعته من الاثنان حتى انتهت فسألها منير :

- والورقة ده فين؟

اخرجت براءة ورقة من جيبها واعطتها لمنير تنظر له بترقب حتى تحدث منير بنبرة غامضة :

- تمام يا آنسة براءة تقدري تتفضلي وقريب هنستدعيكي عشان يتم استجوابك

نظرت لهم براءة بتعجب وترقب فبادلوها تلك النظرات بأخرى مندهشة، رددت براءة بتعجب :

- بس كده؟؟ مش هتكرم ومصر تبقى فخورة بيا ولا اى حاجة افتخر بيها قدام العيال في البلد.

ضرب منير على مكتبه بغضب وقد نفذ صبره من تلك الحمقاء فصرخ بها قائلا :

- اتفضلي يا آنسة ولما نحتاجك هنبعتلك.

نهضت براءة بفزع ثم نظرت له بغضب وضربت بقدمها الأرض وخرجت مردفة بتذمر:

- والله ده ظلم يارتني كنت روحت لرئيس العصابة

بينما نظر زين في اثرها بنظرات غامضة وهمس لنفسه :

- واخيرا يا رائد هنتجمع تاني

دخل فرج الدوار (المنزل) بعدما أخبره أحد الصبية بتعب أخيه، انتبه على حركة غير طبيعية في الدوار فتحرك ناحية غرفة أخيه بقلق شديد وقد تملكه هاجس سئ، طرق الباب وأنتظر حتى سمع صوت زوجة أخيه تأذن له بالدخول، دخل وهو ينظر أرضا يتنحنح بخفوت ثم رفع نظره لأخيه وقال بتوجس :

- رياض إنت كويس؟ بقيت احسن عن امبارح؟

سعل رياض بضعف شديد ثم نظر لأخيه الأصغر الذي رباه بنفسه رغم أن فرق العمر بينهم ليس بالكبير فهو يكبره فقط بسبع سنوات، أشار رياض لأخيه بالاقتراب فتقدم منه فرج بخوف يقول لزوجة أخيه :

- قوليلي إنتِ طيب يا سماح عشان عارفة مش هيقول حاجة

نظرت سماح أرضا تبكي بقلق وقلة حيلة فتحدث رياض وهو يمسك يد أخيه بحنان :

- سيبك منها يا فرج إنت عارف الحريم، المهم كنت عايز اقولك على حاجة مهمة

تحدث فرج يضغط على كف أخيه وينظر لعينه بحزن شديد :

- عيوني يا رياض اؤمرني يا حبيبي

نظر رياض لزوجته ثم قال بهدوء شديد حتى يبعدها بعض الوقت :

- معلش يا سماح ممكن تجيبيلي كوباية يانسون عشان زوري تاعبني

نهضت سماح بسرعة شديدة تخرج بلهفة لتحضر لزوجها ما يريد، فنظر رياض لأخيه عقب خروجها قائلا بضعف :

- مش هوصيك على براءة يا خويا انت طول عمرك بتعتبرها بنتك

نظر له فرج وهو يمنع دموعه من حديث أخيه ثم هز رأسه بإيجاب فهو منذ موت زوجته ولم ينجب منها رفض الزواج بأخرى واعتبر براءة ابنته وصديقته المقربة :

- متقولش كده يا رياض بكرة تقوملنا بالسلامة وتزفها بنفسك لعريسها

ابتسم رياض بضعف ثم هز رأسه قائلا بأمل :

- يارب يا فرج اعيش لليوم ده، بس وصيتي ليك لو موت تاخد بالك من براءة لغاية ما تسلمها لابن الحلال وتخلي عيالي يتدلوا (ينزلوا) مصر ياخدوا بالهم من أمهم عشان متفضلش لوحدها

هز فرج رأسه بإيجاب يقبل يد أخيه الكبير وآخر من تبقى لهم بعد موت اخيهم الأوسط منذ سنوات :

- امرك يا خويا اللي انت عايزة هيتم

ربت رياض على ظهره بحنان ابوي خالص وقال وهو يشدد من ضغط يده :

- حاجة اخيرة يا فرج ومش عايزك تجادلني فيها

انتبه له فرج بكل حواسه منتظرا القادم من حديثه فتحدث رياض بحسم :

- العمودية هتكون ليك من انهاردة يافرج هتخلي عنها ليك وانت هتكمل يا اخويا، انت عارف مفضلش غيرك من رجالة العيلة بعد موت اخوك وسفر عيالي للخليج ، عشان كده من انهاردة هتكون انت عمدة البلد دي يا فرج

كانت براءة تسير في الشوارع متجهه لشقتها وكل ثانية والأخرى تلتفت للخلف بسرعة مخيفة لترى اذا ما كان هناك أحد من العصابة يتبعها ام لا.

بينما على بُعد مناسب منها كان زين يسير خلفها يضحك على غبائها ذاك وقد ظن في البداية أنها اكتشفت مراقبته لها، لكن من نظراتها علم أنها تفعل ذلك للاحتياط على حسب ظنها.

كانت براءة تسير للمنزل تتخيل أشكال لموتها او خطفها فتخيلت أن هناك سيارة سوداء كبيرة ستأتي لتقف امامها ثم يسحبها أحدهم بعنف لداخل السيارة ويغلق عينها بعصابة سوداء، فتحت عينها بصدمة لرؤيتها سيارة سوداء تسير على الطريق بالقرب منها فصرخت صرخة عالية وهى تركض كالمجنونة بينما توقف زين يضحك عليها ثم حاول تمالك نفسه ليركض خلفها بخفة لئلا تشعر به.

اتجهت براءة وهى تركض بجنون لمدخل العمارة الخاصة بها وخلفها مباشرة زين، لكن توقفت فجأة كالملسوعة، فتوقف زين فجأة حتى كاد يسقط أرضا لكنه تدارك الأمر وهو ينظر بفضول لما تفعله وجدها تتجه لداخل العمارة بتمهل وهى تنظر حولها بطريقة مريبة.

كانت براءة تفكر في رأسها أنها ربما تجد احد أفراد العصابة ينتظرها في مدخل العمارة يحمل سكين وبمجرد دخولها يغرز سكينه في بطنها، اقتربت من الدرج بحذر شديد ولكن فجأه وجدت خيالا يقف أسفل الدرج فتحت عينها بصدمة تعود للخلف ببطئ شديد وحرص وفي ثواني كانت تركض لخارج العمارة تصرخ بجنون :

- والله ما صورت حاجة والله ما معايا حاجة ده حتى التليفون مسجلش والله.

نظر زين لها وهى تركض وخلفها كلب اسمر عملاق وتصرخ قائلة أنها لم تسجل شئ ضحك بشدة عليها.

نظرت براءة خلفها برعب لترى جسد اسود يركض خلفها وتبينت لاحقا أنه كلب عملاق فازداد صراخها تدور في حديقة العمارة كالمجنونة فكر زين هل يتدخل ام لا؟ ثواني ووجد مراهق يدخل لبوابة العمارة الخارجية فتوقف مكانة قليلا لربما ينقذها هذا المراهق دون أن يُظهر نفسه.

دخل عامر (جار براءة الذي يعيش مع جده) لحديقة العمارة لكن فجأة وجد براءة تتجه له وهى تصرخ بجنون فضيق ما بين حاجبيه بتعجب لكن لم يستمر تعجبه ذلك إذ رأى الكلب الخاص بحارس البناية يركض جهته خلف براءة فألقى بحقائبة بفزع ثم أخذ يصعد البوابة الحديدية برعب صارخا، بينما براءة أخذت تنظر حولها برعب وهي تلطم بقلة حيلة :

- اروح فين، اروح فين؟

نظرت وجدت عامر يجلس فوق البوابة الخارجية فصرخت به :

- إنت يا عديم المروءة انزل ياض مشي الكلب ده

هز عامر رأسه برفض يتشبث بالباب جيدا :

- ياروح ما بعدك روح

في ذلك الوقت هبط جميع من بالعمارة بفزع على أصوات الصراخ فوجدوا عامر يتعلق بالبوابة جيدا وبراءة تركض في المنزل وخلفها الكلب الضخم الخاص بالحارس، نظرت منار لزوجها تضربه على كتفه بعنف :

- انت بتتفرج، روح امسكه ووقفه لأحسن ياكل البت

قال شعبان بتهكم يفرك كتفه بوجع :

- ليه شيفاني محاسن الحلو عشان اعرف اوقفه؟ مش بعيد لو روحت اتأكل معاها وتترملي

تحدث سيد (جد عامر والذي يعاني من ال زهايمر) مشيرا لعامر الذي يستقر فوق الباب :

- شوف المعفن اللي بعته يجبلي الدوا من الصيدلية، قاعد بيتمرجح ولا على باله، طبعا كله من أمه العقربة اللي مش طيقاني تلاقيها هى اللي قالتله متجبش الدوا لجدك عشان نخلص منه بس على مين قاعد على قلبهم اتفووو عليكم عالم زبالة

نظر زين بصدمة لهؤلاء الاشخاص الذين يتشاجرون تاركين تلك الفتاة تكاد تُلتهم من الكلب.

قالت سوسيتا وهى تمضغ لبانة كعادتها تنظر للكلب :

- ما تنادوا الحارس ياخدوا وتريحونا من الصريخ ده مش عارفين ننام

نظرت لها منار بإشمئزاز شديد وهى تقول بدعاء :

- يا ختي نومة بلا قومة، اياكش نخلص منك

صرخت براءة وقد أنهكها الركض من هذا الكلب ونظرت لجيرانها في العمارة وهى تصرخ بهم :

آه يا عمارة معاتيه، حد يلحقنـــــــــــــي

أخذ الجميع ينظر لبعضهم البعض في إنتظار تطوع أحدهم لكن قاطع نظراتهم تلك خروج زين من مخبأه وقد يأس أن يتحرك أحد ثم ركض خلف الكلب والذي كان بدوره يركض خلف براءة.

لمحت براءة بعض الحجارة في الأرض فانحنت بسرعة وامسكتها ثم القتها بعنف خلفها دون أن ترى أين تلقيها، فوجد زين الحجارة تتجه له انحنى بسرعة فأتت الحجارة في عامر الذي كان يهبط من فوق البوابة مستغلا انشغال الكلب براءة لكن جائت تلك الحجارة في رأسه جاعلة اياه يصرخ وهو يسب من ألقاها

ضحك سيد بعنف على حفيده وتذمره ذاك وقال بنبرة شامتة :

- احسن، احسن

صرخ زين ببراءة وهو يتجنب الحجارة التي ترميها :

- يابنتي ما تبطلي رمى حجارة الله يحرقك هتطيري عيني

لم تنتبه براءة لمن يحدثها من الخوف وفجأة اقترب زين من الكلب وانقض عليه من الخلف يمسكه جيدا مانعا إياه من المقاومة ثم ضغط على جزء معين في جسده جعله يهدأ وأرخى جسده فأبعده عنه ببطئ يتنهد براحة فوجد براءة تقترب منه وهى تنظر له جيدا ثم صرخت حينما تعرفت عليه :

- هو إنت؟؟؟ انت بتراقبني ياض ولا إيه لا اصحى ده انا ممكن اطلـــــ

توقفت عن حديثها وهى تتعرقل في إحدى الأحجار مما أدى لسقوطها بعنف شديد جهة زين الذي حينما وجد جسدها يتهاوى تجاهه حتى أبتعد عن مكان سقوطها بسرعة فسقطت براءة أرضا تتأوه وتسبه بغضب شديد :

- إنت يا متخلف، مش شايفني بقع، بتتحرك من مكانك ليه؟

نظر لها زين وهو ينهض بدهشة ويعدل ثيابه :

- أمال اسيبك تقعي عليا وتكسري ضهري ولا إيه

فتحت براءة عينها بصدمة ثم نهضت تتأوه وتصرخ في وجهه :

- يا أخي كسر رقبتك وعضمك عضماية عضماية مايفضل فيك مفصل واحد سليم يارب

رفع زين حاجبه بتهكم وبسخرية :

- كنت سيبت الكلب يقطعك حتت كدة عشان تعرفي تدعي صح

ضحكت براءة بتهكم :

- كنت هعرف اتصرف لوحدي على فكرة ، ثم قولي حضرتك بتعمل ايه هنا إنت بتراقبني ولا إيه؟

قالت آخر كلماتها ببسمة واثقة، بينما هو ابتسم لها ثم نظر للجميع بالخلف الذي يتابعون باهتمام ما يحدث :

- لا بس كنت جاى اعاين العمارة عشان هشتري شقة، بس عموما مش محتاج اعاينها هو الكتاب باين من العنوان، ابقى خلي بالك بقى لأحسن واحد من العصابة يطلعلك لما تشدي السيفون

أنهى اخر كلماته بسخرية عليها ثم تحرك لخارج العمارة يضحك كلما تذكر ركضها وصراخها وحركاتها البلهاء

نظرت براءة لاثره تقول بتفكير :

- هو بيتريق ولا إيه، وبعدين اشمعنا انهاردة بالذات جاى يشوف العمارة، اكيد بيكراش عليا ومخبي، حب واضح آوي يعني .

ختمت كلماتها بثقة غبية وكبرياء تسير جهة الجميع وتقول لهم بتوعد:

- ماشي يا عمارة معاتيه، انا هوريكم

ثم تركتهم واتجهت لشقتها تمسك ركبتها بوجع من السقطة التي سقطتها والجميع ينظر في اعقابها بغباء شديد لحديثها ذاك.

- ايوة ياباشا أنا عرفت كان بيعمل ايه هنا، هو و الرائد منير كانوا قاعدين ومعاهم بنت كدة، وهى كانت جاية وبتبلغ عن شحنة لرائد الدميري ، وقريب جدا هيطلع أمر بالقبض عليه ، لأن الورق اللي البنت دي قدمته لزين ورق بيثبت إن هو متورط في تهريبات

أغلق المجهول الذي كان يستمع لحديث المخبر في الهاتف يزفر دخان سجارته بشرود كبير و يهمس بشر بينما يتأمل دخانه :

- زين الدين الهلالي، نهايتك قربت وقربت آوي كمان

ثم نظر بجانبه للهاتف فأخذه وأجرى مكالمة وانتظر الرد حتى سمع صوت يصدح من الجهه الأخرى فقال ببسمة مخيفة :

- أظن أن فيه خبر عندي يخصك، خبر عن حبيبك زين الهلالي

صمت ذلك الرجل قليلا يستمع للطرف الاخر والذي لم يكن سوى رائد ثم أغلق الهاتف وهو ينظر للدخان الذي ملئ غرفته بأكملها وبدا كما لو انه يجسد امامه ذكريات سوداء منذ زمن مر فشرد في ذكرياته التي مر عليها ١٠ سنين.

(عام ٢٠١١)

خرج ذلك الشاب من حجرته يقفز على الدرج بسرعة ويصرخ بصوت عالي :

- ماما بابا انا اتأخرت على الكلية، متستنوش على الغدا لأني هتأخر، سلام

خرج سريعا من المنزل يركض في الشارع وينظر لساعته بخوف وتوتر من التأخر، دقائق مرت حتى وصل لباب جامعته فركض لها سريعا وهو يدعو الله ألا يكون تأخر على أول محاضراته

ولكن أثناء ركضه اصطدم في أحد الشباب الآخرين فتوقف بسرعة يعتذر ويعدل من وضع نظارته التي كادت تسقط ثم نظر لذلك الشاب:

- آسف والله غصب عني بس عشان مستعجل

ابتسم له ذلك الشاب بسمة خفيفة وقال :

- ولا يهمك محصلش حاجة

ابتسم له الشاب ثم نظر للكتب التي يحملها فتذكر المحاضرة فتحدث بسرعة يركض :

- شكرا ليك بس انا اتاخرت آوي

تحدث الشاب الاخر بصوت عالي ليصل لذاك الذي يركض سريعا :

- معرفتش اسمك ايه طيب

توقف الشاب صاحب النظارة ثم هتف ببسمة لطيفة :

- اسمي مؤمن

صاح الاخر يلوح له بيده عاليا :

- انا زين، زين الدين الهلالي

(عودة بالزمن للوقت الحالي)

همس ذلك الرجل بحقد شديد وغضب أعمى يكسر ما امامه ويصيح هائجا :

- هتندم يا زين، والله لاندمك على كل لحظة في عمرك

في الصباح التالي:

نظر القائد للأوراق بيده جيدا يفكر في كم المعلومات التي وصلت له ثم رفع نظره محدقا في زين وقال بنبرته الهادئة :

- يعني شاكك إن العصابة دي توصل للبنت وتأذيها

هز زين كتفه بعدم معرفه يجيب مخمنا :

- ده مجرد تخمين يافندم، اكيد الناس دي ليها إيد في كل حتة وممكن يوصلهم اللي البنت دي عملته ووقتها يأذوها واحنا محتاجينها عشان شهادتها مهمة جدا في القضية

عاد القائد والذي يدعى(يسري) بظهره للخلف يقول بتفكير :

- وأنت بقى عايز تتولى مهمة حمايتها بنفسك

تنحنح زين يعتدل في جلسته ناظرا لقائده جيدا :

- انا بس عايز اضمن انها في امان وهقوم بحمايتها بدون علمها هى حتى اني موجود للغرض ده، المهم انها تقول شهادتها

ابتسم يسري لزين بغموض ثم قال ينظر للورقة بيده :

- بس مش غريبة إنك اول مرة تطلب مهمة من النوع ده بعد ما كنت بترفض، وكنت بتفضل انك تكون في فرق الهجوم

تحدث زين يحاول أن يبعد ظن القائد فيما يخص اختياره لتلك المهمة :

- هعتبرها فترة راحة شوية يا فندم وطبعا لو حضرتك رفضت انا عليا إني أنفذ الأوامر

ابتسم يسري ثم نهض من مكانه واتجه له وجلس امامه وقال :

- وماله يا زين تقدر تتولى بنفسك المهمة دي وانا هتواصل مع الجهات القضائية عشان تبدأ تحقق في الموضوع وتطلع قرار بمصادرة أملاك رائد الدميري ، وانت عليك مهمة تأمين الشاهدة لحد ما نعرف الخطوة الجاية، بس خلي بالك رائد مش سهل

ابتسم له زين ثم قال بغموض :

- احب احكم بنفسي

عادت براءة من عملها تتأفف فقد كان يوما طويلا ومليئا بالمتاعب والمشاكل، حيث انتبه المدير لاختفاء تلك للورقة التي أخذتها، وأصبح الجميع يعمل على قدم وساق للبحث عن الورقة التي يصر المدير على ايجادها وهى بالطبع كانت تدعي أنها تبحث معهم.

تقدمت نحو العمارة ثم كادت تصعد الدرج لولا رؤيتها لذلك الذي يدخل للعمارة حاملا حقيبة كبيرة، رفعت حاجبها بتساؤل فلاحظ هو وقوفها، قال ببسمة صغيرة لم تتعدى حدود فمه:

- معلش وسعي من طريقي كده عشان شايل شنط كتير وكده هقع بيها

نظرت له بتعجب ثم انحنت جانبا ترمقه بتساؤل ووجدت خلفه رجل كبير في السن يسير ينظر للعمارة ببسمة حتى وقعت انظاره عليها فتقدم منها وقال ببسمة أكبر:

- انشانتيه مودمزيل، انا عزيز الهلالي ابو زين اتشرف بالقمر؟

كادت براءة تنفجر في الضحك من حديث ذلك الرجل فهو يبدو خفيف الظل عكس ابنه البارد، قالت ببسمة ترحيب :

- اهلا بحضرتك نورت العمارة

تحدث عزيز وهو يغازلها بكلامه المعسولة :

- حضرتك ايه بس قوليلي يا زيزو

تحدث زين من الأعلى بصوت حانق وساخر :

- إنت ياعم زيزو اخلص اطلع يلا

نظر عزيز للأعلى بتذمر ثم قال بصراخ :

- جاى يا خويا مش باخد منك غير البهدلة، تلاقي امك كانت مصلطاك عليا قبل موتها

ثم رمق براءة ببسمة وقال غامزا :

- هسربه واجيلك يا جميل ماشي؟ استنيني

ضحكت براءة بشده تهز رأسها بايجاب ثم صعدت خلفه لتكتشف أنهم المستأجرون للشقة التي تقابلها بجوار شقة عامر وجده، نظر زين لها جيدا قبل أن يغلق الباب مما جعلها تنفخ بضيق من بروده ذاك، ومن ثم دخلت لشقتها واغلقت بابها بعنف

لتمر دقائق دون حدوث شئ، حتى سمعت طرق الباب ففتحت الباب بإنزعاج وجدت عزيز يقف امامها ببسمة بلهاء فأرتخت ملامحها، تحدث عزيز ببسمة غبية :

- عندك سكر يا سكر

نظرت له ببلاهة لغزله هذا فأكمل بنفس البسمة العابثة :

- أصل قولت اكيد لما احتاج سكر لازم اروح للسكر نفسه وأخد منها

كادت براءة تجيب لولا فتح أحد ابواب المنازل الموجوده في ذلك الطابق وخروج سوسيتا منه تحمل القمامة فقال عزيز يرمقها بنظرات عابثة :

- بس محدش بلغني إن فيه قصب سكر هنا

أطلقت سوسيتا ضحكة عالية رنّ صداها في الطابق كله فدفع عزيز براءة بيده يقول :

- طب بالسلامة انت يا فرج يا اخويا، ايه العمارة العسل دي؟

جاء صوت من خلفه جعله يعبس وهو يسب في سره فكان الصوت لزين الذي هتف :

- تعالى يا عسل ادخل الشقة ومتطلعش منها تاني بقى لأحسن السكر يعلا عليك

نظر له عزيز بحنق وقال وهو يتجه له :

- فيه إيه كنت بجيب سكر عشان اعمل شاى،مجبش يعني؟

ضحك زين ساخرا منه وهو يدفعه للداخل :

- لا جيب يا حبيبي بس من السوبر ماركت تحت

تمتم عزيز بضيق وهو يدخل للشقة بينما رمق زين براءة بنظرات غامضة ودخل شقته ثم نظر من الثقب الموجود في الباب مترقبا ما ستفعله فوجدها تنظر لبابهم بضيق وتنفخ ثم دخلت واغلقت بابها بحده

ابتسم عليها ثم اتجه لوالده وقال وهو يجلس ويتحدث ببرود :

- احنا قولنا ايه قبل ما اجي يا عزيز

تحدث عزيز وهو يعيد عليه حديثه السابق :

- إن ده مجرد جزء من مهمة ليك ومينفعش ألفت النظر

تحدث زين ببرود وبسخرية شديد يستند بيده على قدمه للأمام :

- وهل انت شايف إن اللي بتعمله ده مش لفت نظر

ابتسم والده بغباء ثم نهض قائلا :

- ما انت برضو مقولتش إن العمارة دي متلغمة بالحلويات

لم يكد زين يجيب عليه بسبب سماعه لصوت ضوضاء في الممر فاتجه بسرعة للباب يخرج سلاحه وينظر من الثقب لباب تلك التي تقابله

فوجد مجموعة من الرجال تقف امام باب شقتها ويبدو عليهم الشر، إذا فقد وصلت إليهم معلومات عما حدث، توقع هذا لكن لم يتوقعه بهذه السرعة

نظر لوالده وأشار له بالهدوء ثم فتح الباب بهدوء شديد ونظر وجدهم قد اقتحموا الشقة بالفعل، خرج بسرعة من شقته ثم اتجه لشقتها.

بينما في الداخل كانت براءة تجلس على الاريكة تضم يدها لقدمها ولا تتحرك خوفا أن يتم إطلاق الرصاص عليها من ذلك المسدس الموجه لرأسها بينما باقي الرجال يقلبون منزلها رأسها على عقب فقالت بتذمر:

- ياعم قولتلك الورق مش معايا حرام على اهلك لسة مظبطة الشقة وطالع عين امي فيها، بعدين أنا لسه ماسحة حرام عليكم اقلعوا الجذم حتى

ضغط الرجل بالمسدس على رأسها مهددا :

- اسكتي متتكلميش ولا كلمة

صمتت براءة تقول بحنق شديد وتحسر على تعبها :

- سكت اياكش يسموا ميدان ولا حتى حمام عام باسمي لما اموت شهيدة

خرج الرجال من الغرف وهم يقولون :

- مفيش حاجة جوا ياباشا

تحدثت براءة بسرعة تبعد المسدس قليلا عن رأسها :

- اهو جالك كلامي، قولتلك مش عندي، الورق عند الظابط اللي اسمه منير، اقولك قريبه البارد ساكن في الشقة اللي قصادنا إنت تروح تاخده رهينة وتطلب من منير ده ياما الورق يا اما راس قريبه واهو لو مجابش الورق ابقى خلصت من برود اهله

كان زين يختبئ في الممر الذي يؤدي للبهو الذي يجلسون به وحينما سمع حديثها عض شفتيه بغيظ شديد وهو يقول :

- بتسلمني تسليم أهالي بنت ال.....

استعد جيدا ثم فجأة خرج من مخبأة لهم يرفع سلاحه عليهم ويقول ببرود ونظراته مرعبة :

- كل واحد يرمي سلاحه مكانه ويرفع ايده لفوق

صرخت براءة بسرعة ولهفة كبيره تشير له :

- اهو ياباشا هو ده قريبه امسكوه

نظر لها زين بإشمئزاز ثم بصق في الهواء :

- جذمة

أعاد نظره بسرعة لهم وصرخ بهم بتوحش وشراسة :

- كلامي واضح، كله ينزل سلاحه على الأرض

نظرت براءة لهم بقلق ترى نظراتهم المنشغلة بزين فتسحبت ببطئ دون أن يشعر بها احد واختبئت خلف الاريكة تدعي أن ينتهي الأمر سريعا، بينما لاحظ زين اختفائها فضحك بسخرية وفي ثواني كان ينطلق لهم وهو يقاتلهم بيده ، بينما براءة اخذت تزحف على يديها وقدمها حتى وصلت لمطبخها وحملت إحدى الأواني (الطاسة) وامسكتها ثم خرجت تمسكها كدرع واقي لها ووزعت نظرها بينهم حتى لاحظت أحدهم يحمل سلاحه ويصوبه على زين من الخلف فانطلقت له وضربته بقوة على رأسه فوقع أرضا وهو يصرخ بألم نظر زين خلفه بتعجب فوجدها تبتستم بفخر ولكن فجأة تغيرت ملامحها وهى تصرخ بفزع :

- .....

(الفصل الخامس)

"عام ٢٠١١"

سار مؤمن وهو يخرج من محاضرته كالعادة دون أن يحتك بأحد او يتعامل مع احد فهو منبوذ من الجميع بسبب تصرفاته الغريبة بالنسبة إليهم، ثيابه التي يعتبرها البعض قد جار عليها الزمن، لم يهتم مؤمن كثيرا بالهمسات التي تقتحم أذنه عن كم يبدو احمقا، أو كم يبدو كمن خرج من آله زمن من فترة التسعينات، فقط كل ما يرغب به هو الخروج من هنا وبأسرع وقت ليحتمي بغرفته الآمنة بعيدا عن العالم الخارجي المرعب، لم يكد تخطو قدمه في الحرم الجامعي حتى اصطدم بأحد الشباب من ظهره فسقط ذلك الشاب أرضا، بينما سقطت نظارة مؤمن فأخذ يمرر يده أرضا لعله يعثر عليها وبالفعل شعر بها تحت يده وما كاد يلتقطها حتى وجد قدم شخص تهبط فوقها محطمة إياها كليا نظر بفزع لها وحمل باقي حطام نظارته ينظر لها بصدمة ثم رفع عينه لذلك الشاب رامقا إياه بتشوش وصاح بنبرة غاضبة :

- إنت كسرت نضارتي، ايه مش شايفها تحت رجلك؟

غضب ذلك الشاب وجذبه بعنف ليقف مؤمن وينظر له بخوف تحدث الشاب وهو يقرب مؤمن منه ويقول بعصبية:

- وحضرتك وقعتني من شوية وواحدة بواحدة

نظر له مؤمن بفزع ولم يستطع التحدث، لكن وجد يد تمتد وتفك ثيابه من بين أصابع ذلك الشاب، فنظر له لكن للأسف كان وجهه مشوش

تحدث ذلك الشاب مخفيا مؤمن خلفه :

- كان واضح آوي أنه غصب عنه، ليه بقى تكسر نضارته مش عيب كده

ضحك الشاب على حديث ذلك الأحمق كما يعتقد ثم دفعه قائلا :

- طب يا حنين أطلع منها عشان مزعلكش

أمسك ذاك الشاب يده بعنف والذي لم يكن سوى زين وضغط عليها بقوة ثم قال وهو يضغط على يده اكثر:

- ايدك تترفع عليه تاني هكسرها ليك فهمت

نظر الشاب ليده بوجع كبير وكاد يصرخ منه لولا أن زين ترك يده وامسك يد مؤمن وأخذه بعيدا عنهم ثم جعله يجلس في مكان ما، ذهب وعاد بعد دقائق يحمل له زجاجة من الماء اعطاها له وقال بحنان:

- أتفضل أشرب متخافش

أمسك مؤمن الماء بيد مرتعشة لما تعرض له منذ قليل وتجرع البعض ثم قال بخفوت :

- شكرا

ابتسم زين بحنان لذلك الصغير والذي يبدو أنه يصغره بعام او اثنين فجأة سمع صوت فتاة تناديه وتقترب منه :

- ايه يا زين سيبتنا ومشيت ليه

نظر زين للفتاة ببسمة وقال يجذبها اليه :

- أبدا يا سونيا ده مؤمن صاحبي الجديد كنت بشوفه، مش كده يا مؤمن؟

هز مؤمن رأسه بامتنان لذلك الشاب الذي لم يلتقي به سوى مرتين ورغم ذلك ساعده

اقترب منهم شاب اخر وهو يهتف بنزق :

- ايه سايبني وبتعملوا ايه هنا، مين ده؟؟

تحدث زين يُعرِف أصدقائه على مؤمن :

- ده مؤمن صاحبي الجديد، ودي يا مؤمن سونيا خطيبتي، ورائد الديمري صديق عمري.

(في الوقت الحالي)

نظر زين لبراءة بتساؤل عن سبب نظراتها تلك فيبدو كما لو تحاول أن توصل له رسالة ما فقد كانت نظراتها شاخصة للخلف مشيرة بعينها لشئ ما، لم يفهم زين وأخذ يحرك رأسه بتساؤل ما هو قصدها، صرخت بنفاذ صبر :

- وطي راسك بسرعة

وبالفعل اخفض زين رأسه بسرعة تزامنا مع اندفاع يد براءة بما تمسكه ليصطدم بعنف في وجه أحد الرجال الذي يبدو وأنه كان يخطط لضرب زين من الخلف

انحنت براءة وأمسكت يد زين وركضت سريعا وهى تصرخ :

- اجري يا مجـــــــــدي

ركض زين معها بسرعة وهى تمسك يده وكأنه طفل صغير سيضيع منها، أخذت تسحبه خلفها على الدرج بسرعة كبيرة حتى شعر أنه سيسقط على وجهه بينما هى كانت تركض برعب لتنجو بحياتها حتى خرجت من باب العمارة فتركت يده وركضت بسرعة لمنزل الكلب الذي يقبع بجانب العمارة نظرت لزين وهمست له وهى تعد على يدها :

- واحد، آتنين، تلاتة

أنهت حديثها تفتح باب ذلك الكلب الشرس بطريقة تثير الرعب في النفوس ثم ركضت بسرعة مع زين في نفس وقت نزول الرجال انطلق لهم الكلب بينما براءة توقفت تنظر إليهم فأمسك زين يدها هذه المره وسحبها للسيارة الخاصة به ودفعها لداخلها ثم قاد السيارة بسرعة كبيرة ينظر للخلف، وأخرج هاتفه وأجرى اتصالا بوالده يخبره بالعودة للفيلا الخاصة بهم خوفا أن يذهب أحدهم اليه، حيث ذكرت لهم تلك القابعة بجانبه أنه يسكن مقابلها لذا لربما يعودون مجددا ويتعرض والده لأى أذى

نظرت براءة امامها وهى تتنهد براحة وتقول ببسمة :

- الحمدلله كنا هنروح فيها

ضحك زين بسخرية ثم أخذ يقلد صوتها وهى تعترف عليه :

- مش أنا ده الضابط منير وقريبه ساكن قصادي روحوا خدوه هو وهددوه بيه

نظرت له براءة ببسمة غبية وقالت :

- الاه انت سمعت؟؟ ده انت قلبك اسود يا أخي

نظر لها زين يضيق عينه وفجأة شعر بسيارة تصطدم به من الخلف فنظر من النافذة ليفتح عينه بصدمة ويقول :

- بدأنا اللعبة بدري اوي

نظرت براءة من النافذة بتعجب لحديثه ذاك لكن فجأة ضحكت بغباء وهى تقول :

- ده احنا هناكل ضرب

نظر زين امامه يركز نظره على الطريق ثم تحدث بجدية شديدة :

- امسكي نفسك كويس .....

شقت صرخات حياة السكون الذي كان يعم تلك القرية ترثي حالها فقد فقدت صباح ذلك اليوم جدتها وآخر من تبقى لها بتلك الحياة، بكت في أحضان إحدى الجارات لا تستوعب أنها اضحت وحيدة بلا سند او احد تشكو له همًا لم يتبقى لها سوى الصغير، وعلى ذكر الصغير أخذت تنظر حولها بلهفة ورعب فتحدثت إحدى السيدات بنبرة مشفقة :

- اهدى يابنتي وصلي على النبي كده، ربنا يرحمها يارب

نهضت حياة بفزع تنظر حولها وتهمس بضياع منادية الصغير وكأنه سيجيبها :

- يحيى.... يحيى، فين يحيى؟؟ فين ابني؟

نظرت السيدات لبعضهن البعض بإستنكار شديد، وتحدثت واحدة منهن بإستهجان :

- ابنك مين يابنتي هو إنتِ متجوزة؟

لم تهتم حياة بالإجابة عليها وركضت لإحدى الغرف وهى تستمع لبكاء الصغير فحملته بحنان شديد تبكي مصابها :

- بس يا حبيبي خلاص ماما هنا، خلاص مبقاش ليك غيري ولا انا بقى ليا غيرك

علت الهمهمات في الخارج حول هوية ذلك الطفل واذا ما كان طفلها حقا كما تقول ام ماذا؟

لم تهتم حياة لما يُقال عنها في الخارج بل لم تهتم بمن في الخارج من الأساس كل ما تهتم به يقبع الان بين ذراعيه بكل وداعة ولطف يجعلها تخر صريعة أمامه، لكن سمعت ضوضاء في الخارج وصوت رجولي تعرفه جيدا، كيف تنساه وهو من كان رفيق كوابيسها للأيام السابقة، ضمت الصغير لقلبها جيدا ثم خرجت تنظر للوجوه بخوف حتى وقع نظرها عليه وهو يرمق الصغير بنظرات حنونة ولكن لم تهتم، بل هتفت بشراسة وغضب :

- انت؟ بتعمل ايه هنا ايه جاى تشمت فيا؟

تحدث بإستنكار لحديثها ذاك مقتربا منها صائحا :

- اشمت فيكي؟؟ انتي هبلة؟؟ انا مش عايز منك غير ابني وبس هاخده وامشي من هنا

ومجددا علت الهمهمات بين الجميع متسائلين إن كان لحياة علاقة مع ذلك الغريب عن قريتهم

هتفت حياة بحدة وقسوة وهى تعود للخلف :

- ابنك؟؟ ابنك مين إنت ملكش عيال هنا؟ يحيى يبقى ابني أنا وانت ملكش حق فيه

تحدث ببسمة ساخرة فقد أطلقت من نفسها اسم على ابنه دون أخذ رأيه :

- اسمعي بقى انا صبرت كتير عليكي لو مجبتيش ابني بالذوق هاخده بالعافية واللي كانت منعاني عنك خلاص راحت لرب كريم فدلوقتي هاتي ابني بالذوق بدل ما أخده بطريقة متعجبكيش

كانت الأعين الفضولية تتابع الحديث حتى تدخلت إحدى الجارات قائلة بنبرة قاسية ناسية أنها الان تقف في عزاء جدة من تلقي بوجهها اتهامات دون وجه حق :

- صحيح اللي اختشوا ماتوا، لسه جدتها دمها مبردش وفجأة يظهرلنا ابن وزوج

نظرت لها حياة بصدمة لحديثها ذاك بينما تبدلت نظرات وائل من الانزعاج للغموض مفكرا في أمر ما حتى هتف بما جعل أعين حياة تُفتح بصدمة :

- لما تتكلمي مع مراتي تتكلمي بأحترام

تمسكت براءة في السيارة جيدا بعدما ربطت حزام الأمان ونظرت خلفها للسيارات التي تلاحقهم فقد كان عددها كبير جدا لطمت براءة خدها برعب :

- هو طلع رئيس جمهورية ولا إيه يارتني ما بلغت يعني لا اتكرمت ولا اتنيلت

ازدادت سرعة السيارة بشكل مرعب وزين يحاول الفرار منهم بأى شكل ولكن يبدو أنه محاصر

حاول زين التركيز على الطريق ولكن مع صراخ تلك التي بجانبه شعر بتشتت كبير فصرخ بها بغضب :

- بـــــــــــــــس ، اسكـــــــــــــتي

نظرت له براءة بغضب شديد كيف يصرخ بها وهى بهذه الحالة فبادلته الصراخ وقالت بغيظ شديد :

- كله منك يا خرابة انت داخل وماسك مسدسك، وطيخ طاخ طوخ، مش قد المسدسات بتمسكوها ليـــــــــــه؟

نظر لها زين بشر وكاد يعنفها على حديثها، بينما هي امسكت زجاجة الماء التي سقطت أسفل قدمها وأخذت تسكبها من النافذة وكأنهم من نار وهكذا ستطفأهم، صرخ زين لا يفهم ما تفعل :

- ايه القسوة اللي في قلبك دي هتموتيهم مبلولين

كادت براءة تجيب عليه بغيظ من سخريته

ولكن شعر زين برصاصات تصيب السيارة فأمسك رأسها وانزلها للأسفل ثم أخذ يحاول تجنب منطقة الإطلاق لكن لم يستطع فنظر لها يزيد السرعة أكثر وأكثر بينما هى كانت تتلو كل ما تحفظ من آيات قرآنية وادعية:

- والله ما هفتري تآني يارب، انا كان مالي بس ومال الاكشن انا اخري كوميدي والله

لم يعرف زين هل يضحك ام ماذا في هذا الموقف، نظر لها جيدا ثم قال يركز نظره على المرآه الجانبية ليرى السيارات :

- بتعرفي تسوقي؟

نظرت له براءة نظرات غباء مفكرة في سؤاله فهى لم يسبق لها أن قادت سيارة سابقا :

- بعرف اسوق عجل

نظر لها بغباء فاكملت بحماس شديد ونست وضعها ذاك :

- وكمان بعرف اسوق عربيات ك

قاطع كلمتها فهو سمع ما يريد نظر لها جيدا وقال :

- هتحرك للشباك بتاعك وإنتِ تيجي مكاني هتسوقي وتكملي في طريقك على طول اوعي تقفي ماشي

نظرت له بغباء، هى تقود؟ ماذا يفعل ذاك الغبى إن كان يرغب في الموت فليمت وحده وليس معها، لم يعطها فرصة للتفكير وانتقل من مكانه للنافذة الخاصة بها وهو مازال يميل بجسده تجاه المقود ويصرخ بها :

- اخلصي اتحركي للدريكسون(المقود)

نظرت له ببلاهة تردد تلك الكلمة الغريبة على مسامعها قليلا :

- كلسون؟

فتح عينه يتشنج بغضب ثم دفعها بعنف جهة المقود فجلست هي ونزع يده من المقود أخرج سلاحه ثم اخرج نصف جسده من النافذة ونظر لها قائلا :

- دوسي بنزين وزودي السرعة واطلعي في وشك

كانت براءة في عالم آخر لا تعلم ماذا تفعل فهناك ازرار كثيرة أمامها وأشياء تبدو لها معقدة للغاية، ابتلعت ريقها بتوتر ثم أمسكت المقود، وأخذت تحركه للجهتين كما كانت ترى عمها يفعل ولكن كانت حركاتها اقوي كثيرا مما يجب فأصبحت السيارة تتحرك كما لو كانت تؤدي رقصة ما.

كان زين يضرب الرصاص على السيارات ويصيب من يصيب لكن فجأة شعر بحركة السيارة الغريبة فنظر لها وصرخ :

- إنتِ بتعملي ايه؟؟

لم تكن براءة تستمع له بل كانت تتحرك بالسيارة في عدم اتزان فأخذت السيارة تدور حول نفسها بطريقه مرعبة وهى تصرخ برعب ومازالت مستمرة في الدوران بالسيارة

بينما زين كاد يسقط العديد من المرات بسبب حركة السيارة العنيفة، فتمسك بالنافذة صارخا بفزع من حركة السيارة التي قد تسبب لهم حادثة :

- بتعملي ايه الله يخربيتك

كانت براءة تبكي وهى تمسك المقود وأخذت تضرب به بقلة حيلة :

- متوترنيش اسكت

لم يجيب عليها زين حيث وجد الرصاصات تعود مجددا فألقى نصف جسده من السيارة بينما باقي جسده يتمسك من الداخل بالباب وأخذ يحاول التصويب على السيارات لكن الحركة المجنونه لسيارته تحول دون ذلك، وقد بات يشعر بالدوار بسبب وضعه مع حركة السيارة.

كانت السيارات المطاردة لهم لا تستطيع التصويب عليه بسبب حركة سيارته غير المنتظمه فظنوا أن هذه خطة منهم.

نظرت براءة حولها لعلها تجد ما يمكنه مساعدتها فجأة وجدت زر غريب فضغطت عليه لعله يوقف السيارة لكن لم يحدث شئ فضربت عليه بغضب وقد ازداد خوفها فجأة سمعت صراخ، نظرت جانبها وجدت زين يمسك في باب السيارة الذي فُتح وهو يركض خلف السيارة، نظرت للزر مجددا وقد علمت وظيفته فهو يفتح الباب.

كان زين يخشي أن يترك باب السيارة فيتم دهسه اسفل إطارتها وكل ذلك بسبب تلك الغبية، توعد لها بداخله سوف يقتلها هو بيديه بعدما ينتهي من هذا كله، كانت براءة تبكي برعب لكن عندما رأت مظهر زين يركض هكذا خلف السيارة ضحكت بغباء عليه، بينما هو كان مشغولا بالتفكير في ابشع الطرق لقتلها

وللحظ كان مجال التصويب هكذا افضل فأخذ يركز انظاره جيدا على السيارات حتى اطلق رصاصته فأصابت السيارة الامامية التي انحرفت عن مسارها وأصدمت بها باقي السيارت

صرخ زين في براءة بغضب :

- بطئي العربية، بطئي الله يخربيتك

أخذت تضرب خدها صارخة :

- مش بعرف، مش بعرف

أشار لها زين كيف تبطئ السيارة، فنفذت هى ما قاله حتى استطاع الصعود للسيارة مجددا واقترب من مقعد السائق يصرخ بها :

- اوعي يابت من هنا، اوعي بدل ما ارميكي تحت عجل العربية وافرمك

زحفت براءة لمكانها في الجهة الاخرى بينما تولى زين القيادة وزاد سرعته بطريقة جنونية حتى خرج من هذا المكان بأكمله ووصل لمكان شبه خالي فتوقف بسيارته بعنف ووضع رأسه على المقود يتنفس

بغضب شديد ثم رفع عيونه لها وقد كانت تطلق الشرار، فأبتسمت بغباء تحاول أن تهدأه :

- بس إيه رأيك في الزفة الي عملتها دي، حد يعرف يخمس بالعربية كده؟؟

وصل فرج حيث الشجار مع أحد الغفر الخاصين به بعد أن تولى رسميا عمدة للقرية، تقدم من التجمع يهفت بصياح وصوت عالي في الجميع :

- فيه إيه منك ليه؟ اوعى من السكة كده

اندفع متخللا ذلك الجمع ليرى سبب ذلك الشجار الذي تسبب في تعطل الشارع كله، وصل فرج لبؤرة التجمع ينظر حوله بتهكم:

- والله عال، كله سايب مصالحه تضرب تقلب وجاى يتفرج على الخناقة، شعب يموت في المصايب زى عينه

أستمر الجميع في المشاهدة بكل فضول لمعرفة النتيجة التي ستؤل إليها تلك المشاجرة، فإزداد صراخ فرج بهم :

- كله على مصالحه منك ليه، يلا خلصنا المولد انفض يلا كله يروح يشوف مصالحه، انجر ياض منك ليه

أخذ الغفر يبعدون الناس عن الطريق حتى رحل الجميع يتمتمون بحنق فقد ودوا لو يحضروا تلك المشاداة ليروا إلى ما ستئول الأمور.

نظر فرج للرجلين اللذان قد تسببا في تلك المشاجرة :

- وانت وهو ورايا على الدوار، لما نشوف اخرتها ايه؟

سار فرج للمنزل وخلفه الرجلين وكل منهم يرمق الاخر بشر وعدائية واضحة وكأن أحدهم قد هدم معبد الاخر فوق رأسه او قتل له أحد المقربين.

دخل فرج للمنزل ثم اتجه للملحق وخلفه الرجلين وبعض من الغفر الخاصين به، ثم أمرهم بالجلوس وتنهد متحدثا :

- ها كنتم معطلين الدنيا دي ليه وايه اللي حصل لكل الخناق والزعيق ده؟

نظر احد الرجال لآخر بشر ثم قال بحسرة:

- يا عمدة كان هيموت كل الغنم بتاعي

صاح الاخر مندفعا يدافع عن نفسه :

- والله كداب يا عمدة انا حتى مهوبتش(اقتربت) ناحية الغنم بتوعة، ده هو اللي عايز اى حاجة عشان يلزق غلطة فيها

صاح الاخر في حدة وغضب شديد واقفا امامه :

- وكمان بجح، انا شوفتك بعيني دي يا كداب بسببك ماتت معزتي الصغيرة وكان ممكن الباقي يموت لولا ستر ربنا والرجالة اللي ساعدوني.

صرخ بهم فرج وقد نفذ صبره فهو لا يفهم منهم شيئا:

- بس منك ليه، الأول احكولي ايه اللي حصل خليني اشوف مين الغلطان من اللي مش غلطان

بدأ ذلك الرجل الذي فقد غنمته الصغيرة بالتحدث بحزن وحسرة :

- يا عمدة انا طلعت زى كل يوم وانا واخد الغنم للارض عشان يلقطوا في الزرع، وانا ماشي في الطريق قام جه الجدع ده خلى الغنم بتوعي يرموا نفسهم في الترعة وغرق الغنمة سوسن يا عمدة وحرق قلبي وقلب امها عليها.

تحدث العمدة بعدم فهم لنصف حديثه الذي يبدو غير منطقي بالمرة :

- خلاهم يرموا نفسهم في الترعة ازاى يعني، هددهم يرموا نفسهم ولا زقهم

كان يبدو حديثه ساخر بعض الشئ فالأمر برمته غريب ويدعو للسخرية أجاب عليه نفس الشاب :

- لا يا عمدة، أصله الواد ده معود المعزة بتاعته كل يوم تطلع وتنط في الترعة وهو معاها، متعرفش بقى غباء ولا تخلف

قال حديثه رامقا الاخر بامتعاض ثم اكمل :

- الغنم بتوعي من حظهم المهبب وحظ سوسن الأسود شافوا المعزة الهبلة بتاعتة بتنط في الترعة وهو كان معاها، وانت عارف يا عمدة الغنم لو شافوا واحدة منهم بترمي نفسها

قدام القطر الباقي بيروح وراها، فلما هما شافوا المعزة بتاعتة بترمي نفسها في الترعة قام كل الغنم نزلوا وراها، وسوسن يا عين امها مستحملتش وماتت

أنهى كلامه بنبرة حزينه يكاد يبكي على غنمته الصغيرة بينما كان العمدة يحاول استيعاب ما يحدث امامه فقال بنبرة يبدو عليها عدم الفهم للشاب الاخر :

- وانت كنت بتنزل معزتك الترعة ليه؟؟ حرانة ولا إيه؟

قال الشاب بسرعة يدافع عن غنمته ونفسه :

- لا يا عمدة ده انا كنت بعلمها العوم، وفجأة لقيت الغنم بتوعه نطوا لوحدهم ورانا، يعني مش ذنبي

تمتم فرج ساخرا من افكار ذلك الشاب الغريبة :

- بتعلمها العوم؟؟ هى كانت اشتكتلك ولا تكونش هتشارك في الأولمبياد، ايه رانيا علواني؟

صرخ به الاخر بغضب واعتراض يمسكه من تلابيب ثيابه :

- لا غلطتك انت، وبسببك ماتت سوسن

ضرب فرج بعصاه أرضا يزجرهم أن يتوقفوا:

- بس منك ليه اقعدوا خليني اعرف اتكلم، اتنليوا اقعدوا

جلس الاثنان بحنق وكل منهم يرمق بنظرات قاتلة، قاطع فرج تلك النظرات صارخا بهم :

- ما كل واحد يقوم يدي التاني بالقلم احسن

تنفس بعنف ثم قال حاسما لينهي تلك المشاداة وهو يفكر في حل :

- هى المعزة اللي ماتت دي تكلف كام كده؟

قال الشاب بقلب مكلوم وكأنه فقد ابنته الصغيرة وليس غنمته :

- سوسن؟

صاح فرج بنفاذ صبر وقد وصل لحافة الغضب :

- ايوة زفت الطين سوسن دي تطلع بكام؟

نظر له الشاب وقال وهو يفكر جيدا :

- هى لسه صغيرة يعني مش كتير ممكن تكون ٦ الالاف جنية

صاح الشاب الاخر بإستهجان واعتراض على السعر :

- ٦ الالاف جنية ليه؟؟ كنت بتعلفها (تأكلها) ياقوت ومرجان إياك

صاح الاخر مقابله بغلظة وغضب :

- لا بس سوسن بالذات كانت غالية على قلبي لا ياقوت ولا مرجان يعوض غيابها

ضرب فرج بعصاه الأرض ثم صرخ بهم بغضب وصل لمداه :

- بس منك ليه، واسمعوا كويس اللي هقوله، احنا هنروح لحد يقدرلنا المعزة اللي ماتت دي ونص المبلغ اللي هيحدده انت اللي هتتكلف بيه

كان يقصد بكلامه الشاب الذي كان يسبح مع غنمته

فتحدث الاخير بأعتراض شديد :

- وانا مالي يا عمدة كنت انا اللي اخدتهم ناحية الترعة ولا انا اللي زقتهم، ده ميرضيش ربنا

نظر لهم فرج ثم قال منهيا حديثه :

- خلص الكلام، انت غلطت عشان تنزل الترعة ومعاك معزتك قدر عيل شافك ونط وراك كنت هتعمل ايه، والتاني غلط عشان معرفش يسيطر على الغنم بتوعه وسرح عنهم وكان ممكن يلحق منهم شوية، كل واحد منكم هيتحمل نص التمن

ثم نظر لذلك الشاب الذي يملك غنمة واحدة وقال يرمق ملامحه العابسة :

- معلش يابني، هو كده الغباء بيكلف صاحبة كتير

- اتفضلي إدخلي برجلك اليمين يا عروسة

كانت تلك كلمات وائل لحياة التي كانت تحمل يحيى الصغير ترمقه بإزدراء وإشمئزاز، ثم خطت بقدمها داخل ذلك المنزل الذي وللأسف الشديد قد أصبح منزلها بعد زواجها من ذلك الرجل والذي وافقت على الزواج به مجبرة بعد أن تحدث امام الجميع وادعى انها زوجته، وقد تزوجها من مدة وهذا ابنهم وهى ترفض العودة معه وترفض أن تعطيه طفله، ثم حديثه لها على انفراد وتهديده لها أن القانون في صفه فهو يستطيع إثبات أن هذا طفله هو وأخذه منها عنوة، إلا إن وافقت هى على إكمال تلك التمثيلية وتصبح زوجته خاصة أنها لم تعد تملك من يحميها من شرور هذه الدنيا بعد وفاة جدتها، كما أنه بحاجة لم يربى طفله الصغير ويكون حنون عليه وهو لن يجد ذلك سوى بها هى من اعتبرته طفلها وليس طفل صديقتها،فوافق الاثنان على إتمام ذلك الزواج كلا لمصلحته الشخصية لا أكثر

خرجت من شرودها على حديثه يدعوها للدخول فأدركت أنها ما تزال تقف على باب الشقة فدخلت بخطوات متمهلة تنظر في أنحاء ذلك المنزل الذي يُعد كبير بعض الشئ وتفاجأت بأمرأة كبيرة في السن قليلا تقترب منهم بجسدها الضخم المترهل وهى تمد ذراعيها لزوجها المزعوم وتتلقفه بين ذراعيها بحنان، ضمت حياة الطفل لها وكأنها تحتمي به

ابعدت نوال (والدة وائل) ابنها الأصغر عن احضانها ثم نظرت لتلك التي ترمقهم بنظرات جامدة واقتربت منها تبتسم لها بحنان :

- اتفضلي يابنتي ادخلي واقفة كده ليه؟

كان وائل قد أخبر والدته كل شئ له علاقة برجاء وحياة وطفله الصغير يحيى ولكن طلب منها ألا تخبر احد من اهل المنزل، وتقول أن هذه زوجته التي تزوجها أثناء سفره الاخير، فهو قد أخفى عنهم مهمته السرية ولكن أخبر بها والدته تلك السيدة الطيبة.

اقتربت حياة بحذر من نوال تتحفز لأى فعل مفاجئ ولكن لم تمنحها نوال الفرصة لفعل شئ حيث جذبتها بين احضانها بود وهى تربت على ظهرها وتواسيها :

- وائل قالي على اللي حصل ليكي، البقاء لله يا حبيبتي

غامت عيون حياة بالدموع تضم الصغير اكثر وتهمس بجفاء :

- الدوام لله وحده

تحدث وائل وهو يمازح والدته :

- ايه يا نونو فين الاكل اللي جهزتيه ولا عايزة العروسة تقول عليكي بخيلة

ضربت نوال على صدرها بفزع وهى تقول :

- يا ندامتي ودي تيجي يابني، حالا هتلاقي الطبلية (طاولة الطعام) مليانة اكل من اللي قلبك يحبه.

انهت كلامها راكضة جهة المطبخ تزامنا مع فتح أحد ابواب المنزل وخروج فتاة منه بشكل فج، فظنتها حياة أنها اخته لكن الفتاة تحدثت بنبرة مقززة وفزع يبدو مصطنعا:

- يادي الكسفة، سي وائل هو إنت رجعت؟

نظرت حياة لوائل بنظرات مشمئزة بينما تجاهل هو تلك النظرات وحدج تلك التي تقف أمامه بكل صفاقة غير مراعية لا لدين ولا أصول:

- آه رجعت يا مرات اخويا، واظن أن اخويا مش هيكون مبسوط لما يعرف إنتِ استقبلتيني ازاى

اعتدلت زوجة أخيه بغضب ترميه بنظرات حارقة ثم دخلت لغرفتها مجددا وهى تغلق الباب بعنف خلفها بينما زفر وائل بإشمئزاز من تلك الفتاة التي احضرها أخيه الاكبر لمنزلهم.

تحدثت حياة بجمود وملامح غير مقروئة :

- فين اوضتي؟

نظر لها لثواني قبل أن يشير لها على إحدى الغرف لتركض إليها دون أن تمنحه حتى نظرة واحده، فزفر بضيق وهمس وهو ينظر لاثرها :

- شكل الايام الجاية صعبة

نظر زين لها بغضب يحمل حزام بنطاله في يده بعد أن نزعه، فصاح بها مهتاجا :

- بقولك انزلي بدل لو نزلتك انا هطلع عينك

تحدثت براءة التي تقف فوق سيارته خوفا منه ومن غضبه الذي يكاد يحرقها :

- يا سلام على اساس لو نزلت مش هتعملي حاجة؟ أمال حزامك اللي في ايدك ده هتعمل بيه ايه؟ هتحزمني؟؟

اغتاظ زين من نبرتها واقترب من السيارة اكثر فعادت هى للخلف بحذر بينم صاح هو بها :

- لما إنتِ بقرة ومش بتعرفي تسوقي بتقولي بعرف أسوق عربيات ليه؟

تخصرت براءة بتذمر وهى تهتف به صائحة :

- لا عندك ده مش غلطي انا ده غلطك، انت اللي مستنتش اني أكمل كلامي، انا كنت بقولك اني بعرف اسوق العربيات الكارو ام حمار دي عارفها؟

زين بسخرية لاذعة يحرك يده بجنون :

- ألا عارفها، ما الحمار قدامي اهو

شهقت براءة بفزع وهى تشير لنفسها بإستهجان:

- انا حمار؟؟ انا حمار يا طور انت؟ صحيح اقول ايه ما هو البعيد أعمى يعني ليس عليك حرج

ضرب زين السيارة بقدمه وهو في قمة غضبه وصرخ بها :

- والله لاوريكي يا براءة الكلب إنتِ بس تقعي في ايدي وانا مش هرحمك

تركها متجها لمقدمة السيارة التي كانت تخرج دخان كثيف ففتح السيارة قائلا بقلة حيلة :

- هنعمل ايه؟

قالت براءة ببساطة كأن الأمر عادي :

- زودها ماية وهي هتدور

ارجع زين خصلات شعره للخلف قائلا :

- خلصانة

ابتسمت براءة غامزة له :

- اشطا يا زميلي

تشنج زين لاويًا فمه وهو يهتف :

- اشطا يا زميلي ايه؟ بقولك خلصانه، الماية خلصانة عشان كان فيه بقرة ماشية تدلقها (تسكبها) وراها

لوحت براءة بيدها بعدم اهتمام وبرود شديد قائلة :

- طب وهنعمل ايه دلوقتي وهنروح فين؟؟

زفر زين يغلق السيارة بعنف قائلا:

- هتمشي لحد ما نقابل اى ميكانيكي يجي يصلحها عشان نشوف هنعمل ايه

أشارت بإصبعها تهدده بخوف :

- اوعى تفكر تبيعني احسن انت معايا وهما خلاص شافوك يعني احنا في الهوا سوا

نظر لها ثم ضحك بسخرية آه لو تعرف أنها مهمته التي كُلف بها

صمت قليلا ثم قال بتأني وتفكير عميق :

- لازم نلاقي مكان آمن نستخبى فيه لغاية ما افكر في طريقة نخرج بيها من البلوة دي

جلست براءة على سقف سيارته تضع يدها على خدها بحنق صائحة باعتراض :

- مكان آمن ايه انا مش هتحرك من هنا غير لما أكل

(عام ٢٠١١)

عاد مؤمن لمنزله بعدما جلس قليلا مع زين واصدقائه الذي ولأول مرة يشعر أنه مرغوب بينهم، وجد والده يجلس مع والدته في بهو المنزل فأبتسم لهم واقترب يقول :

- السلام عليكم

رد والداه السلام مبتسمين له وبادرت والدته تقول :

- اقعد يا حبيبي لغاية ما اجهزلك الأكل.

ابتسم لها مؤمن وهز رأسه بموافقة فذهبت والدته لتعد له الطعام بينما حدثه والده وهو يقترب من صغيره الحبيب :

- شايفك مبسوط يعني يا عم مؤمن، خير إن شاء الله

نظر له مؤمن ببسمة ثم قال بحماس ولهفة يعدل نظارته التي أصر زين على شرائها له بعدما تحطمت القديمة :

- أصل يابابا انهاردة اتعرفت على صحاب جداد

رمقه والده بتوتر وقلق شديد ثم اعتدل في جلسته قائلا :

- صحاب جداد؟؟ مين دول، ويعرفوك منين؟

خشى مؤمن أن يخبر والده بأمر مشاجرته فهو يعلم أن والده مجنون فيما يخصه فقال بنصف حقيقة :

- خبطت في واحد منهم وانا داخل المحاضرة غصب عني وقعت وكسرت نضارتي فهو أصر يجبلي غيرها واعتذر وكان طيب آوي وعرفني على صحابه وبقينا صحاب كلنا

تعمد مؤمن ذكر امر النظارة حتى لا يشك والده اذا ما رأى نظارته الجديدة.

رمقه والده بنظرات غامضه جدا ثم ربت على كتفه وحاول الابتسام وقال :

- قولتلي اسمه ايه صاحبك ده

قال مؤمن ببسمة واسعة وفرحة لظنه أن والده تقبل الأمر :

- اسمه زين الدين الهلالي..

***

(الفصل السادس)

سمعت دق على الباب فأنتفضت بفزع تنظر نحوه أخذت تبحث حولها حتى تجد حجابها الذي خلعته فور دخولها، لكن فُتح الباب فجأة فجعلها تجفل في جلستها وتصوب نظرات نارية لذلك الذي تعدى على حرمة غرفتها، حدق وائل بإنشداه يمرر عينه عليها ثم ابتلع ريقه يشير للخزانة التي تستقر في أحد أركان غرفته قائلا :

- جيت بس أخد لبس ليا، كملي اللي كنتي بتعمليه عادي مش هزعجك

نظرت له تقول بعدم فهم لحديثه السابق :

- ولبسك بيعمل ايه هنا

توقف في منتصف طريقه للخزانة ثم استدار لها هاتفا بلهجة ساخرة :

- يمكن عشان اوضتي مثلا؟

نهضت تضع حجابها على رأسها بغضب شديد :

- وهو إنت دخلتني اوضتك ليه أن شاء الله

لم يكد يجيب حتى صرخت به بعدم تفاهم وعنف :

- تكونش مفكر اننا اتجوزنا بجد، لا فوق كده اللي بنعمله ده مسلسل فبلاش خيالك يسرح بيك لبعيد

احمرت عين وائل بغضب شديد ثم انطلق لها وامسك ذقنها يناظرها بعنف :

- إنما للصبر حدود، بلاش تستنفزي ذرات صبري اللي مخلياني مستحمل لسانك المبرد ده فاهمة؟

نظرت له بإشمئزاز ثم همست ولم تستطع منع دموعها :

- بكرهك

ترك ذقنها يفتح خزانته قائلا بسخرية لاذعة :

- حوش انا اللي دايب فيكي، انا بس مستحملك عشان يحيى، إنما غير كده متدخليش راسي ببصلة

أنهى حديثه ثم خرج من غرفته يقنع نفسه أنها من استفزته بحديثها ذاك، بينما في الداخل ارتمت حياة على الفراش تبكي بشدة يائسة من تلك الحياة التي لم تسبب لها سوى الالآم والبكاء

في احد المطاعم الفاخر :

دخلت براءة برفقة زين تحت نظرات صدمة من الجميع لما ترتدي حيث كانت ترتدي بنطال واسع وبلوزة طويلة وواسعة جدا عليها

رسومات كرتونية وتضع حجابها على رأسها في شكل مزري وخف منزلي على هيئة فأر، تحدثت بتعجب لنظرات الجميع :

- هما بيبصوا كده ليه؟

تحدث زين بسخرية لحديثها :

- يمكن عشان لبسك المبهر ده

تجاهلت براءة حديثه ثم اتجهوا لطاولة بعيدة عن الانظار فأتى احد العمال ليرحب بهم ومعه نادل يحمل صينية.

نظرت براءة برعب لتلك الصينية التي يحملها النادل ثم قالت بتشنج تراه يضع زجاجتين من المياه على الطاولة فقالت بغباء :

- ايه ده يا كابتن؟

قال النادل ببسمة متعجبة من ذلك السؤال :

- دي مايه يا فندم

قالت براءة بنبرة مسائلة :

- هو حد قالك انه عرق سوس منا شايفة انها ماية بس احنا لسه مطلبناش حاجة

ضحك النادل بسماجة قائلا :

- لا يافندم دي من ضمن service (الخدمة)

نظرت براءة بغباء لزين قائلة :

- انت طلبت سرسيف؟

كتم زين ضحكته عليها ثم حاول اسكاتها قائلا :

- استريني الله يكرمك يا شيخه الناس هنا عرفاني

لم تعره براءة اهتمام ثم نظرت للنادل الذي كان ينتظر حديثها :

- طب والسرسيف ده بفلوس ولا سوڤينير (تذكار) من المطعم

تنحنح النادل يحاول الاحتفاظ بابتسامته قائلا :

- احم ال service بتنضاف للفاتورة يا فندم

قالت براءة بتقرير اكثر منه سؤال :

- يعني بفلوس؟

هز النادل رأسه ببسمة قائلا :

- بالضبط يا فندم

ابعدت براءة زجاجات الماء قائلة :

- لا خلاص بطلناها الشغلانة احنا مش هنشرب مايه

نظر لها النادل بغباء فقالت براءة ولم تتمكن من الصمت :

- هو اكمن الأهبل اللي جنبي ده فلوسه كتير فقولتوا نضحك عليه ، لا اوعى يغرك تويتي اللي على التيشيرت ده انا متشردة، هو سؤال وترد عليه ليه جايب ازازتين (زجاجتين)

اجابها النادل ببسمة ساذجة قليلا :

- لا يافندم دول واحدة كبير وواحدة صغيرة

قالت براءة بانبها مصطنع :

- ايوة فعلا تصدق، الحق يا زين دول طلعوا واحدة كبير وواحدة صغيرة

كان زين يخفي وجهه باحراج من براءة وهو يكاد ينفجر غيظا منها فاكملت براءة بتساؤل :

- معلش سؤال تاني عارفة اني مزعجة، بس هو ليه جايب آتنين، يعني هل مثلا كنت جايب الكبيرة فالصغيرة شبطت فيها، ولا كنت جايب الصغيرة فخافت تتوه في الطريق قامت جابت ولى امر معاها؟

فتح النادل فمه ببلاهه ولم يتحدث فقال براءة بنبرة مخيفة :

- بكام بقى الاتنين الحلوين دول؟

تحدث زين وهو يمنعها من الاسترسال في الحديث :

- احم بعتذر بس هي بتحب تهزر شوية

ابتسم النادل له بتكلف ولكن قالت براءة بعناد :

- لا مش بهزر انا بتكلم جد، بكام الاتنين دول؟

قال النادل بتعجب من تصرفات براءة :

- حضرتك الحساب كله بيكون موجود في الفاتورة، ودلوقتي تحبوا تطلبوا ايه؟

كادت براءة تسمعه المزيد من حديثها فقاطعها زين يمسك قائمة المأكولات وطلب له ولها الطعام ثم صرف النادل وبعدها نظر بشر لبراءة التي رمقت الزجاجة بغضب وغيظ تقول :

- الحساب كله هيكون في الفاتورة يا فندم، راجل سخيف

نظر لها زين بحنق قائلا :

- مش شايفة انك زودتيها شوية؟

اقتربت منه براءة قائلة :

- وانت مش شايف إنك مبحبحها(متساهل) شوية؟ يعني إيه ينزلك ازازتين ماية على تربيزة واحدة، ده احنا لما كنا ندخل مطعم ونطلب اكل مكانش حد بيقرب من محيط للازازة بمتر كأنها متكهربة، واللي العطش يقتله قتل كدة ويفتحها كنا كلنا نشرب منها وهو اللي يدفع تمنها في الاخر لانه هو اللي فتحها

لوت فمها مكملة ترمق الزجاجتين :

- وكان يا كبدي يفضل يتحصر على التلاتة جنيه اللي دفعهم في المايه لأسبوع قدام، شوف انت بقى الاتنين دول هيبقوا بكام، دول مش بعيد يكونوا بعشرة جنيه

بعدم مرور ساعة تقريبا وانتهاء براءة وزين من الطعام كانت براءة تمسك الفاتورة وهي تنظر للحساب بصدمة كادت تصيبها بالشلل تردد بعدم وعى:

١٠٠ جنيه ماية ، ١٠٠ جنيه؟

تشنج فمها ترفع نظرها للنادل قائلة :

- لو سمحت في خطأ مطبعي هنا، بص فيه صفر زيادة هنا اهو

نظر النادل بتعجب للفاتورة قائلا :

- لا يافندم مفيش خطأ مطبعي ولا حاجة الأرقام كلها صحيح

نظرت براءة للورقة مجددا قائلة بعدم فهم :

- ايوة بس ده مكتوب ١٠٠ جنية عند المايه، احنا مطلبناش كولدير دول هما ازازتين بس

قال النادل ببسمة عملية وهو يحدث براءة :

- ايوة يافندم هما الازازتين ب١٠٠ ؛ الكبيرة ب ٧٥ والصغيرة ب ٢٥

صاحت براءة بتشنج وهي تحدثه :

يا أخي ١٠٠ عفريت لما يركبوك

امسكها زين يحذرها بعينه فابعدت يده قائلة :

- اوعى ياعم ده بيقولك ب ١٠٠ جنيه، ١٠٠ جنيه ليه يابا؟ ماية زمزم ولا اكسير الحياة؟ اوعى تكون ياض مفكرنا خواجات، لا اصحى كده ده انا من.....

قاطع حديثها زين الذي نهض سريعا وهو يخرج المبلغ من ثيابه ويكتم فمها قائلا ببسمة فيكفيه ما لاقى من احراج :

- متشكرين جدا

ثم خرج ساحبا اياها يضع يده على فمها حتى لا تتمكن من التحدث إلى أن خرجوا فتركها وشأنها بدأت تصرخ :

- يا عالم يا نصابة ماية ب ١٠٠ ليه يا خويا

للحق لم يتمكن زين من السيطرة على ضحكاته فامسكها وادخلها للسيارة التي اصلحها قبل مجيئه للمطعم ضاحكا بشدة:

- إنتِ مش طبيعية والله

نظرت له بتذمر ثم عاتبته :

- كنت رفضت من الأول ينزلوا ماية وكنا شربنا من اى كولدير في الشارع إنما ندفع ١٠٠ جنيه في ازازتين ماية ليه، ولاد نجيب سويرس؟

ضحك زين اكثر وهو يقول :

- ابوس ايدك كفاية انا مش هدخل المطعم ده تاني

نظرت له بحنق ثم قالت :

- يكون احسن، طب تصدق بالله الواحد يجيب كرتونة ماية ويقعد قدام المطعم ويقطع عليهم

قال زين بحنق ينطلق بسيارته مبتعدا :

- كفاية اللي عملتيه ده كفيل يقطع عليهم ماية ونور ودلوقتي اتفضلي اتنيلي قولي هنروح فين

تجاهلت براءة حديثه الأول قائلة ببسمة تدعي فيها الذكاء :

- ودي تفوتني برضو ده انا هوديك اهدى مكان في مصر

صرخات تعلو في كل مكان ودخان يتصاعد من أحد المساكن وجو مرعب يطغي على المكان.

نظر زين لبراءة بتهكم يهبط من سيارته متجها للحريق :

- بركاتك يا واصلة

نظرت براءة لزين برعب تراه يقتحم الحشود متوغلا في المنزل المحترق والذي على وشك السقوط فصرخت برعب :

- لا استنى، زيـــــــــــــن

(عام ٢٠١١)

- زيـــــــــــــن

ألتفت زين لذلك الصوت الذي كان يناديه وجد أنه مؤمن، سمع زفرات أصدقائه بجانبه تذمرا من وجوده لكنه رغم ذلك نهض وابتسم لمؤمن مرحبا به وهو يشير له بالمجئ :

- مؤمن، تعالى

تقدم مؤمن منه بمشيته المنحنية قليلا يبتسم له ببراءة طفل قائلا :

- كنت بدور عليك من بدري

نظر له زين ببسمة مندهش قليلا ثم قال بينما يجلسه بجواره :

- ليه خير حصل حاجه؟ الواد بتاع امبارح ضايقك تآني؟

عدّل مؤمن نظارته في حركة معتادة منه يقول ببسمة بلهاء بينما يقترب بمقعده من زين حتى يسمعه جيدا :

- لا محصلش حاجة أبدا، انا بس كنت حابب اقعد معاك

نظر زين نحو أوجه أصدقائه النافرة من هذا الأمر، ويبدو واضحا للأعمى تأففهم لوجود مؤمن، فقال ببسمة حنونة لذلك الشاب الصغير:

- كويس إن محدش زعلك

ثم صمت قليلا ينظر لملامح من معه وقال بعدها آخذا ورقة من امامه ويكتب فيها شئ :

- بص يا مؤمن ده عنواني، ايه رأيك تجيلي انهاردة نقعد سوا بعد ما تخلص براحتك

نظر مؤمن الورقة بدهشة، هل يدعوه لمنزله؟ لم يسبق أن فعل أحد معه هكذا فهو لطالما كان منبوذا بين الجميع، ومحط سخرية لهم، أخذ الورقة من زين يبتسم بإتساع وكأنه فاز بجائزة قيّمة وقال يهز رأسه موافقًا :

- اكيد اكيد هاجي

ثم نهض يحمل حقيبة ظهره مجددا وقال مبتسما بسعادة كبيرة :

- هروح اخلص اللي ورايا كله وهقول لماما ويبقى اجي ليك

ثم ذهب سريعا لينهي كل شئ حتى يذهب لمنزل صديقه، كيف يعقل أن مجرد كلمة صغيرة قد تسعد قلبه بهذا المقدار.

بعد رحيله زفرت سونيا بملل تحمل مشروبها وترتشف منه القليل قائلة:

- اووووف انا مش عارفة انت مستحمل اللزج ده ازاى، وقال كنت بدور عليك

ضحك رائد بشدة ينظر لها نظرات مشاكسة ثم نظر لزين يقول بنبرة باردة بعض الشئ :

- ما إنتِ عارفة بقى زين ابو الحنية كلها، بعدين الحمدلله إن انت سربته (مشيته) ده عيل خنيق ولازقة

عاد زين بظهره للخلف يرمقهم بنظرات باردة، ثم قال يتناول قهوته في هدوء شديد :

- ومين قالك اني مشيته عشان ميزعجش سياتك ولا يزعج الأميرة اللي جنبك؟

نظر له الاثنان بتعجب لحديثه ذاك، فمد زين يده ووضع كوبه على الطاولة مجددا وقال بنبرة جليدية :

- انا مشيته عشان محدش فيكم يقول كلمة بايخة ليه او يعمل تصرف قدامه يحسسه انه مش مرغوب

تحدثت سونيا تمد يدها وتضعها على ذراعه ببسمة تذيب الجليد :

- ما هو مش مرغوب فعلا يا بيبي

سحب زين ذراعه بحدة يقول بينما يركز بصره عليهم :

- بس مرغوب عندي انا، لاني مش شايف إن الشاب عمل حاجة مزعجة بل بالعكس بيبان دايما لطيف وخدوم

كادت سونيا تتحدث حتى قاطعها رائد قائلا بنبرة غامضة :

- خلاص يا سونيا هو مرتاح معاه خليه براحته، بس بعيد عننا يا زين

هز زين رأسه بسخرية ثم نهض وحمل مفاتيح سيارته واشيائه ونهض وهو يزفر بضيق :

- طب اسيبكم براحتكم بقى عشان عندي مشوار مهم

تركهم ورحل دون أن سمع كلمة منهم

نظرت سونيا لرائد بضيق ثم تأفتت وهى تقول :

- انا مش فاهمة هو اتقمص ليه كده

ابتسم رائد بسخرية يعيد خصلات شعرها للخلف ويهمس لها :

- إنتِ متعرفيش ولا إيه زين طول عمره قلبه كبير وحنين، مش عارف ده دخل كلية شرطة ازاى

خرج مؤمن من محاضرته الأخيرة واتجه لباب الخروج حتى يذهب لمنزل صديقه الجديد فقد استأذن من والدته وهى اذنت له سعيدة أن ولدها واخيرا بدأ يكون عالمه الخاص بعيدا عن العائلة، توقف مؤمن في سيره بصدمة يلمح سيارة زين تتوقف أمام الباب فأتجه له بتردد ينحني للنافذة :

- زين هو إنت عندك مشوار ولا إيه مش قولت اني هجيلك؟

استدار له زين رامقا إياه ببسمة واسعة ثم قال بحنان لذلك الشاب :

- كنت مستنيك نروح سوا، خلصت ولا لسه؟

نظرة الصدمة على وجه مؤمن آلمت قلب زين كثيرا كيف لفعل بسيط والمفترض أنه عادي أن يسعده بتلك الطريقة او يصدمه.

أشار مؤمن لنفسه قائلا بدهشة وعدم استيعاب :

- مستنيني انا، قصدك اننا هنروح سوا لبيتك؟

ابتسم له زين وهز رأسه ثم مال بجسده للباب الذي يقف عنده مؤمن وفتحه يقول :

- اركب يلا عشان نلحق اليوم من أوله، انا كلمت بابا وهو في الشركة يعني البيت تحت أمرنا طول اليوم هنطلب اكل ونهيص يلا اركب يا ابني

صعد مؤمن بسرعة للسيارة ينظر أمامه بعدم تصديق وفرحة كبيرة كما لو أنه طفل ذاهب بصحبه ابيه لشراء أول ثياب للعيد بنفسه، انطلق زين بالسيارة يقول ببسمة واسعة :

- اجهز بقى ياباشا هنقضي اليوم كله سوا ونعمل كل اللي نفسك فيه

نظر له مؤمن بإمتنان حقيقي ودموعه تكاد تهبط من كثرة التأثر ثم همس له :

- شكرا يا زين على كل حاجة، شكرا يا صاحبي

انعكست النيران في أعين براءة التي كانت تصرخ برعب على من بالداخل، وفرج يحاول منعها من التهور ودخول المنزل رغم صدمته بوجودها ، وكان الرجل صاحب المنزل يجلس أرضا وهو يبكي زوجته وابناءه بحسرة ولكن فجأة انتبه الجميع على صراخ إحدى بنات ذلك الرجل التي نجت تصيح بلهفة:

- بابا بص محمود اهو

رفع الرجل عينه بسرعة ولهفة بينما انتبهت براءة والجميع للجهه التي أشارت لها الصغيرة فوجدوا مراهق يحمل اخته الصغيرة وخلفهم ذلك الرجل الذي اندفع للداخل منذ قليل كان يحمل سيدة ، نهض المزارع بتخبط وركض لزوجته وحملها برفق من بين ذراعى زين يبكي بعنف ويقول :

- شكرا يابني جميلك ده فوق راسي لحد ما اموت، دين عليا ليوم القيامة وربنا يشهد، شكرا يابني ربنا يسعدك يارب ويخليك لأهلك

ابتسم له زين بضعف ثم بحث بعينه عن براءة فوجدها تبكي في أحضان رجل كبير لكن فجأة ركضت له ثم وقفت أمامه ونظرت له وهى تفحصه جيدا كأنها ترى إذا ما كان مصاب ام لا، هتفت بتذمر من بين دموعها :

- مش لو كنت مت في العربية احسن ما تموت محروق يا غبي

ابتسم لها زين بضعف ثم اقترب منها ليقول شئ لكن فجأة شعرت براءة برأسه تستند على كتفها، وانفاسه الحارقة تخترق حجابها وصولا لرقبتها، ومازاد الوضع سوءا هو همسه الذي اخترق سمعها وصولا لقلبها يهمس لها بنبرة ضعيفة عكس ما اعتادت منه :

- حاسس بوجع كبير اوي.

واه لو يعلم كم آلمها قلبها لكلماته تلك، لم تكد تُبدي اى ردة فعل حتى وجدت فرج يقترب ويرفعه عنها ويصرخ بأحد الغفر أن يأتي ويحمله للدوار، تحدث بجدية لبراءة قائلا :

- روحي معاهم إنتِ يا براءة، وانا هخلص كل حاجة هنا واحصلكم

هزت براءة رأسها بالموافقة وذهبت مع الغفر الذين يحملون زين، ولم تعي بعد أن والدها غير موجود وأن عمها هو من يتولى شئون القرية .

دخلت براءة للدوار سريعا ترشد الغفر لغرفة الضيوف حتى يضعوه بها، ثم طلبت منهم أن يستدعوا الطبيب لمعالجته، خرج الجميع وتركوها معه، فنظرت له قليلا ثم خرجت خلفهم وجدت والدتها تتساءل عما حدث لكن تعجبت عندما رأتها تقف أمامها، ابتسمت براءة تقترب من والدتها وتقول لها بهدوء حاولت التحلي به :

- حبيبتي انا هفهمك كل حاجة بس إنتِ دلوقتي روحي واعملي شوية أكل حلو كده من ايدك وبعدها هقولك كل حاجة

كادت سماح تتحدث فقاطعتها براءة بنبرة مرهقة :

- معلش يا سموحة اسمعي بس كلامي دلوقتي وهفهمك كل حاجة

هزت سماح رأسها منصرفة للمطبخ لتفعل ما طلبته ابنتها التي لم تستوعب وجودها هنا حتى الآن، بينما براءة نظرت جهة غرفة الضيوف وهى تقول بتعب :

- اتحمل بالله عليك متسبنيش في أول الطريق لوحدي

كان عزيز يحمل حقائبه واقفا أمام العمارة مودعا من بها فهو استطاع في ساعات قليلة فقط تكوين صداقات معهم حيث كان يجتمع مع أهل البناية عندما هاتفه زين ليطلب منه الرحيل للمنزل الخاص بهم.

تحدثت سوسيتا بدلع تقترب من عزيز وتغمز له :

- ما تغبش بقى يا زيزو عنا، اصلنا اتعودنا عليك في الكام ساعة اللي فاتو دول

ابتسم لها عزيز ثم قال مشاكسا ينظر حوله للجميع :

- والله قعدتكم بالدنيا يا جماعة، خصوصا انتِ يا عود القصب بس نعمل ايه في ابني اللي جاى الدنيا مخصوص عشان يقطع عليا.

ضحكت سوسيتا ضحكة عالية جعلت ملامح منار تتغير للأمتعاض

تحدث سيد مقتربا من عزيز ويضمه وكأنه يعرفه من سنين طويله وليس من يوم واحد فقط:

هتوحشني يا عزيز والله على الاقل كنت مونسني في وحدتي دي، وانا مقطوع كده لا حبيب ولا غريب

ثم تنهد قائلا بحزن كبير جعل عامر يفتح فمه بتشنج :

- الله يسامحها مرات ابني ياما اتحايلت عليها تجبلي حفيد يملى الدنيا دي عليا بس هى كانت ست بومة مرضتش، لحد ما سابوني لوحدي كده بطولي في البيت زى ما انت شايف

هتف عامر بإمتعاض شديد يضرب الأرض بقدمه صائحا بضيق :

- يا جـــــــــــدي

نظر له سيد رافعا شفتيه بحنق شديد :

- هو الواد ده ملوش أهل يسألوا عليه؟ ده عايش معايا بقاله كتير وانا الصراحة زهقت

ضحك عزيز بشدة ثم همس لعامر قائلا :

- لو جه يوم وطردك من البيت بجد، ابقى تعالى ليا انا دلوقتي لوحدي في البيت لحد ما العاق اللي خلفته يرجع من المصيبة بتاعتة

ابتسم له عامر قائلا وهو يرمق جده بضيق :

- لا متخافش هو دلوقتي يدخل يقيل(ينام) ويخرج بالدور التاني اللي هو انا حفيده اللي عايز يقتله بأمر من مرات ابنه.

ضحك عليهم عزيز ولكن فجأة وجدوا رجال ضخام الجسد يدخلون للبناية ينظرون لهم نظرات جامدة، وقال أحدهم :

- فيه حد ساكن في الشقة ٩ اللي في الدور التاني

فتح الجميع أعينه بفزع من منظرهم الذي يظهر نيتهم السيئة ، بينما ابتلع عزيز ريقه فهذه كانت شقته التي سكن بها مع زين لساعات.

هز الجميع رأسه برفض وقالت منار تدعي عدم الاهتمام :

- هو كان فيه شاب سكن فيها لساعات كده بعدين اختفى

نظر لها الرجل نظرات تكاد تخترقها قائلا بنبرة جادة :

- كان لوحده

انطلق صوت سيد صائحا ينظر لعزيز بجدية :

- لا كان معــ

اندفع عامر يكتم فم جده يضحك بغباء قائلا :

- ربنا، معاه ربنا، كلنا معانا ربنا، وربنا يستر

نظر له الرجال بشك ثم ابتسم أحدهم بسخرية صائحا :

- شيل ايدك من على بقه (فمه)

تحدث شعبان ببسمة غبية وهو يشير لسيد قائلا :

- ياباشا سيد ده يعني السن عامل عمايلة معاه عشان كده ساعات كتير بيخرف يعني وكل العمارة عارفة كده، ولا إيه يا جماعة؟

هز الجميع رأسه بإيجاب وسرعة بينما سيد يحاول نزع يد عامر ليتحدث لكن لم يستطع، نظر أحد الرجال لعزيز ثم قال :

- وحضرتك؟

هوى قلب عزيز في قدمه يشعر انه كُشف ولكن تماسك قليلا وهو يجيب عليه بثقة :

- انا؟ انا ايه؟

ابتسم الرجل بسمة سوداء يخطو جهته حتى وقف امامه ومال عليه هامسا بنبرة توحي بشكه:

- وحضرتك متعرفش حاجة عن صاحب شقة ٩؟

ضحك عزيز بغباء يشير لنفسه قائلا :

- انا؟ لا ياباشا انا اساسا كنت جاى عشان سوسيتا أصلها صديقة قديمة ليا وكدة ومعرفش حاجة هنا، آه بس سمعت انه شاب بتاع مشاكل وعاق لوالده

ضحكت سوسيتا ضحكة عالية تستند على كتف عزيز قائلة بنبرة مائعة بعض الشئ :

- حصل يا اخويا البيه كان جايلي انا

تحدث الرجل بسخرية يحدق بحقيبة عزيز التي بجانبه :

- وكان جايلك بشنطته ولا إيه

ضحكت سوسيتا تحاول إخفاء توترها جيدا ثم قالت وهى تقف معوجة بجسدها :

- أصله كان ناوي يقضي معايا اسبوع ، بس جاله شغل بقى نقول ايه نحس من يومي، امي كانت دايما تقولي يابت يا سوسو إنتِ حظك قليل في الدنيا، يلا الله يرحمها

لوت منار شفتيها قائلة بسخرية وهى تنظر لها من أعلى لاسفل بتقييم:

- والله وبقى لقلة أدبك فايدة يا معفنة

تحدث أحد الرجال بضيق لاصدقاءه مشيرا لهم بالرحيل :

- الظاهر مش هنطلع منهم بحاجة، ورايا

ساروا جميعا للخارج يفكرون في طريقة لايجادهم

بينما نزع سيد يد حفيده مستغلا ارتخاءها وهو يصفعه بعنف صائحا بغضب :

- عايز تكتم نفسي وتموتني يا ابن ال.... ، طبعا تلاقيها امك اللي مصلطاك

زفر الجميع أنفاسه براحة واخيرا انتهى الأمر بدون أى خسائر او هكذا ظنوا

كانت تقف أمام والدها ترمقه بحزن شديد ووجع على مرضه، نظرت لوالدتها وهى تقول :

- كنتم ناويين تقولولي امتى بالضبط؟

هبطت دمعات سماح تربت على كتف ابنتها تحاول أن تخفف عنها وداخلها وجع كبير :

- متخافيش يا حبيبتي الدكتور قال إن حالته مستقرة، وهو طلب مننا منقولش ليكي، عشان هنقلقك على الفاضي وهو كويس أساسا.

اقتربت براءة من والدها الذي ينام بسبب الأدوية التي يأخذها وقبلت جبينه بهدوء شديد خوفا أن توقظه، ثم ابتعدت تربت على رأسه بحنان تهمس له بخوف وقلق من المستقبل :

- خليك دايما معايا، هبدأ طريق معرفش آخره ايه بس خليك معايا حتى لو مش جنبي يكفى وجود نفسك في الدنيا دي يا غالي

ختمت حديثها بقبلة على جبينه وكأنها تترجاه أن يقاوم.

شعرت بأحد يربت على رأسها فرفعت نظرها وعينها بها بقايا دموع فوجدت فرج ينظر لها بحنان وحب قائلا :

- الدكتور شاف الشاب وطمنا عليه، هو بس شوية حروق بسيطة في ضهره ومع الوقت هتروح بس يمكن تسيب أثر

هزت رأسها تتذكر همسته لها (حاسس بوجع كبير اوي)، لو يعلم كم شعرت بوجع بسبب همسته تلك، شعرت كما لو كان صغيرها يشكوها وجعه

تحدث فرج بخفوت يميل لأذنها هامسا :

- لازم نتكلم يا براءة

نظرت له براءة وهزت رأسها ثم نهضت معه تعلم انها لابد أن تخبر فرج بكل شئ حدث حتى يخبرها ماذا تفعل في هذه الحالة

بعد مرور نصف ساعة تقريبا حاولت فيها براءة ذكر كل شئ

انهت براءة قص ما حدث معها، فتحدثت والدتها ببسمة تغمز لها بمكر وفرحة :

- بس الواد قمر يابت ويستاهل

صاح فرج بنفاذ صبر من حديث زوجة اخيه :

- ده اللي لفت نظرك يعني يا سماح، مش سامعة بتقولك عصابة وبلى ازرق يعني البت ممكن تروح فيها

اقتربت منه براءة تحاول بث الطمئنينة به قائلة :

- متخافش يا فرج بنتك راجل من ضهر راجل، طب انت حتى ما شوفتش وانا بسوق العربية وبهرب من العصابة ياه يا فرج عملت ليهم شوية مناورات

تحدث فرج بتشنج يرمقها باستخفاف :

- شوية ايه؟؟

نظرت له براءة موضحه حديثها قائلة:

- مناورات، آه دي مصطلحات كده بتاعة الناس المتمرسة زيي، المهم بقى وانا بعمل شوية مناورات لقيت العصابة بدأت

تضرب علينا نار، اسكت؟؟ قمت مسكت التربكسون(الدريكسيون)

فتح فرج فمه ببلاهة وهو يهمس لزوجة أخيه التي تتبسم بغباء :

- هي قالت ايه؟

لوحت سماح بيدها دلالة على عدم اهتمامها :

- يا خويا ركز معاها شوية مش شايف البت ما شاء الله جامدة ازاى، كملي يا قلب امك

اكملت براءة بحماس شديد :

- المهم مسكت التربكسون بإيد (والار بي جيه) بإيد ونزلت فيهم ضرب وفين ما يوجعك ما رحمتهمش، وكدت انتصر عليهم لولا الشاب اللي جوا ده قعد ينغوش عليا ويصرخ ووترني آوي معاه ، طبعا انا قولتله يستخبى تحت لحد ما اخلص منهم، وفعلا قدرت اني اهرب منهم واجي هنا وعدت على خير الحمدلله

رفع فرج حاجبه يهز رأسه كأنه يؤكد على حديثها ذاك ثم قال ببسمة باردة ينظر خلفها لنقطة ما :

- صحيح الكلام ده يابني؟

نظرت له براءة بعدم فهم لكن فتحت عينها بتفاجئ تسمع نبرته الهادئة الباردة من خلفها وهو يقول :

- فعلا صحيح ، حتى اني عيطت بس مرضتش أبين عشان رجولتي منعتني

ابتلعت براءة ريقها ونظرت خلفها وجدته يستند على باب الغرفة بضعف فقالت له ببسمة غبية :

- حمدلله على سلامتك، نمت كويس؟؟

ابتسم بسخرية كعادته ثم تحرك بشموخ رغم الإرهاق الواضح على ملامحه يقول :

- الحمدلله، بس لسه صوتي مدبوح (ضعيف) بسبب الصريخ اللي صرخته ، شكل الحنجرة اتأذت

ضحك فرج بشدة على ملامح براءة التي انكمشت بخجل تحاول مداراة وجهها ثم أشار لزين أن يأتي ليجلس جانبه حتى يتحدث معه في الموضوع، وبالفعل اقترب زين ببطئ من مكانهم وجلس بجانب فرج، ثم جلست بجانبهم براءة، وأخذ فرج يحدث زين ويسأله عن كل الاحتمالات الواردة في ذلك الموضوع.

كانت براءة تنظر أرضا تحاول إخفاء وجهها عن ذلك الي يرمقها بنظرات حارقة وهو يحدث عمها بنبرته الرجولية الجذابة :

- باذن الله خير حضرتك متقلقش انا هلاقي طريقة نخرج بيها من الموضوع، انا بس محتاج فترة صغيرة اني اختفي لحد ما اتصرف في حل يخرجنا من ده كله

تحدث فرج يتنهد رامقا اياه بتردد فتلك ابنته كيف يأمن عليها مع شاب لم يراه كما أنه لا تربطها به أى صفة :

- فاهم يابني بس حط نفسك مكاني الموضوع غير مقبول اصلا، يعني بنت اخويا هتكون لوحدها مع راجل غريب اكيد الموضوع مش سهل ولا إيه؟

تنحنح زين وهو يفهم قصده ذلك ولكن ماذا بيده ليقدمه؟ كل ما يمكنه فعله هو وعده انه سيحميها.

سمع الجميع صوت إحدى النساء تدخل البهو بصوتها العالي مقاطعة ذلك الحديث المرهق للاعصاب

تزغرد بصخب، تعجب زين من ملامح براءة التي انقلبت للنقيد تماما بمجرد سماعها لذلك الصوت، دخلت امرأة ممتلئة الجسد، ذات ترهلات كثيرة في أنحاء جسدها تجعل من سيرها مهمة شاقة، كانت تجاورها فتاة مراهقة، تحدثت السيدة بعدما توقفت عن الزغاريد العالية :

- كويس انك هنا يا براءة، أصل عقبالك يارب ما تفرحي البت بتي بكره حنتها

لوت براءة شفتيها ولم تجيب فهى تعرف نهاية هذا الحديث المتكرر بصفة دائمة، اكملت السيدة ولم تهتم لتعبيرات وجه براءة :

- الا قوليلي يا ختي، مافيش حاجة كده ولا كده

نظرت لها براءة ثم قالت ببسمة باردة تحت أعين زين المتفحصة :

- لا يا حبيبتي لسه ربنا ما اردش

تحدثت السيدة ببسمة تبدو شامتة قليلا قائلة:

- متأخذنيش يا ختي بس مش شايفة انك اتأخرتي في حوار الجواز يعني إنتِ داخلة على التلاتين هتلحقي تتجوزي وتخلفي امتى عايزين نسترك

نهضت براءة ووقفت امامها ثم قالت ببسمة مستفزة :

- فيه فرق كبير بين اني اتأخرت في جوازي، وبين انك بدرتي في جواز بناتك، ثم اني عندي لقب عانس رغم اني مش بعترف بيه، افضل من لقب مطلقة اللي اخدته بنتك ام ١٨ سنة لأن والدتها خافت يتقال عليها عانس، اتقي الله في بناتك شوية

صمتت تراقب ملامح السيدة ثم اكملت :

- هما مش مفضوحين عشان كل شوية تجوزيهم بحجة الستر

نظر زين لبراءة نظرة مختلفة فلأول مرة يرى ذلك الجانب بها، فلطالما لمح بها في المرات القليلة التي رآها الفتاة العابثة المستهترة والمغامرة، والان يكتشف جزء جديد في شخصيتها تلك، لن ينكر أنه أعجبه كثيرا حديثها ذاك بل وكاد يصفق لها مشجعا إياها

نظرت السيدة لابنتها وقالت بعناد وإصرار على مبدأها :

- امممممم متنسيش الحنة بكرة يا براءة وعقبالك تآني، يلا يابت

ثم سحبت ابنتها وخرجت غاضبة بينما هزت براءة كتفها بعدم فهم :

- هو أنا زودتها ولا حاجة

ابتسمت لها والدتها بحنان ثم اقتربت معانقة إياها بحنان داعية الله أن يرزقها بمن يعوضها

تحدث فرج ليخرجهم من حالتهم تلك :

- يلا يا سماح جهزي الاكل للعيال شكلهم هفتانين

التمعت عيون براءة بشدة تهتف بسعادة :

- ايوة يا سموحة عشان انا شوية وهاكل فرج، بسرعة بقى ها بسرعة عشان جعانة

لوى زين شفتيه بسخرية هامسا لنفسه :

- جعانة؟ دي كانت هتاكل الجرسون في المطعم

رمقته براءة بتعجب كأنها سمعته يتحدث فأبتسم لها ببرود.

ضحك فرج وذهب ليحضر أخيه بينما ذهبت سماح لتجهيز الطعام وانصرف زين للغرفة التي كان بها ولم يتبقى شوى براءة التي تحدثت بتذمر :

- طب انا اعمل ايه طيب

لم تسمع اى رد عليها فهزت كتفها بعدم اهتمام وصعدت لغرفتها في انتظار إنتهاء الطعام

في الساعة ١٠ مساءا، حيث القرية هادئة كما لو كان منتصف الليل، أخرجت براءة رأسها من الباب بخلسة وحركات مريبة تنظر حولها وتضع شال على وجهها يغطيه ثم خرجت من غرفتها بهدوء شديد، لكى لا يشعر بها أحد وتحركت لأسفل بهدوء شديد ترى أن الجميع قد ذهبوا في سبات عميق، فقررت كعادتها أن تخرج لتمضي بعض الوقت، عندما اطمئنت من نوم الجميع، أخذت تتسحب على أطراف اصابعها حتى خرجت من باب المنزل الداخلي متجه للباب الخارج ببسمة شيطانية مشاغبة وبداخلها تخطط لما ستفعله، لكن توقفت قدمها في الهواء حينما كانت على وشك أن تخطو خطوة اضافية وهى تستمع لذلك الصوت الذي أصبح مؤرقا في الآونة الأخيرة.

كان يجلس على الاريكة التي تقبع امام الباب الداخلي للمنزل ينظر للسماء بشرود فيما حدث في الماضي ولكن فجأة سمع صوت فتح الباب وخطوات تخرج وكأنها تحاول ألا تفتعل اى صوت،مدّ جسده قليلا فلمحها تخرج بهدوء شديد وتبتسم بسمة تخبرك أن القادم ليس جيدا، قلّب عينه بسخرية ومن غيرها يخرج بهكذا طريقة كان عليه أن يتوقع، إذا هل يدعها تذهب دون أن يسبب لنفسه صداع بسبب أفعالها ام يوقفها؟ وللصدمة لم يستطع أن يصمت بل كان داخله يتحرق لمعرفة ماذا ستفعل، ابتسم بتعجب من حالة ذاك فقال بصوت حاول إخراجه هادئ بارد كعادته :

- بتتسحبي رايحة فين؟

توقفت قدم براءة في الهواء تستمع لذلك الصوت واختفت بسمتها تدريجيا تبتلع ريقها ثم استدارت ببطئ لتواجهه تحاول إيجاد سبب مقنع لخروجها بتلك الطريقة :

- أصل أصل هو كان، آه صح هو الناموس كان وحش فوق فكنت رايحة اجيب بيرسول(مبيد حشري) ، عن اذنك بقى عشان الحق اجيب وارجع انام، سلام

وكادت ترحل لولا كلمته تلك التي اوقفتها في أرضها وهو يقول بنبرة شعرت بها خبيثة :

- ايه الصدف دي وانا كمان معرفتش انام من الناموس، يلا هاجي معاكي اجيب انا كمان بيرسول

ثم سبقها في الخطى رمقته بتذمر واوقفته قائلة :

- لا وليه تكلف نفسك بس انا هجيب واحد ارش رشتين وانت خده كله، بعدين انت ضيفنا عيب لما تشتري حاجة من جيبك، هروح اجيب انا

ثم تركته وركضت بسرعة ولكنها شعرت بشئ يمسك قبعة الجاكت الذي ترتديه فنظرت للأعلى وجدته يبتسم بخبث يحمل القبعة بيده قائلا وهو يسحبها خلفه :

- ما انا مش قليل الادب عشان اسيبك تروحي لوحدك تجيبي حاجة وبعدين اخدها انا

ضحك بخفوت وهو يكمل ناظرا لها جيدا :

- انا هروح اجيبها معاكي واخدها.

لوت فمها بتذمر تسير خلفه مرغمة وهو يسحبها من قبعتها حتى وصلت للمحل الذي يتم فيه بيع كل ما يحتاجه أهل القرية لكن وجدوه مغلق فقالت له بفزع مصطنع تبعد يده عن ملابسها :

- يا نهاري ده طلع قافل، كده هضطر اني اروح اجيب من القرية اللي جنبنا وإنت شكلك تعبان من اللي حصل، بص روح انت نام وانا هجيب وهاجي بسرعة، خمس ست ساعات كده واجيبه

ابتسم لها بسخرية ثم اقترب منها ناظرا بعينها جيدا بينما هى عادت للخلف بقلق وهو يتقدم اكثر رامقا إياها ببسمة مستمتعة بما يحدث حتى اضحى لا يفصله عنها سوى القليل فقط ففتحت عينها بفزع وهى تنظر حولها قائلة :

- ايه هتتهور زى الروايات وتقبلني.

فتح عينه بصدمه هو كان سيهددها فقط، ولكن لم يتماسك من حديثها فضحك بعنف وهو يرجع رأسه للخلف بينما هى شردت في ضحكته التي تُعد غريبة عليها حقا فهى لأول مرة تراه يضحك.

لاحظ هو شرودها به فأبتسم قائلا دون شعور :

- انتِ زعلانه من الكلام اللي قالته الست انهاردة

علمت براءة مقصده فتنهدت بتعب :

- تقريبا اتعودت عادي يعني

سمعت صوته الذي خرج حنونا يخبرها وهو ينظر لعيونها :

- مش يمكن التأخير ده عشان ربنا شايلك حاجة كبيرة، حد يعتبرك عالمه ودنيته كلها، يخبيكي جوا قلبه من اى حد تكوني بنته قبل مراته

شعرت براءة بقلبها يرتج لحديثه والذي مجرد تخيله حقيقة تسعدها وبشدة بينما هو لا يعلم كيف قال ذلك وكأنه كان مغيب عن الواقع

فجأة آفاق الاثنان من حالتهم على صوت عالي يردد :

- مين هناك؟

ضحكت براءة بغباء تردد الجملة التي كانت مشهورة قديما :

- ها مين هناك؟ بحب آوي الشاويش عطية

نظر لها بصدمة من غبائها ولم يكد يتحدث حتى.....

***

(الفصل السابع)

كان الجميع يجلس على طاولة الطعام بصمت تام وكأن على رؤوسهم الطير، لا يقطع صمتهم سوى بعض التنهيدات التي تخرج من الصغير أثناء نومه بعدما حصل على وجبة دسمة، كانت حياة تتجنب النظر لكل من على طاولة الطعام ماعدا صغيرها الحبيب.

تحدث فتحي (شقيق وائل الأكبر) رامقا حياة بنظرات تقييمية :

- نورتي عيلتنا يا مرات اخويا

انتبهت حياة على حديث فتحي فرفعت عينها عن الصغير ، ناظرة إلى فتحي ثم حاولت أن تبتسم له ولكن خرجت بسمتها مهتزة قائلة بخفوت :

- منوره بحضرتك

صمتت وصمت هو أيضا لرؤيته جمودها ذلك، ولكن لم تكن شريفة (زوجة فتحي) أن تضيع تلك الفرصة عليها دون أن تحاول إحراج حياة فقالت مدعية الفضول :

- بس هو صحيح ازاى أهلك وافقوا انهم يجوزوكي لواحد من غير وجود أهله، يعني هو عادي عندكم كده ولا انتي حالة خاصة؟

كان واضحا في حديثها تلميحها لإهانة حياة التي رمقتها بنظرات حارقة وقد وصل إليها غرضها من وراء ذلك السؤال

اشتعلت نظرات وائل يضغط على معلقته قائلا بكلمات لاذعة غير مراعيا لأى شئ :

- على الأقل هى عارفة حدودها ومحترمة الدور والباقي على اللي حتى بعد جوازه مش عارف ينسى أصله

تحدث فتحي بحدة شديدة لما يرمي إليه أخيه :

- وائـــــل

نظر له وائل ومازالت اعصابه تحترق من اتهام شريفة لحياة فقال وهو ينهض بعنف :

- خلي مراتك تاخد بالها من كلامها يا فتحي؛ لاني مش هتهاون مع اى حد يدوس لمراتي على طرف

أنهى كلامه وهو ينحنى ليحمل صغيره من أحضان حياة التي جفلت للحظة من حركته تلك لكنها تركته يأخذ الصغير حتى لا تلفت الانظار إليها، أخذ وائل الصغير قائلا ببسمة لحياة :

- خلصي أكل براحتك، وانا هاخد بالي من يحيى باشا

نهضت حياة بسرعة من مكانها تنفض يدها قائلة :

- لا انا الحمدلله أكلت، هاجي معاك

ابتسم لها وائل بحنان ثم قال يشير برأسه على غرفتهم :

- طب يلا يا قلبي

نظر للجميع وقال بنبرة حاول إخراجها طبيعية :

- تصبحوا على خير يا جماعة

ثم أخذ زوجته وابنه ودخل غرفته، تاركا خلفه عيون تحترق فقد كانت شريفة تشعر بالنيران تنشب في قلبها بينما نظر فتحي أرضا يفكر أنه مهما حاول لن يتمكن من محو ماضي زوجته، ولا أن ينسيها عادتها القديمة.

رمقتهم والدته بحدة شديد ثم صاحت بهم غاضبة :

- أنتم ايه مش عارفين تسكتوا، سبق وحكيت ليكم ظروف جوازهم، ولا هو لازم اى حاجة تسموا بيها بدنهم

انهت حديثها ترمق شريفة بشر كبير بينما كانت الأخيرة تأكل ببرود وكأن الكلام ليس موجها لها

تحدث فتحي بخجل من والدته ومن تصرفات زوجته :

- شريفة مكانش ق..

لم يكمل حديثه بسبب نهوض والدته التي صاحت بغضب :

- مش هعيد كلامي يا فتحي، لِم الدور انت ومراتك بدل ما اقلب عليكم

ثم تركتهم ودخلت لغرفتها بغضب، بينما رمق فتحي زوجته بغضب من أفعالها التي بدأت تتمادى فيها.

نظرت براءة برعب لزين وهى تلطم بطريقة مسرحية :

- اتفضحنا اتفضحنا

دفعها زين بغيظ للخلف يشير لها بالصمت :

- يا ستي اقعدي كده منا انفضحت من يوم ما لمحتك

كتمت ضحكتها على ملامحه بينما تحرك ذلك الرجل مبتعدا حينما لم يسمع اى رد، فنظر زين لبراءة نظرات حادة وهو وقول :

- قولي بصراحة كنتِ رايحة فين بدل هخرج دلوقتي وازعق وافضحك ، انطقي

نظرت له براءة بغضب لتهديده ذلك فرفعت اصبعها في وجهه قائلا بغيظ :

- اسمع ياض مش عشان قريب الظابط وبتعرف تعمل حركتين اى دوبلير في أفلام السقا بيعملهم، وعيونك ملونة وزى القمر، ومعاك عربية غالية، يبقى تتنطط عليا لا فوق كده مش انا يابابا

نظر لها زين ببلاهة لحديثها ذاك قال بخفوت يسخر منها :

- وانا اللي زعلان على الحروق اللي في ضهري، كويس اني متفحمتش بسبب نقك (حسدك) ده

شهقت براءة بعنف حتى خرج صوتها عاليا وهى تقول بحنق :

- ليه يا خويا هنق على ايه، إن كان على العربية فأنا عندي عربية كارو اخر موديل ، ولو على الحركات فأنت بنفسك شوفت الخمسات بتاعتي ولا افكرك

قالت آخر كلمة ببسمة تتذكر صراخه بها أثناء ركضه وهو يمسك في السيارة، اكملت ترى ملامحه تتحول كليا :

- وإن كان على الجمال، فأنا ملكة جمال القرية لخمس اعوام على التوالي بدون منازع

فتح عينه بأنبهار مصطنع بينما هى اكملت بكل فخر :

- وإن كان على الوسايط فأنا عمي عمدة.

انهت كلامها تتخصر وترمقه بتكبر فضحك عليها بسخرية، ثم نظر حوله قائلا :

- صدقي هبدأ احسدك بجد، كفاية دماغك اللي مريحاكي دي

ابتسمت له بفخر ظنا انه يمدح بها لكن سمع الأثنان صوت خطوات يقترب منهم، فأشارت له ليلحقها لخلف المحل حيث الأراضي الزراعية أختبئت بها تشير له أن يصمت، بينما هو نظر ليدها التي تمسك يده

دون أن تشعر ليحتله شعور غريب لم يفق منه سوى على كلماتها تقول بصوت خافت حتى لا يسمعها احد:

- هنلف من الأرض دي ونطلع من الطريق التاني، تعالى ورايا

سار خلفها يقول بسخرية من حركاتها تلك :

- شكلك خبيرة ما شاء الله

ضحكت براءة وهى تهمس له بأعتيادية :

- حياتي كلها قضتها في الأراضي دي

فجأة توقفت تمد يدها لتمنعه من الاكمال فنظر لها بتعجب ولم يكد يتحدث حتى منعته قائلة :

- اششش فيه حد في الأرض دي

نظر لها بتعجب فأشارت له لنور بعيد يبدو أن هناك بعض الأشخاص يخيمون على بداية تلك الأرض، وضعت يدها في خصرها تفكر في طريقة للخروج دون لفت الانتباه بينما هو يتابعها بهدوء وقد أعجبته تلك المغامرات التي يخوضها بعيدا عن حياته العادية والروتينية، فجأه صاحت بصوت منخفض :

- ايه رأيك نلعب شوية

انتبه زين لها بعدما كان شاردًا يبحث عن طريقة للخروج من هذه الأرض الزراعية، فتحدث بتعجب ينظر حوله يفكر انه وقع مع مجنونة:

- نلعب؟؟؟ هنا؟؟

ضحك بعدم تصديق ينظر لملامحها التي تدل على جدية عرضها في اللعب، فأقترب منها صائحًا بنفاذ صبر :

- إنتِ يابت دماغك دي فيها ايه بالضبط؟ ما هو لا يمكن يكون مخ زى باقي البشر

تجاهلت براءة سخريته تلك واقتربت منه بلهفة تهمس له بخطتها العظيمة كما تقول، فتح زين فمه ببلاهة ثم نظر لها بغباء وتحدث ببسمة جانبية وهناك حماس غريب دبّ في اوصاله :

- وده هينفع؟

ضحكت براءة تهز رأسها مؤكدة على خطتها :

- يابني إنت لو قولتلهم في القرية هنا إن ابو رجل مسلوخة حقيقي هيصدقوا، دول مش بيدوا خوانة، ها معايا؟

وعكس طبيعته الهادئة اومأ بحماس شديد وبسمة متلهفة لتجربة شئ خارج نطاق حياته المعتاد قائلا تمام

- يعني ايه مشغل معايا شوية..... مش عارفين يلاقوا حتة عيلة، ومين ده اللي كان معاها وانقذها هاتولي كل المعلومات عنه

كان صراخه يصدح في الغرفة الواسعة المظلمة التي يجلس بها كعادته مع نسائه، زفر قائلا بتوعد :

- مش هستنى كتير لو في خلال يومين مكانتش البت دي قدامي، انا هيكونلي تصرف تآني معاكم

أنهى حديثه وهو يغلق الهاتف بعنف مفكرا في هوية ذلك الشاب الذي أنقذ تلك الفتاة، شرد قليلا فيما حدث يتذكر كيف تم مصادرة بضاعته بعدما أبلغت عنه فتاة ما لكن لحسن حظه استطاع أن ينكر علاقته بتلك الشُحنة، ودفع أحد رجاله لتحمل مسئوليتها، اغمض عينه بغضب يضغط على هاتفه قائلا من بين أسنانه :

- مش رائد الدميري اللي ينضرب على قفاه يابنت ال... بكرة اجيبك تحت رجلي واعرفك مقامك إنتِ واللي معاكي، وساعتها هخليكي تندمي على اللحظة اللي فكرتي فيها تتحديني

(عام ٢٠١١)

تعمقت صداقة مؤمن بزين، بل وتخطى الأمر حدود الصداقة فأصبح زين يهتم بمؤمن كما لو كان أخيه الأصغر رغم فرق العمر الصغير

بينهم، كان زين دائما ما يدافع عن مؤمن ويقف خلفه في اى شئ، حتى أنه بدأ يهمل أصدقائه ويمضي وقته مع مؤمن.

تأفقت سونيا وهى تبعد رائد عنها قائلة بضيق شديد :

- رائد انا مش فايقالك دلوقتي سيبني في حالي

نظر لها رائد جيدا يشعل سيجارته قائلا بتقرير اكثر منه سؤال :

- عشان زين؟

التفتت له بغضب تلوح يدها بعصبية :

- إنت مش شايف هو بقى عامل ازاى، بقى كل وقته مع اللي إسمه مؤمن ده، ولا كأنه مفيش غيره

ضحك رائد بسخرية ينفث دخان سيجارته قائلا بعدم اهتمام :

- ما فداهية إنتِ شاغلة بالك بيه ليه؟

نظرت له بتعجب صائحة:

- رائد متستهبلش انت عارف كويس اوي اني بحب زين

ضحك رائد بصخب وهو يصفق بيده قائلا بإستهجان :

- بتحبيه؟؟ لا حلوة دي، وطالما بتحبيه مقضياها معايا ليه، ولا اكونش استبن يا... يا آنسة؟

نظرت له بسخرية ثم اقتربت تمرر عينها عليه قائلة بنبرة يعلمها جيدا :

- رائد انا وانت عارفين كويس انت ايه ليا

ابتعدت عنه تتنفس بهدوء شديد قائلة وقد أخذت قرارها:

- بكرة هعزم زين على عيد ميلادي وهحاول اني ارجع علاقتنا زى ما كانت في اليوم ده، وانت بقى مهمتك هى مؤمن حاول تبعده عن زين على قد ما تقدر

نفخ دخانه يقول بقذارة شديدة :

- وياترى ايه المقابل؟

ابتسمت بسخرية فهى تعرفه جشع لأبعد حد فقالت وهى تنظر له بإغراء:

- مش كنت حابب تغير عربيتك وتشتري أحدث موديل؟ اعتبره مقابل الخدمة اللي هتعملها ليا

ضحك رائد بشده وهو يغمز لها قائلا :

- موافق يا جميل، اعتبري مؤمن مش موجود في الدنيا أساسا

أنهى حديثه بضحكة عالية تجاهلتها تماما ونهضت تاركة إياه حتى تتجهز لما ستفعله فيجب أن تضمن زين للأبد، وهذا سيحدث في عيد ميلادها الذي ستقيمه في منزلها النائي

(في الوقت الحالي)

كان زين يقف بعيدا يراقب براءة وما تفعله كما تم الاتفاق عليه فأبتسم بعدم تصديق لما يفعله وكأنه شخص آخر، لكن لا يعلم فحماس تلك الفتاة يبدو كمرض معدي إنتقل إليه عبر الهواء

أتخذ زين مكانه بعيدا كما خططت براءة ، ثم استقام في وقفته وأبتسم بمكر شديد و بدأ في تنفيذ كلام براءة، بينما براءة تقف خلف (الفزاعة) وأدخلت يدها في كُم ثوبها وحركت يدها قليلا ببسمة، ثم نظرت تجاه زين وأشارت له بإشارة أن يبدأ التنفيذ ، أبتسم فسابقا هو من كان يعطي تلك الإشارة لوحدته لبدء الهجوم والان يتلقاها لبدء مقلب، وفورا بدأ زين في هز أغصان الشجر يصطنع صوت عالي من حنجرته.

على بُعد صغير منهم كان يجلس شابين يشربون الشاى مشعلين نار لتدفئتهم لكن فجأة سمعوا صوت تحرُك شئ بجانبهم

تحدث الأول ينظر بخوف في الحقل ويُدعى حسنين :

- ايه الصوت ده؟ سمعت ياض اللي انا سمعته؟

نظر له الاخر بغباء وهو يقول ناظرا للحقل :

- تلاقيه الهوا بس، كمل إنت كوباية الشاى عشان أصب غيرها

امسك حسنين كوبه وبدأ يرتشف منه ببطئ لكن توقف فجأة وقد عاد الصوت مجددا فابعد الكوب عن فمه قائلا برعب جلي :

- طب اللهي ياكلني قطر فيه صوت هنا.

نظر له الاخر ويدعى محمد قائلا وهو يصفعه على رقبته من الخلف :

- إنت شارب حاجة ياض، قولتلك مفيش صوت ولا هو اى حاجة عشان تخوفني؟ بعدين بتدعي على نفسك يا متخلف

صرخ حسنين ينهض ناظرا للحقل برعب :

- اسمع بس والله فيه صوت

استمع محمد قليلا لكن لم يصدر أى صوت وكاد يصيح بحسنين موبخا ولكن قاطع خروج الكلمات صوت عالي مرعب فابتلع ريقه ونظر لحسنين وقال بشك :

- واد اوعى تكون انت اللي بتعمل الصوت ده والله اقتلك فيها.

تحدث حسنين بنبرة توشك على البكاء وهو يختبئ خلف محمد :

- والله ما عملت حاجة، ده تلاقي عفاريت، انا قولت لابوك الأرض مسكونة

ارتجف جسد محمد ينظر حوله لظلام الحقل، فجأة تيبس جسد الاثنان يستمعون لصوت انثوي يأتي من بعيد وهو ينادي على محمد

دفع حسنين محمد وهو يرتجف قائلا :

- دي بتنادي عليك، روح شوفها لأحسن تيجي هى

ضرب محمد يد حسنين التي تدفعه للأمام هادرا بخوف:

- اوعى ايدك ياض، اروح فين يا مخبول انت

ضحكت براءة بخفوت تعيد ندائها لكن تلك المرة بإسم حسنين، تحدث حسنين برعب وهو يقول لمحمد :

- الحق يا محمد دي بتنادي عليا

نظر محمد له برعب يقول بخفوت شديد ويدفعه جهه الصوت :

- طب روح انت بقى وشوفها عايزة ايه ولو سألت عليا قولها رجلي منملة مش قادر اتحرك

كتم زين ضحكته بصعوبة كبيرة واحمر وجهه بسبب ذلك

تحرك ذراع الفزاعة وهى تتحدث بصوت مرعب :

- يا محمد يابن أم محمد

دفع حسنين محمد يقول برجاء :

- الحق دي تعرف امك كمان، روح شوفها عايزه ايه يا محمد ابوس ايدك بدل ما هى تيجي

تحدث محمد هامسا لأخيه بجدية كبيرة :

- على فكرة دي مش عفريت

نظر له حسنين برعب وهو يقترب منه أكثر مستمعا لما يقول أخيه فأكمل محمد قائلا :

- سمعت قالتلي يا ابن ام محمد، وامك تبقى أم سعد مش ام محمد

فتح حسنين عينه بصدمة يحدق بأخيه ثم قال بتساؤل :

- تفتكر؟؟

ولكن لم يجب عليه محمد فقد تجمدت عينه على الفزاعة التي كانت شبه تتحرك ابتلع ريقه يشير لها قائلا :

- حسنين، انت ياض

نظر حسنين له بخوف وكاد يجيب لولا رؤيته ما يشير إليه محمد

لاحظ الاثنان أن الفزاعة تُحرك يدها كما لو كانت تدعوهم للأقتراب، بُهتت ملامحهم وامسك محمد يد حسنين يشير بعينه حتى يهربوا.

نظر له حسنين بعينه نظرة مرتعبة ثم وفي ثواني كان الاثنان يركضان خارج الحقل وهم يصرخون قائلين أن الفزاعة تتحرك وتلوح لهم.

بعد هروبهم خرج زين من مخبأه يضحك بصخب على ملامحهم بينما براءة كانت تراقبه ببسمة ثم نظرت حولها وقالت وهى تركض :

- بسرعة خلينا نمشي عشان شوية وهتلاقيهم جابوا اهل البلد كلهم

ركض خلفها زين وهو مازال يضحك على ما حدث لا يصدق أنه قام بهذا الفعل الطفولي حقا.

راقب براءة التي كانت تدخل من طرق متفرعة وصولا للمنزل يتنهد مفكرا أن هذه الفتاة أصبحت خطر عليه فهى دون مجهود منها تدفعه لفعل اشياء لم يكن ليتخيلها حتى بينه وبين نفسه، دعى الله أن تنتهي تلك المهمة دون حدوث اى خسائر.

فاق من افكاره على صوت غناء خافت يصدر من براءة اقترب منها أكثر محاولا استراق السمع لما تغنيه لكن شعر بقلبه يخفق بشدة حينما استدارت له تغنى بخفوت بصوتها العذب كلمات وكأنها اختارتها عن قصد :

نقابل ناس نفارق ناس

وماشية الحياة عادى

حال الدنيا بيتغير ما بين الثانية والتانية

هنعمل إيه؟

وده جارح وده مجروح

نظرت له في عينه تبتسم وكأنه توجه له كلماتها :

وده عايش على الماضى

وأحوالنا دى بتحير ولو نرضى هتحلى لنا

بنزعل ليه؟

ومين الدنيا دايماله محدش ضامن الأيام

يا بخت اللى رضى بحاله وفرق بين حلال وحرام

سؤال وإجابته عارفينها فى يوم منسيبها واخدين إيه

مادام سايبنها سايبنها هنتدايق ونزعل ليه

توقفت عن الغناء حينما وصلوا للمنزل، فنظرت له ببسمة قائلة بنبرة ظهرت حنونة له :

- تصبح على خير، اشوفك الصبح

ثم تركته عقب إنتهاء كلامها راكضة لغرفتها قبل أن يشعر بها أحد في المنزل، تاركة خلفها زين شارد في رحيلها بطريقة غريبة عليه فمازالت كلماتها ترن في اذنه، فاق من أفكاره تلك على صوت رنين هاتفه أخرجه لينظر له بتعجب شديد مجيبا عليه :

- الو..... نعـــــــــــــــم بتقول ايه؟؟

في الصباح التالي كان زين ما يزال مستيقظا بسبب تلك المكالمة التي أتت له البارحة، يفكر في أكثر من طريقة للخروج من ذلك المأزق ولكن بلا فائدة، يشعر أن رأسه سينفجر من التفكير.

خرج فرج من المنزل ينظر حوله ببسمة مشرقة يستعد لاستقبال يوم جديد بنفس راضية سعيدة، لكن وقع نظره على زين الذي يتوسط الاريكة المجاورة للباب الداخلي ويبدو عليه الشرود، اقترب منه فرج وهو يتنحنح، فأنتبه له زين وحاول أن يبتسم لكن لم يطاوعه فمه، جلس فرج بجانب زين يتنهد براحة غريبة قائلا دون أن ينظر لزين :

- هتفضل تضيق تضيق لغاية لما تحس انها خنقتك وإن خلاص مبقاش ليها مخرج، لكن فجأة تلاقي كل الضيق اختفى مرة واحدة وكأنه مكنش موجود أساسا، الموضوع وما فيه إننا نصبر

رمق زين فرج بتعجب غير مدرك لما يقول وماذا يقصد من خلف حديثه هذا ولم يكد يسأله عن مقصده حتى خرجت براءة خلف والدتها قائلة بتذمر :

- يا سماح بقولك مش عايزة اروح هو بالعافية

نظرت لها سماح بنفاذ صبر وصاحت بها وقد ملت من تصرفاتها تلك :

- ايوة بالعافية يا براءة وريحي بقى، مش كل فرح نتعزم عليه، تعملي الهيصة دي

زفرت براءة بضيق شديد تربع يدها أمام صدرها ثم تحركت خارج المنزل لتسبق والدتها بينما ضحك فرج قائلا :

- برضو نفس الحوار؟

قالت سماح بتبرم ويأس وهى تلحق بأبنتها :

- انا خلاص جبت أخري من البنت دي والله

نظر زين لفرج بعد رحيلهم قائلا بعدم فهم لسبب غضب براءة :

- آسف لو بتدخل بس هى براءة متضايقة ليه

ضحك فرج وهو يربت على كتفه :

- عشان مش عايزة تروح الحنة، أصل زى ما انت عارف النسوان مش هتعتقها أسئلة عن الجواز وليه لحد دلوقتي متجوزتش

شرد زين في حديث فرج قليلا حتى قال بدون وعى وقد توصل لفكرة مجنونة بسبب مكالمة البارحة :

- أنا عايز اتجوز براءة

دخل وائل لمنزله بعد يوم شاق من العمل، تلفت حوله باحثا عن اى شخص لكن لم يسمع صوت يدل على وجود أحد في المنزل، دخل لغرفته يخلع عنه ثيابه حتى يرتاح قليلا ريثما يعود الجميع، ولكن أثناء ذلك شعر بيد تمتد معانقة إياه من الخلف، تجمد جسده فورا ثم انتفض بسرعة دافعا صاحب تلك اليد بعنف شديد واستدار فورا ودون منحها فرصة صفعها فورا، هاتفا بغضب جحيمي :

- برررررة، بدل ما اخرجك بطريقة مش هتعجبك، برررررة

نظرت له شريفة بشر وردت عليه ببرود مرعب :

- هندمك، على القلم ده ياوائل والله لاندمك

صرخ وائل يرمقها بإشمئزاز :

- وهو اللي زيك يعرف الله، اطلعي برة، وخلي في علمك مش هعدي الحوار ده، يا.... يا شريفة

نظرت له بسخرية ثم سارت بتمختر مقزز تغني ولكن تفاجأت بوجود حياة تقف على الباب حاملة يحيى ترمقهم بإشمئزاز، نظرت لها شريفة من أعلى لاسفل ثم قالت بخبث شديد وهى تخرج دافعة اياها بكتفها :

- متأحذنيش يا اسمك ايه، اصلي كنت بسأل سي وائل على ابرة وخيط

بعد خروجها دخلت حياة تغلق الباب بعنف ثم نظرت لوائل نظرة جعلته يغلق عينه بغضب قائلا بصياح :

- على فكرة هى اللي دخلت وانـ....

لم تجعله يكمل حديثه حيث تجاهلته كأنه غير موجود تماما ووضعت الصغير على الفراش ثم دلفت للحمام واغلقت الباب بعنف شديد جعله يقبض على يده بعصبية شديد وكاد يصرخ الا أنه توقف بسبب

سماعه لتنهيدات الصغير، زفر ليهدأ ثم اتجه له وحمله وهو يقبله بحنان شديد قائلا:

- انت مصدق بابا صح؟؟

مد الصغير يده وهو يداعب وجه والده ويضحك بصخب فأبتسم له وائل بحنان وضمه إليه يتسطح على الفراش مغمضا عينه بتعب متمتما :

- بابا تعب اوي يا يحيى، احيانا بتمنى لو مكنتش وافقت على المهمة دي، بس ارجع واقول اني خرجت منها بأجمل هدية في الدنيا كلها، انت يا قلب بابا

ضحك الصغير كأنه يفهم حديث والده، فقبله وائل بحنان شديد ثم نظر للسقف بشرود يقول بتعب :

- واخرتها معاكي يا حياة

في الداخل كانت حياة تستند على باب الحمام وهى تبكي بشدة وقد شعرت بطعنة في أنوثتها بسبب ذلك المشهد الذي حُفر في رأسها، جلست أرضا وهى تفكر أنها تزوجته وحدث ما حدث والآن كل ما عليها فعله الا تكون ضعيفة ، على الاقل لأجل الصغير، مسحت دموعها بإصرار وهى تهمس بشر :

- عليا وعلى أعدائي يا شريفة

فتحت براءة عينها بصدمة بسبب حديث عمها ذاك فبمجرد عودتها من الخارج حتى فاجئها عمها بطلب زين فقالت وهى تنظر أرضا بخجل :

- يا فرج إنت فاجئتني، اقولك روح قوله إني هفكر الأول وبعدين نرد عليه

نظر لها فرج بتشنج ناهضا :

- هروح اقوله إنك مش موافقة؛ لأني عارفك كل جوازة بتطلعي فيها القطط الفطسانة

امسكته براءة وهى تنظر له بحدة صائحة :

- اصبر يا عم انت رايح، انت مش شايف الواد مفيهوش غلطة اللهم صلي على النبي عايز تطير العريس من ايدي ولا إيه

جلس فرج مجددا يبتسم بمكر :

- يعني أبلغه موافقتك

فكرت براءة قليلا مع نفسها ثم قالت :

- هو ما انكرش إنه حلو وكل حاجة بس انا معرفش عنه اى حاجة، وكمان ميصحش اني اقبل بسرعة كده هيبقى شكلي مدلوق، اقولك روح قوله إني هفكر ليوم كده وارد

رفع فرج حاجبه وكاد ينهض بنفاذ صبر منها فأمسكت يده قائلة :

- ولا اقولك استنى لأحسن يفكرني متكبرة ويفلسع، إنت تقوله إني هرد عليه بليل او بعد ساعة كده، بص قوله سيبني خمس دجايج افكر

ضرب فرج كف بكف وهو ينهض قائلا بتبرم :

- فوضت أمري إليك يارب، لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نظرت براءة لخروجه بتعجب ثم صاحت بصوت وصل له :

- طب متنساش تقوله إني مش هقبل أقل من فستان زى بتاع ياسمين صبري

وصل إليها صوت فرج وهو يقول بضيق :

- يـــــــــــارب

نظرت براءة للباب بحنق ثم صاحت بصوت منخفض قليلا :

- لو مش عاجبه يبقى طريق السلامة

توقفت وهى تتمتم مع نفسها بصوت منخفض :

- يارب ميكون سمع اخر جملة

كان زين يمسك هاتفه وهو يحاول الاتصال بوالده ولكن يستمر الهاتف بالرنين حتى ينقطع الاتصال، زفر بضيق وهو يهمس :

- ما ترد يا عزيز بتعمل ايه بس؟

ألقى عزيز الحقيبة التي يحملها على المكتب بحدة يقول بعيون تطلق شرار :

ده اسمه تسيب يا أساتذة، ايه مشغل معايا عيال صغيرة، ده لو كنتم فعلا عيال صغيرة مكنتوش غلطتوا غلطة سخيفة زى دي.

نظر الموظفان أرضا بخجل من رب عملهم الذي يصيح بهم منذ ما يقرب للنصف ساعة دون كلل او ملل، زفر عزيز يجلس على مقعده مجددا هاتفا بنزق وهو يرمق تلك الحقائب أمامه بخيبة امل :

- يعني إيه اوصي من برا على تيشرتات لسلاحف النينجا والاقي الغلطة دي قدامي؟

تحدث احد الموظفين وهو ينظر أرضا ويحاول ان يفهم ما هى المشكلة:

- يافندم انا بلغت الشركة المنتجة بطلب حضرتك وهى اللي بعتت الحجات دي بناءا على طلبك

ضرب عزيز غلى المكتب بحدة وهو يخرج احد القمصان من الحقيبة ثم رفعه صائحا بغضب :

- وده يا أفندي، انا طلبت ده؟؟ انا كان طلبي واضح وصريح، عايز تيشرتات سلاحف النينجا مقولتش اني عايز المعلم رشدان، صح ولا انا بخرف؟

هز الموظفان رأسهما بإيجاب :

- صح يا فندم صح

افرغ عزيز محتويات إحدى الحقائب ثم حمل منها قميصان وأشار لهما قائلا بسخرية :

- وايه دول بقى ان شاء الله؟

قال أحدهم وهو ينظر للتيشرت بتوجس :

- دول سلاحف النينجا يا فندم

تحدث عزيز بهدوء مصطنع :

- عارف انهم سلاحف النينجا، بس ازاى يجي آتنين تيشرت لدوناتيلو، فين مايكل انجلو ده اكتر واحد أكدت عليه فيهم كلهم

تحدث احد الموظفين وقد فاض به من تصرفات مديره :

- يا فندم واحنا نعرف مين يعني ما كلهم شبه بـعـ

قاطعه عزيز صائحا بغضب وكأنه اهانه للتو :

- اخـــــــــــــرس، شبه بعض مين انت شكلك متعرفش حاجة يا استاذ يا محترم كل واحد منهم غير التاني خالص

تحدث أحدهم وهو يشير لنقطة ما قائلا وقد وجد ما ينجدهم:

- تليفون حضرتك بيرن يافندم

نظر عزيز لهاتفه الذي كان في وضع الصامت ثم أشار لموظفيه :

- لسه مخلصناش كلامنا، اتفضلوا

خرج الموظفان وهما يتنفسان الصاعدة، وقد نجوا من يد مديرهم الغريب ذاك

أجاب عزيز على هاتفه ومازال في صوته بوادر عصبية وغضب :

- الو يا زين..... لا لا موضوع كده متاخدش في بالك.....

انت كويس؟؟..... لا لا متخافش انا الحمدلله كويس ومفيش حاجة حصلت..... اجي ليه مش فاهم.....

صمت عزيز يستمع للطرف الاخر واعينه مفتوحة بصدمة كبيرة وكأنه اصيب بصاعقة ثم هتف بعدم تصديق :

- هتتجـــــــــــــــوز؟؟؟؟

جلس زين مع رياض حتى يتحدث معه في أموره، دون التطرق لأمر عمله الحقيقي او المهمة التي يقوم بها، وبعدما أنهى زين من قص كل شئ على رياض قال ببسمة هادئة ورزينة :

- فأنا حبيت إني اطلب من حضرتك ايد الآنسة براءة

نظرت له رياض بشك وهو يحاول أبعاد ذلك الشعور عنه ثم بادره قائلا :

- قولتلي إنك شغال مع والدك في الشركة

هز زين رأسه ببطئ، ثم قال بنبرة واثقة أخفى خلفها توتره ببراعة:

- ايوة حضرتك، شغال مهندس

نظر له رياض ثم قال ببسمة خبيثة :

- بس شكلك مش مهندس خالص

ضحك زين بخفة قائلا لرياض الذي نال إعجابه كثيرا بذكائه :

- والمهندسين ليهم شكل معين ولا إيه

صمت رياض قليلا ثم قال ناظرا لعين زين جيدا :

- ليه مستعجل على الجواز؟

تفاجئ زين من سؤال رياض الغير متوقع ثم أجاب قائلا :

- عندي سفرية مهمة، وكنت حابب اخد براءة معايا فقولت اجي واطلبها من حضرتك وبإذن الله لما ارجع هعملها فرح كبير

صمت رياض متفحصا وجهه ولم يكد يجيب بسبب فتح الباب بسرعة وعنف ودخول براءة تشير لزين قائلة :

- معلش يابابا بس فرج محتاج زين ضروري

نظر لها رياض بسخرية قائلا :

- وماله خديه لفرج يكلمه

ابتسمت براءة بتوتر من نظرات والدها ثم أشارت لزين أن يتبعها للخارج، ففعل بعدما ودع والدها ولكن بمجرد خروجه حتى وجد فرج يندفع لهم قائلا بتوتر وسرعة :

- خديه يا براءة واختفوا دلوقتي، ومترجعوش غير لما اقولك بنفسي ماشي

نظر زين لهم بتعجب ثم صاح بهم :

- فيه إيه فهموني

سحبته براءة خلفها بسرعة وهى تخرج من الباب الخلفي قائلة:

- واحد من الغفر شاف عربيات سودة كتير على أول البلد واحنا شاكين يكونوا تبع العصابة فهنختفي شوية لغاية ما فرج يتوههم

نظر لها زين واغمض عينه غضب فقد أعلن رائد الحرب عليهم، فبالامس وصلت له اخبار ليست بالجيدة أبدا

امسك يدها جيدا وجذبها خلفه وهو يقول :

- تعرفي اى مكان بعيد محدش يشك فيه

هزت براءة كتفها بعدم معرفة وهى تقول :

- مش هينفع نروح بيوت القرايب عشان هيشكوا فيهم، سيبني افكر كده شوية

فجأة ابتسمت وهى تنظر اليه قائلة بمكر :

- عرفت هنروح فين

نظر لها زين مترقبا فكرتها ولكنها استمرت في الابتسام بمكر وكأنها في مسلسل تلفزيوني والكاميرا موجهه عليها، دفعها من كتفها بغيظ قائلا :

- ما تقولي فين اخلصي

نظرت له بتذمر قائلة وهى تتركه وتسبقه في طريق مبهم :

- تصدق بالله انك مش بتفهم، ابتسمت بخبث يعني تسبني اعيش لحظات خبثي مش تفصلني منها

توقف زين وهو ينظر لظهرها وهى تتركه ببلاهة مرددا حديثها :

- انا مش بفهم؟؟

كان فرج يجلس في منزله وهو يحاول الهدوء بعد أن أخبر جميع من بالمنزل أن ينكروا معرفتهم ببراءة تماما ويظهروا أنهم لا يعرفون عمن يبحثون.

وجد فرج فجأة المنزل يمتلئ برجال يرتدون بذلات سوداء بأجساد ضخمة فابتلع ريقه هامسا لنفسه :

- هى البت وقعت مع مين بالضبط ؟

***

(الفصل الثامن)

كان يجلس ذلك المجهول على الكرسي الهزاز في غرفته التي يسجن نفسه بها دائما يتذكر تلك الأيام التي كان يظنها أفضل أيام حياته واسعدها ولكن لم يكن يعلم أن ما ينتظره سيجعله يتمنى لو لم يعش يوما

اغمض عينه بوجع وتلك الاحداث تتلاحق أمام عينه، وضحكات زين تتردد في رأسه مسببة له غضب يكاد يحرق ما أمامه

(عام ٢٠١١)

نظر زين لمؤمن ببسمة واسعة وهو يمازحه بجذبه أسفل ذراعه ويلعب في شعره :

- بقينا نلبس بدل ونتشيك ياض، ناوي تكمل نص دينك ولا إيه؟

ابعد مؤمن يد زين بضيق وهو يُعدّل من وضع ثيابه وشعره قائلا بحنق شديد :

- يا عم بوظت الاوت فيت بتاعي

تشنج زين يرمق مؤمن من أعلى لاسفل قائلا بسخرية :

- اوت فيت يا معفن، الله يرحم سولبت رمزي في راجل وست ستات.

دفعه مؤمن بيده يقول بغيظ شديد :

- هتذلني ولا إيه بعدين مالها السلوبت يا خويا دي كانت مدوبه البنات

تحرك زين لسيارته قائلا بسخرية :

- على يدي، اركب يا خويا اركب

صعد مؤمن بجانب زين وهو يضحك على سخريته تلك فقال مشاكسا اياه :

- قول بقى إنك غيران مني وإني هخطف منك الجو هناك

حدق به زين وهو يزفر بسخرية قائلا :

- مين ده اللي يخطف الجو يا عسل، إنت مش بتشوف كويس ولا ايه؟؟ لا اقلع نضارتك وامسحها كده وقولي مين اللي هيخطف الجو

ضحك مؤمن بشدة على استفزازه لزين ثم قال ببسمة :

- أنا يابني انت متعرفش اني بغمزة بس مني بوقع صف بنات

اكمل زين على حديثه بضحكة عالية :

- اكيد من الضحك

لوى مؤمن شفتيه بضيق من زين فقال له زين بحنان :

- انا بهزر يا مؤمن انت عارف كده صح؟؟

ابتسم مؤمن ناظرا لزين وهو يربت على كتفه :

- عارف طبعا يا زين وانا بهزر كمان يعني لو بينت اني اتضايقت يبقى بهزر؛ لأني عمري ما ازعل منك بجد

ابتسم له زين ثم توقف بسيارته أمام منزل سونيا والتي أصرت عليه أن يحضر لعيد ميلادها بعدما فشل في التحجج بأى شئ، زفر بضيق يتمنى انتهاء هذا اليوم بسرعة،نظر لمؤمن وقال بجدية :

- يلا ياباشا خلينا نخلص من اليوم ده.

(في الوقت الحالي)

نظر زين بتشنج للمكان الذي اختارته براءة ثم رمقها بسخرية قائلا :

- اكيد مش هنستخبى هنا، وإنتِ بس جاية زيارة لحد؟

ابتسمت له براءة ببرود شديد ثم دفعت الباب قليلا وأشارت له ليتقدم منها، ففعل ذلك وهو يناظرها بحنق قائلا :

- زريبة؟؟ هنستخبى في زريبة؟

ضحكت براءة تغلق الباب بهدوء قائلة وهى تنير الاضواء :

- ده بس تمويه لغاية ما نتأكد إن المكان برة آمن

تحدث زين وهو ينظر أسفل قدمه بحذر شديد :

- تمويه مين يا أم تمويه، ده لو واحد فيهم يعرفك كويس هيكون ده اول مكان يدور عليكي فيه

نظرت له براءة ببلاهة لثواني، حتى شهقت بفزع بعدما تبينت مقصده قائلة بغضب :

- ليه يعني حد قالك كنت من فصيلتك؟

رمقها زين بشر ثم اقترب منها وهو يرفع إصبعه محذرا اياها :

- لسانك لاقطعهولك

ادعت براءة الخوف وهى تبعد جزء من بلوزتها وتنفخ فيها بخوف قائلة :

- تف تف تف....يا ما يا ما هموت من الخوف، وركبي بتخبط في بعضها

اغتاظ زين من سخريتها تلك فهذه اول مرة يتحدث إليه احد بهذه الطريقة فقال بغضب :

- تصدقي فعلا عزيز كان عنده حق، وإني بعد الجواز هصبحك وامسيكي بعلقة

تخصرت براءة تضحك بسخرية :

- ومين اللي هيوافق يتجوزك يا ادلعدي

ابتسم بتهكم واضح ثم اقترب منها قائلا بهمس بارد :

- إنتِ يا قلبي

ورغم أنها كانت همسة ساخرة وباردة إلا أنها فعلت الافاعيل بقلبها ذلك، فأبتلعت ريقها صامتة، بينما هو تاه في عيونها التي تناظره بنظرات مبهورة فهمس هو دون وعى :

- عيونك لونها حلو اوي!

فتحت عيونها بصدمة من حديثه، بينما هو ابتعد وهو يعض على شفتيه بغضب وينعت نفسه بالغبى، ثم استدار لها قائلا وهو يحاول أن يبرر حديثه ذلك :

- انا كنت هـ...

قاطع حديثه صوت فتح الباب فنظرت هى له بفزع وامسكت يده وجذبته سريعا للأختباء حتى لا يكتشف أحد أمرهم ويظنون بهم

الظنون، أشارت له بالصمت فرفع حاجبه بسخرية من أمرها له، ولكنه التزم الصمت حتى لا يعلم أحد بوجودهم وقد اختبئوا خلف أحد الحواجز الخشبية التي تستخدم لحجز الحيوانات.

سمعوا صوت رجل يصيح بصوت عالي في أحد اخر :

- تعالى منك ليه فضوا القفطان هنا

نظرت له براءة بقلق أن يكشفهم أحد لكن فجأة شعروا بأقدام تقترب منهم فحركت براءة شفتيها بحركة شعبيه وهى تهمس بتوتر :

- روحنا فطيس

أشار لها زين بتحذير ألا تتحدث لكن فجأة انتفض الاثنان للخلف بسرعة وهم يرون أحد يفرغ شئ في الحاجز الذي يختبئون به، وضع زين يده على أنفه بإشمئزاز وهو ينظر لما تم رميه عليهم وقد كان سماد عضوي (مخلفات الحيوانات)، كتمت براءة ضحكتها بصعوبة على ملامحه، بينما هو رمقها بغيظ شديد فجأة احمر وجهه كاتما ضحكته وهو يرى بعض السماد يسقط عليها وقد تتطاير أثناء إلقاءه في الحاجز، عضت براءة على شفتيها بغضب وكادت تنهض لتصرخ بهم ولكن منعها زين وهو يكبت ضحكته بصعوبة عليها ثم أشار لها بإصبعه أن تصمت، فرمقته بإمتعاض لأوامره، ومجددا عاد أحدهم بقفطان آخر ملئ بالسماد فأبتسمت براءة بشر وهى تحدق بزين، فعلم هو ما تفكر به ولم يكد يحذرها من فعل ما تريده إلا وكانت تدفعه جهة سقوط السماد، ولكنه كان منتبه أكثر فلم يطوله سوى بعض السماد على ثيابه، ولكنه بمجرد ما نهض مجددا حتى انطلق لها

وامسك رقبتها وكأنه على وشك خنقها بغيظ شديد وهى كانت تشد شعره بغضب وكان يتشاجر الاثنان وكأنهما طفلان لا شخصان ناضجان، دفعت براءة زين عنها بغضب وهى تميل عليه وتجذب شعره الطويل نسبيا بعنف وكأنها تخرج غضبها به ولكن فجأة انقلب الوضع واصبحت هى في الأسفل وزين يضع يده حول عنقها وكأنه يخنقها، ودون أن يحسب أحدهم الأمر كانوا انتقلوا أثناء المشاجرة لمكان سقوط السماد فسقط عليهم قفطان كامل من السماد، فتح زين عيونه مصعوق مما يتعرض له، بينما هى نظرت لملامحه وضحكت بصوت منخفض وهى تهمس بشماتة :

- واخيرا حققت مشهد رومانسي في حياتي البائسة دي، رغم إن في المسلسلات بينزل عليهم ورد واحنا نزل علينا سباخ (مخلفات الحيوانات) بس thanks god المهم عشت لحظة من لحظات بوليود المجيدة

انهت حديثها بضحكة مكتومة جعلت زين يود الفتك بها في التو وهو يرمقها بشر ولكن فجأة سمعوا صوت يقول بتعجب شديد :

- انتم بتعملوا ايه؟؟

خرجت حياة من الغرفة تحمل يحيى وخلفها وائل يتحدث في الهاتف ويبدو عليه الغضب الشديد، حيث كان يصيح في محدثه :

- ميخصنيش الكلام ده انا لو طلعت المهمة دي مش هكون العين بتاعتكم، آخر مرة كنت كبش فدى

ابتلعت حياة ريقها وهى تفهم معنى حديثه وظلت تستمع له حتى أنهى مكالمته واستوعب أنه كان يتحدث أمامها، زفر بضيق شديد فهو لا ينقصه سبب اخر يبعده عنها، اقترب منها وقال بصوت منخفض حتى لا يلفت الانتباه إليهم :

- ممكن نخرج الأول نجيب لبس ليحيى ونقعد نتلكم سوا، محتاج اتكلم معاكِ يا حياة

تحدثت حياة وهى ترمق الصغير بحنان وتداعب شعره الخفيف بعض الشئ :

- وأنا كمان عايزة اتكلم، فالأفضل فعلا نتكلم برة بعيد عن العيون اللي مش بترحم

قالت آخر جملة بسخرية وهى ترمق نقطة خلف وائل، فأستدار وائل لتلك النقطة فوجد شريفة تستند على باب غرفتها وهى تنحني بطريقة فجة، جعلت حياة تمد يدها بحيى لوائل فنظر هو لطفله بتعجب ولم يكد يبدي فعل حتى وضعت حياة يدها في ذراعه وهى تتغنج قائلة:

- نمشي يا حبيبي؟

فتح وائل فمه بطريقة مضحكة من تصرفات زوجته التي يبدو أنها تحولت، ولكنه سار خلفها بصمت مستجيبا لجذبها، حتى خرجوا من

المنزل فنزعت منه حياة الطفل وهى تنظر له بضيق وتسبقه بتبرم مما جعله يضرب كف بكف على جنون تلك الفتاة فصاح بها قائلا :

- خدي يابت هنا استني طيب هتروحي لوحدك يعني

نظرت له حياة بضيق وهى تزم شفتيها ثم قالت مقلدة طريقة شريفة لنداء زوجها :

- يلا وقفلنا تاكسي يا سي وائل

كتم وائل ضحكته على تمتمات زوجته ثم مد يده ليوقف سيارة تقلهم حيث السوق لشراء ثياب للصغير، حيث فاجئته زوجته منذ قليل برغبتها لشراء ثياب ليحيى وللحق لم يعترض؛ لأنه وجدها فرصة للتقرب منها، داعيا الله أن تستقر الأمور بينهم عما قريب.

كان عزيز يقود سيارته متجها للقرية التي اخبره بها زين، وهو لايصدق أنه ذاهب حتى يشهد على عقد قران ابنه بعد أن يأس من تحقيق ذلك، ابتسم يزفر براحة رغم معرفته لظروف الزواج من ابنه ولكن سيتأكد أن يربطه بذلك الزواج للأبد حتى ولو اضطر لربطهم معا بحبل حتى لا يترك أحدهم الاخر.

خرج من أفكاره بسبب اهتزاز سيارته بعنف شديد وتوقفها، فنظر عزيز من النافذة بتعجب حتى وجد نفسه قد علق في حفرة عميقة بعض الشئ، زفر بضيق وهبط من السيارة وأخذ ينظر لها بتفكير، هل

يتركها ويكمل الطريق سيرا على الأقدام خاصة أنه على مشارف القرية، ام ينتظر المساعدة .

من بعيد كان يمطي حماره عائدا من أرضه التي تقع في الجزء الخارجي من القرية ولكن لمح بعيدا شخص يرتدي ثياب ملونة يقف بجانب سيارة ويبدو أنه في مأزق، فاتجه له يدقق النظر حتى وصل إليه فتفاجئ بأنه رجل كبير في السن بعض الشئ ويرتدي ثياب عليها رسومات كرتونية، فنظر له الشاب بغباء ولكن خرج من حالته تلك وهو يقول بلهجة عالية :

- محتاج مساعدة يا أخ

رفع عزيز رأسه بسرعة ولهفة وهو يستمع لصوت أحد المارة فقال ببسمة :

- ايوة لو سمحت، عربيتي غرزت في الحفرة دي، ساعدني اخرجها لو مش هزعجك

مد الشاب رأسه وهو يحاول النظر الحفرة ثم قال:

- مين الغبي اللي فحر الفحرة دي

نظر له عزيز بتعجب وتمتم بخفوت :

- فحر فحرة؟

ثم رفع صوته ليصل لذلك الذي يجلس على ظهر حماره بشموخ كأنه يمتطي جواد ما :

- هتساعدني يا اخينا ولا لا؟

حك الشاب طرف ذقنه ثم هبط على حماره واقترب من سيارة عزيز وحاول أن يدفعها ولكن يبدو أنها علقت بدرجة كبيرة فقال بغباء لعزيز :

- شكلها كده والله اعلم محشورة

رمقه عزيز ببلاهه وهو ينظر لسيارته مفكرا أليس هذا ما قاله هو منذ قليل، قاطع تفكيره صوت الشاب وهو يشير لحماره بفخر :

- لو حابب اوصلك لحتة انا في الخدمة

نظر عزيز لسيارته بتفكير ثم سأله قائلا:

- طب والعربية؟

رد عليه الشاب وهو يجذب حبل الحِمار قائلا :

- متقلقش يا باشا هنبعت رجالة تديها زقة وتمشي بإذن الله، ألا انت رايح فين كده؟

تحدث عزيز وهو ينظر بحسرة لسيارته :

- عايز اوصل لبيت العمدة

تحدث الشاب بتأدب وهو يشير لحماره :

- طب أتفضل انت اركب وأنا هاخدك لحد دوار العمدة وهنبعت حد يطلع العربية بتاعتك

ابتسم له عزيز وربت على كتفه مقدرا له مساعدته ثم صعد على الحمار وتولى الشاب سحبه تجاه القرية.

زفر وائل بتعب وهو يجلس على أحد مقاعد المطاعم الشعبية في السوق قائلا بإرهاق :

- بقالنا ساعة بنلف وفي الاخر جبنا ده

كان يتحدث وهو يمسك تيشرت بدون أكمام صغير جدا،

جلست حياة وهى تحمل الصغير وتكتم ضحكتها عليه قائلا بتهكم:

- لحقت؟؟ ده إحنا لسه بنقول يا هادي

نظر لها وهو يصيح بإمتعاض ويتناول كوب ماء :

- ده هادي نفسه لو جه يلف معاكي نص ساعة، هيفطس من التعب

ضحكت حياة ولأول مرة امامه وهى ترى ملامحه المرهقة، ثم قالت وقد نست كل شئ :

- ياختي كميلة، أمال ظابط ازاى بقى وتدريبات شاقة وحوارات كبيرة؟؟

نظر لها بحنق وهو يقول :

- طب بس يابت انتِ شوفي هتاكلي ايه خلينا نكمل زفت لف

ضحكت عليه ثم نظرت للطفل الذي كان يتمتم بكلمات غير واضحة، فقالت ساخرة من وائل:

- شوفت بابا يا يحيى عامل نفسه ظابط جامد وفي الاخر مش عارف يستحمل عشر ساعات لف

ضحك وائل على كلماتها تلك ثم قال :

- بلاش تخلي الواد ياخد فكرة غلط عن ابوه، ابوك شديد ياض يا يحيى

ابتسمت بخفوت بينما هو نظر لها وهو يفكر هل يحدثها ام يصمت منتظرا وقت ملائم وفي النهاية قرر الانتظار.

إنتبه كل من زين وبراءة برعب على الكلمات التي انطلقت من فم أحد الرجال، نظر الاثنان لبعضهم البعض بقلق ترقبا لكشفهم في اى لحظة، ولكن تبين لاحقا أنه كان يحدث العمال الذين ينقلون السماد.

صدح صوت ذلك الرجل مجددا وهو يقترب من العمال صائحا بنفاذ صبر :

- انتو بتعملوا ايه يا زفت منك ليه؟ هو أنا قولت ترموا السماد هنا؟؟

تحدث احد العمال بضيق وهو يشير للحاجز الذي يختبئ خلفه براءة وزين :

- الله، مش انت اللي قولتلنا نرموه هنا.

مسح الرجل على وجهه بضيق وهو يشير لركن بجانب الحاجز قائلا بنفاذ صبر:

- يا غبي بقولك ترميه هنا، جاى ترميه في الركن بتاعة البقرة يا بقرة انت

صاح الشاب بإمتعاض وهو يحك رقبته :

- الله الله، طب ليه الغلط طيب، ماخدناش بالنا، خلاص هنروح ننقلهم للمكان اللي انت طلبته.

لطمت براءة على خدها برعب فإذا جاءوا لنقل السماد فبدون شك سوف يرونهم، ولكن جاء المنقذ لهم وهو أمر الرجل أن يخرجوا ويتركوا كل شئ كما هو.

تنفس الاثنان الصعداء وهم ينظرون لبعضهم البعض بهدوء حتى سمعوا صوت إغلاق باب الحظيرة، ومع صوت غلق الباب انطلقت ضحكات الاثنان وهم يشيرون لبعضهم البعض وقد غطتهم المخلفات.

أغلق زين أنفه بإشمئزاز وهو يقول :

- ده انا محتاج اتنقع في ديتول لسنة قدام عشان الريحة دي

ضحكت براءة عليه بشماتة قائلة :

- ديتول مين يا كبير، هو شوية كلور ولمون هتبقى فلة

نظر لها زين بإمتعاض قائلا :

- اششششش اسكتي خالص خليني اشوف غاروا ولا لسه في البلد.

وصل عزيز لمنزل العمدة وهبط من على الحمار وهو يشكر الشاب كثيرا على صنيعه ذلك ولكن توقف ليجيب على هاتفه، فأجاب ببسمة واسعة :

- الو يا عريـــــــسنا

تحدث إليه زين بخفوت وضيق :

- إنت وصلت يا عزيز ولا لسة

أجاب عزيز وهو ينظر لمنزل العمدة ثم تقدم منه :

- آه وصلت اهو ولسه داخل الدوار، انت فين كده؟

تحدث زين بجدية شديدة يحاول شرح الوضع لوالده :

- اسمع يا عزيز الناس اللي كنا بنهرب منها عرفت توصل للبلد هنا واحتمال كبير يكونوا عارفين الدوار فأنت هتدخل وتعمل نفسك من قرايبهم وتحاول تتوهم واول ما يمشوا اتصل بيا

كان عزيز أثناء استماعه لابنه قد وصل لبهو الدوار فوجد رجال ضخام الجسد ولسوء الحظ كان من بينهم بعض الرجال الذين رآوه في العمارة، فابتلع ريقه بتوتر وهو يتحدث في الهاتف قائلا :

- طب تمام زى ما اتفقنا عايز آتنين واحد توم وجيري والتاني اسبونج بوب ومش هنختلف في السعر

فهم زين من حديث والده أن هناك أحد معه لا يود منه معرفة مع من يتحدث فأغلق الخط بكل هدوء دون اى رد منه.

بينما على الجانب الاخر ابتسم عزيز بغباء وهو يتجه لفرج قائلا وهو يفتح ذراعيه وكأنه يستقبل صديق بعد سنوات غياب طويلة :

- يااااه يا جدع كل دي غيبة ياراجل

ثم ضم فرج إليه جيدا وهمس له في اذنه بكلمات منخفضه يُعلمه فيها أنه والد زين، فهم فرج عزيز وبادله العناق وهو يقول ببسمة ود :

- ما انت اللي مش بتسأل، والله وحشتني قعدتنا سوا

تحدث أحد الرجال والذي رأى عزيز سابقا فقال بشك كبير :

- مش انت الراجل اللي كان في العمارة بتاعة البنت والواد؟

ابتسم عزيز بغباء وهو يهز رأسه قائلا :

- ايوة انا

تحدث احد الرجال بسخرية كبيرة وقد بدأ يتأكد أن عزيز له علاقة بذلك الشاب او الفتاة :

- وياترى بتعمل ايه هنا، ولا انت هنا عشان سوسيتا برضو؟

صاح عزيز ببسمة غبية وهو يصفق بيده :

- الله ينور عليكي، انا هنا عشان سوسيتا أصل ده بيت سوسيتا وده يبقى خالها وانا كنت جاى في زيارة ليهم من سوسيتا

همس له فرج بخفوت وعدم فهم :

- مين سوسيتا دي

تحدث عزيز وهو يحاول الا يظهر ذلك :

- بنت اختك

قال فرج بغباء ينظر لعزيز :

- معنديش اخوات بنات

ضربه عزيز وهو يحدجه بنظرات تحذيرية فقال فرج وكأنه انتبه للأمر:

- آه اختي حبيبتي والله وحشتنا آوي دي متغربة في ال

قاطعه عزيز وهو يضربه بخفة قائلا ببسمة بلهاء :

- الله يرحمها يارب

انتبه فرج له وقال بحزن شديد :

- آه اتغربت عن الدنيا يا حبيبتي وقابلت وجه كريم، بس قبل ما تموت سابت لينا بنتها حبيبة قلب خالها، بنت ملاك قمورة كدة

نظر له عزيز وحرك رأسه بأسف وهو يقول بسخرية مخفية :

- الله يكرمها الأخت سوسيتا دايما كانت مصدر لسعادة شباب كتير اوي

هز فرج رأسه وهو يدعي فهمه للأمر قائلا:

- حبيبة خالو شغلها بعدها عننا، بتتعب آوي يا حبة عيني

هز عزيز رأسه بتأثر وهو ينظر أرضا ويتحدث بأسف :

- آوي، بتتعب آوي

تنهد فرج بتعب وهو يكمل تلك التمثيلية :

- بس تعرف انا مش زعلان على بعدها ده، كفاية انها بقت ونعم البنات اللي نفتخر بها في البلد وارفع راسي في كل مكان بيها، تخيل دي بقت مثل أعلى لكل بنات القرية

رفع أحد الرجال حاجبه بسخرية لاذعة ثم قال :

- فعلا ونعم البنات

ابتلع عزيز ريقه ثم نظر للرجال وغمز لهم دون أن يرى فرج وهمس لاحد الرجال قائلا بشفقة :

- هو ميعرفش، هو مفكر إن بنت اخته بتشتغل شغلانة محترمة، بلاش تصدمة فيها

تحدث أحد الرجال قائلا وهو يرمق المكان حوله :

- ازاى حضرتك كنت مع سوسيتا دي وبتقول انها صاحبتك، وفي نفس الوقت جينا لاقيناك عمال تحضن في العمدة انه صاحبك؟؟ مش شايف انها غريبة يعني؟

توقف عن الحديث وهو يدرس تعابير وجه كلا من عزيز وفرج فأكمل قائلا :

- حضرتك تبقى صديق العمدة اللي مش شافه من سنين ولا صديق بنت اخته اللي كان بيقضي ايام عندها؟

لم يفهم فرج ما يقول ذلك الرجل ولكنه حاول أن يبرر ما يحدث فقال بسرعة :

- هو صديقي اللي ماشوفتوش من زمان، تقريبا من وقت ما ساعد بنت اخويا انها تلاقي شغلها االي هى فيه تحت اشرافه، فعشان كده بقت قريبة منه

نظر الرجال ببسمة ساخرة لعزيز الذي حاول إخفاء وجهه بخجل شديد وهو يهمس بتبرم :

- ما شاء الله بقيت قواد قد الدنيا.

هز أحد الرجال رأسه قائلا بتفهم وهو يظهر اقتناعه :

- معلوم معلوم يعني انت متعرفش البنت اللي كانت في القاهرة دي فين

فرج وهو ينكر معرفته بأى شئ يخص براءة او زين :

- انا معرفش اى بنات في القاهرة، غير ربة الصون والعفاف بنت اختي، إنما البنات اللي بتعمل مشاكل وتهرب دي مليش علاقة بيها

ابتسم له الرجال وأشار لهم أحدهم ويبدو أنه القائد، فأنسحب الجميع واحدا تلو الاخر.

لوح لهم عزيز ببسمة وهو يقول براحة :

- مع الف سلامة نورتونا مع السلامة

ربت فرج على كتفه قائلا بتساؤل:

- الا مين سوسيتا دي؟

قال عزيز وهو مازال يتابع خروجهم ببسمة غبية :

- رقاصة.

شمّ زين رائحته بإشمئزاز وهو يرمق هاتفه كل دقيقه ليتتحق اذا ما هاتفه عزيز ام لا، فقد بدأ ينفذ صبره خاصة مع استفزاز تلك المزعجة له، بينما براءة كانت تستمتع بإستفزازه ورؤية ملامحه المغتاظة على وجهه، ولكن قاطع تلك النظرات بينهم رنين هاتف زين، فزفر براحة وهو يهتف :

- واخيرا.... الو يا عزيز ايه مشيوا..... متأكد انهم خرجوا خالص.... ماشي انا جاى وياريت تشوف مأذون لغاية ما اوصل عشان مفيش وقت أبدا.

أغلق الهاتف ونظر لها وجدها تغمز له :

- طب حتى اتقل شوية بدل ما انت مدلوق كدة

دفعها زين بغيظ شديد هاتفا بإمتعاض :

- اللهي تندلقي في نقلة سماد اسود من اللي سبق واندلقتي فيها

سارت براءة خلفه بتبرم وهى تكاد تصفعه على رقبته من الغيظ.

كانت نظرات الجميع تتوجه لهم بتعجب كبير والبعض منهم يرمقهم بإشمئزاز بسبب رائحتهم التي تسبقهم تلك.

كان زين يسير بوجه متجهم مخيف وهو يسمع همسات الجميع على رائحتهم تلك، فزفر بضيق وهو يسرع الخطى بينما ضحكت براءة بصخب عليه وهى تتبعه، حتى وصلوا للمنزل واخيرا.

نظر عزيز للباب ولمح ابنه يقف عليه، فركض إليه سريعا ليستقبله ولكن بمجرد اقترابه منه حتى انتفض بعيدا بسبب الرائحة الكريهه التي تنبعث منه، اقترب فرج سريعا ليطمئن على براءة، ولكن عبث بإشمئزاز قائلا :

- ايه يابنتي اللي عمل فيكم كده؟ انتم كنتوا بتتمرغوا في الأرض ولا إيه

ضحكت براءة بصخب لتهكم زين قائلة :

- لا اصل زين باشا كان عايز يعمل روتين عضوي

تحدث زين وهو يبتعد عنها بغيظ :

- انا هروح استحمى لأحسن دقيقة كمان ومش هتعرفوا تشيلوا رقبتها من ايدي

ضحكت براءة اليه وهى تقول بسرعة بينما تركض على الدرج :

- هستحمى وجاية على طول، نورت يا عزيز باشا

ابتسم عزيز بشدة قائلا وهو يرمق الاتجاه الذي ذهب فيه زين بمكر قائلا :

- والله ولقيت اللي تعلمك الأدب يا زين

ثم نظر لفرج قائلا بغموض شديد :

- هو أنا ممكن أقابل والد براءة؟؟

(عام ٢٠١١)

دخل مؤمن برفقة زين للحفلة، لكن كان الامتعاض هو السمة السائدة على الوجوه، حيث أُجبر زين تقريبا على الحضور رغم رفضه، ولكنه شعر بتقصيره تجاه أصدقائه لذا وجد أنه لا مفر من الحضور.

تحرك الاثنان متوغلين لداخل الحفلة باحثين عن اى اوجه يألفوها، سمع زين نداء سونيا له فألتفت وجدها تتقدم منه بخطوات متغنجة تميل بجسدها لعلها تخرج منه بنظره او ربما اكثر فتحصل منه على كلمة غزل.

اعتدل زين في وقفته وهو يرمقها بضيق شديد لثيابها تلك ولكن صمت حتى لا يسبب لها مشاكل، كما أنه قد قرر انه لم يكمل معها علاقته فقد اكتشف في الفترة التي ابتعدها عنها أنها لا تعني له الكثير كما كان يظن سابقا، وهو متأكد انها تبادله نفس الشعور ولكنها تعاند.

فجأة شعر برائد يسحب مؤمن وهو يقول بنبرة مازحة :

- تعالى ياعم مؤمن نشوفلنا مكان بعيد عن الحبيبة دول

كاد زين يعترض وهو يرى ملامح القلق على وجه مؤمن ولكن قاطعه رائد قائلا :

- هعرفه على العيال على الاقل يبقى عارف ناس غيرك

انهى حديثه وهو يسحب مؤمن ضاحكا فحاول زين اللحاق بهم ولكن منعته سونيا قائلة وهى تسحبه بعيدا الصخب :

- تعالى عايزاك في كلمتين مهمين آوي آوي

ابعد زين نظره من على مؤمن الذي كان يقف مع رائد وأصدقائه ثم نظر لسونيا بتعجب مرتقبا لحديثها

(في الوقت الحالي)

- بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير

كانت تلك الكلمات تصدح بسعادة من فم أحد الشيوخ الذي تولى عقد قران زين وبراءة.

كانت براءة تجلس على الاريكة لا تشعر بمن حولها، هل تزوجت بالفعل؟ هى كانت تمزح في الأمر ولم تكن تعتقد أنه حقيقة ولكن وجدت والدها يأتي لغرفتها ويسحبها للبهو قائلا أن المأذون في الانتظار وأنه يجب أن تعقد قرانها على زين، حتى يطمئن من تركها معه.

بينما كان زين يراقبها جيدا يتذكر استدعاء رياض له وعندما ذهب وجد عنده فرج وعزيز وهناك علم بمعرفتهم لهويته الحقيقية وبأمر المهمة، فقد اخبرهم عزيز كل شئ، وافق رياض على عقد قرانه على ابنته على أن يعده زين أن يحفظ له ابنته ويعيدها سالمة وبعد انتهاء هذا كله سوف يطلقها، شعر زين عند نطق رياض بكلمة الطلاق بإنقباض في صدره ولكنه تجاهل الأمر ووافق على حديث رياض، وها هم يستعدون لمغادرة القرية حتى يبحثوا عن مكان جديد للأختباء.

فجأة دخل أحد الغفر وهو يقول بصوت عالي :

- الرجالة اللي كانوا هنا رجعوا تآني يا عمدة

نهض الجميع بفزع ينظرون لبعضهم البعض

فقالت براءة بسرعة وهي تتجه للمطبخ:

- هروح اجيب الطاسة بسرعة

امسكها زين قبل أن تركض ثم سحبها قائلا بامتعاض :

- تعالي يا ست ربانزول بأم الطاسة اللي كل مصيبة تمسكيها دي

نظرت له براءة بحنق فأشار فرج سريعا لباب المخزن قائلا :

- بسرعة يابراءة اخرجوا من باب المخزن بسرعة

جذبته براءة خلفها وركضت سريعا للمخزن.

بينما نظر عزيز للمأذون وكاد يتحدث لكن وجد الرجال يقتحمون المكان مجددا فأبتسم فرج قائلا :

- اهلا اهلا والله وحشتونا الشوية دول، اؤمر ياباشا نسيت حاجة ولا ايه

نظر لهم قائد الرجال وقال بحدة :

- إحنا شوفنا الاتنين داخلين هنا هما فين؟ خليهم يخرجوا أحسن ليهم

تحدث عزيز بعدم فهم مصطنع:

- آتنين مين دول ياباشا ده احنا كنا قاعدين بنرقي الدوار لأحسن الحسد مبقاش سايب الناس في حالها حتى اسأل الشيخ

نظر الجميع للشيخ الذي قال وهو يهز رأسه :

- اى نعم، ما يقوله هذا الرجل صحيح يا ولدي

أشار عزيز للشيخ ببسمة قائلا:

- اها جبت حاجة من عندي انا ياولدي

كانت براءة وزين مايزالون داخل المخزن حيث أراد زين معرفة كل ما سيحدث بينهم

همست براءة قائلة :

- هو احنا هنروح فين ها؟

نظر لها زين بتحذير وهو يحدجها بنظرات حادة قائلا :

- اسكتي خالص

تحدثت براءة بغيظ تحاول النظر من الثقب الذي يراقبهم منه زين قائلة :

- اشمعنا انت؟ انا كمان عايزة اشوف

كتم زين فمها وهو ينظر من الباب ثم رمقها بحده قائلا بخفوت :

- ما نطلع ليهم احسن؟ انتِ هبلة يا بت وطي صوتك هتفضحينا، بعدين يلا اتحركي خلينا نخرج من هنا

كان الرجال مازالوا يبحثون في المنزل عن اى أثر لهم حتى أتى أحد الرجال من الخارج وصاح قائلا :

- في عربية خرجت ناحية اول البلد

نظر لهم الرجل بشر ثم قال قبل أن يرحل :

- حظكم حلو للمرة التانية

انطلقت سيارة زين تشق طريقها نحو المجهول مجددا ولكن تلك المرة تختلف فالان من تجلس بجواره ليست مجرد مهمة عليه إنجازها بل هى زوجته التي عاهد نفسه على حمايتها ولو اضطر للموت في سبيل ذلك.

قال زين ينظر لها بغيظ صائحا :

- تعرفي هيجي يوم واقطعلك لسانك ده

نظرت له بإستهجان ولم تكد تجيبه حتى شعر الاثنان بإصطدام قوي من الخلف

نظرت براءة برعب فوجدت سيارات عديدة تلاحقهم بل ويصطدمون بهم، بدأ زين يزيد من سرعته وهو يصرخ بها حينما سمع إطلاق الرصاصات :

- انزلي تحت بسرعة

هبطت براءة للأسفل تحاول أن تشرأب بعنقها لعلها تظفر بنظرة، ولكن حدث اصطدام ثاني أقوى من الأول، فأنقلبت رأسا على عقب ولولا الموقف الذي يعيشونه حاليا لكان زين سقط ضاحكا من مظهرها.

وجد زين سيارة تقترب من جانب براءة وتصطدم به بعنف شديد، حتى شعر زين بأنه على وشك اقتلاع ذلك الجانب، بدأ الوضع يتأزم بشده وعدد السيارت تزداد اكثر واكثر، يبدو انهم لم يرحلوا من القرية وانتظرو ظهورهم حتى يطاردوهم.

أخذ زين ينظر حوله لعله يجد طريقة للنجاة من هذا الحصار، فكر في أن يجعل براءة تقود وهو يهاجهم كما المرة السابقة ولكنه ابعد هذه الفكرة عن رأسه تماما حتى يعلم تلك التي تصرخ بجانبه كيف تقود السيارة.

ازدادت حدة الاصطدام بالسيارة وزين يكاد يفقد السيطرة على سيارته ويبحث عن اى مخرج في هذا الطريق الغير مؤهل لهذا النوع من المطاردات فقد كانوا على الطريق المؤدي للقرية، حيث الأرض رملية بها العديد من الصخور وبجانب الطريق يوجد مصرف للمياة (ترعة).

رفعت براءة رأسها بخوف وهى تنظر للسيارات التي تطاردهم وتصرخ برعب :

- ملحقتش اتهنى بلقب متزوجة الله يحرقكم هبقى ارملة بعد ساعة من جوازي

نظر لها زين بصدمة من حديثها ثم صاح بها غاضبا :

- وليه مكونش انا الأرمل بقى، اشمعنا موتيني انا

نظرت له براءة بغضب ثم صرخت :

- نسيب الناس اللي عمالة تكسر في العربية و نتخانق مين يبقى أرمل فينا.

زفر زين بضيق يحاول إيجاد اى حل فإذا استمر الوضع هكذا ففي خلال دقائق سوف تتحطم السيارة كليا وتنفجر بهم، فجأة نظر زين لبراءة وامسك يدها، فرمقته بتعجب شديد، بينما هو نظر لعينها جيدا وهمس بنبرة جادة :

- بتثقي فيا؟؟

هزت براءة رأسها برفض تقول:

- لا

ابتسم زين بخبث وسحبها سريعا من أسفل لتجلس على قدمه وضم وجهها واخفاه في رقبته وهو يقود بيده الأخرى قائلا ببسمة :

- كنت عارف إن ده ردك

تحدثت براءة بحنق وهى ترى وضعهم ذاك :

- يعني هو ده وقته رومانسية يا عم سوما العاشق انت

ابتسم زين يضمها اكثر إليه ويخفي وجهها في رقبته اكثر ثم همس لها:

- خدي نفس عميق

نظرت لرقبته التي يدفعها إليها بقوة وتحدثت بتعجب :

- ليه، هنشطيروا ولا إيه؟؟

ابتسم زين بخبث وازداد من ضمه لها، وفي ثواني كان ينحرف بسيارته قافزا بها في مجرى المياة (الترعة) فصدحت صرخات براءة وهى تشعر بسقوطهم:

- صلي على رسول الله..

***

(الفصل التاسع)

توقفت بضع سيارات على حافة المجرى المائي وهبط منها العديد من الأشخاص المسلحين، ثم اقتربوا أكثر من الحافة يحاولون معرفة مصير سيارة زين ومن فيها.

تحدث أحدهم قائلا بتخمين :

- أظن انهم غرقوا، الترعة دي شكلها عميق آوي وكمان تلاقيهم هيتحبسوا في العربية

وافقه الجميع على تخمينه ذاك ولكن تحدث أحدهم وهو يرمق المجرى بنظرات مدققة قائلا:

- ما اظنش إن واحد بخبرة زين الهلالي ينتهي بالسهولة دي.

نظر الجميع لبعضهم البعض بتعجب فتحدث أحدهم قائلا :

- زين الهلالي؟؟

ضحك ذلك الرجل قائلا بسخرية لمن معه :

- متقولش انك معرفتش زين الهلالي، وأن اللي عند العمدة ده يبقى ابوه؟

رمق بعضهم البعض بدهشة ثم بادر شخص :

- وانت ازاى عرفته؟ وليه دلوقتي بالذات بتقول إنه زين رغم إنك شوفته قبل كده في شقة البنت

تحدث ذلك الرجل والذي يدعى مجد قائلا بمكر :

- أصل كنا زملا آوي ايام الجامعة، ثم إني مكنتش معاكم يوم الشقة يا اغبية، بعدين انتم فكرتو إني شكيت فيهم ليه ورجعنا تاني؟ ما عشان عارف عزيز الهلالي وعارف انه ابو زين وأكيد وجوده هنا معناها إن زين كمان هنا.

صدم الجميع من معلوماته تلك والتي كانوا يجهلونها فلم يسبق لهم أن رأوا وجه زين بل كانوا يسمعون عنه فقط.

تحدث أحد الرجال قائلا بنفاذ صبر وهو يحرك يده في الهواء :

- طب وبعدين يعني هنفضل واقفين كده كتير

رد عليه اخر قائلا بنزق :

- انا بقول نرجع لرائد باشا ونقوله إننا خلصنا منه وكده كده هو مش هيطلع من الترعة دي سليم

وافقه الجميع ولم يستطع مجد التحدث او معارضتهم ولذا تحرك معهم صاغرا ولكن كانت أعينه ما تزال معلقه على المجرى المائي بشر، ثم صعد للسيارة هامسا بحقد :

- وماله حتى لو ظهر تآني فأنا مستنيه.

وهناك في اسفل المجرى كان زين ما يزال يضم براءة إليه ثم ابعدها قليلا وأشار لها بعينه أن تهدأ وألا تتحرك، كانت براءة على وشك الدخول في حالة انهيار وهى تشعر بأنفاسها بدأت تبطئ وبأنها تسقط في غيمة سوداء، في نفس الوقت خلع زين مسند الرأس الموضوع أعلى مقعده واستخدم الجزئين المعدنين في كسر نافذة السيارة وفتح الباب من الخارج، حيث كان عالقا من الداخل، فتح زين الباب واستدار بسرعة لبراءة وجدها اغمضت عينها وتسقط مغشيا عليها فأصابه ذعر وحالة هيسيترية وهو يظنها قد ماتت، أخذ يتحرك بعنف مخيف في الماء وهو يسبح إليها ثم ضمها إليه برعب يكاد يفتك به، وأخذ يسبح بها بسرعة ولهفة كبيرة وذكرى مشابهه تتكرر أمام عينه، واخيرا خرج من الماء وهو يتنفس بعنف ويتحدث برعب شديد قائلا :

- براءة، براءة اصحي خلاص خرجنا براءة اصحي يا براءة ارجوكي.

لم تستفق براءة فهى ليست مثله مدربة على كتم الأنفاس لفترة طويلة.

أمسكها زين جيدا وسبح بها لحافة المجرى ثم وضع جسدها ببطئ على الأرض وصعد بجانبها وعانقها برعب شديد يهمس لها ألا تفعل مثلهم، ألا تتركه كما فعلوا، كان يهذي بحديث غير مفهوم ولكن استفاق من حالته تلك حينما شعر بضربات قلبها الضعيفه فوضعها أرضا برقة شديد وأخذ يحاول إخراج الماء من رئتها ونجح في ذلك وعاد تنفسها من

جديد ولكن لم تستفق براءة فأنحنى مقبلا جبينها بحنان هامسا بندم شديد :

- آسف كنتِ هتضيغي بسببي

ثم حملها بتعب شديد وسار بها مبتعدا عن ذلك المكان وقد تمكن الإرهاق منه، واخيرا وصل للطريق للسريع فوقف على جانب الطريق وهو يحمل براءة ويضمها لقلبه بحنان وخوف أن تتأذى، ولكن شعر بتوقف سيارة أمامه، رفع نظره لتلك السيارة وتفاجئ بمن بها فهمس بعدم تصديق:

أنت؟؟

(عام ٢٠١١)

كان زين يشعر انه يجلس على جمر متقد فهو لا يطمئن لحركات سونيا تلك يشعر بوجود خطب ما، تحدث زين بعدما نفذ صبره من حديث سونيا الغير مهم :

- اتفضلي يا سونيا قولي كنتي محتاجاني في إيه؟ بقالنا ساعة قاعدين وإنتِ عماله تقولي اى كلام وخلاص

صمتت سونيا وهى تنظر له بضيق شديد فهى تحاول منذ وقت طويل أن تجذب انتباهه لها ولكن دون فائدة، قالت وهى تتدلل عليه قليلا لعلها تحصل منه على نظره ترضي أنوثتها :

- أصل انت وحشتني اوي يا زين، مش ملاحظ إنك بقالك فترة طويلة مش بتسأل عني؟ طول الوقت لازق للي اسمه مؤمن ده.

نظر لها زين بحدة فأبتلعت باقي كلماتها، بينما هو تنهد قائلا :

- اسمعي يا سونيا انا كنت حابب إني افتح معاكي موضوع كده

ابتسمت سونيا بشدة فقد ظنت بغبائها أنها تمكنت من جذبه إليها ولكن تغيرت ملامحها للعبوس وهى تسمعه يقول :

- بخصوص علاقتنا فأنا شايف إن ... إن انا وإنتِ مش مناسبين أبدا لبعض، طريقة حياتنا مختلفة وميولنا وعادتنا، وكل حاجة مختلفة بينا، أظن إن ارتباطنا من الأول كان غلطة

تحولت نظرات سونيا لتبدو سوداء مخيفة فأكمل زين وهو ينهض ويغلق بذلته :

- عارف إني كنت قاسي في كلامي، بس صدقيني مش حابب إني اخدعك واوهمك بشئ مقدرش اعمله بعتذر يا سونيا

ثم تركها وخرج وخلفه نظرات سونيا تكاد تحرقه في أرضه، حيث كانت تنظر له بخيبة امل تقول :

- تمام يا زين.

خرج زين ليبحث عن مؤمن في أرجاء الحفلة حتى يرحلوا فقد ملّ الأجواء كثيرا ولكن لم يلمحه في اى مكان فاستمر يبحث عنه، ولكن بلا جدوى، أخرج هاتفه وقام بالاتصال به ولكن كانت الموسيقى عالية جدا فأبتعد عن الجميع والضوضاء ليجري اتصاله بمؤمن ولكن حينما اقترب من الجزء الخلفي حيث لا أحد هناك سمع همسات حادة وهمهمات غريبة فأقترب بحذر شديد وهو ينظر بفضول من خلف إحدى الجدران ولكن فتح عينه بصدمة وهو يراقب ما يحدث قائلا :

- مؤمن؟؟؟

(في الوقت الحالي)

كانت شريفة تتسحب على أطراف أصابعها مخافة أن يراها أحد وهى تحاول التسلل لغرفة وائل وزوجته، ولكن مر الأمر بسلامة وها هى ذا تقف في منتصف غرفتهم الخاصة دون أن يلمحها أحد، ابتسمت بشر وهى تنظر لأنحاء الغرفة، ثم أخرجت شئ كانت تخفيه في ثيابها ويبدو أنه أحد قطع الملابس الخاصة بها، اتجهت فورا للخزانة وقامت بتخبئته بين ثياب وائل بطريقة تُظهر أنه يحاول اخفاءه عن الأعين، وبعدما انتهت من فعلتها تلك نظرت للغرفة ببسمة حقودة قائلة:

- مش شوشو اللي تنطرد من حتة يا.... يا سي وائل

انهت حديثها وهى تخرج بسرعة وبنفس الطريقة التي دخلت بها ولكن بمجرد تحركها بعيدا عن الباب بخطوات حتى اصطدمت في نوال فشهقت برعب كبير وهى ترمقها بغضب صائحة :

- فيه إيه مش تقولي احم ولا دستور؟ كنتي هتوقفي قلبي

نظرت لها نوال بنظرات نارية ثم اقتربت منها قائلة :

- كنتِ بتعملي ايه في اوضة ابني يا حربايه إنتِ؟

تخصرت شريفة بتغنج فذ وهى تتحدث بنبرة مستفزة قائلة :

- وإنتِ بقى شوفتيني في اوضة حبيب قلبك ولا هو اى كلام وخلاص يا ماما

نظرت له حماتها بتهكم صائحة :

- ماما؟ الله يرحم هزتك على واحده ونص يا شوشو

احمرت عين شريفة وهى ترفع اصبعها في وجهها محذرة :

- اخرتك على أيدي يا عقربة إنتِ

ثم تركتها ورحلت وكأنها لم تهدد للتو والدة زوجها، بينما نظرت الأخيرة في أثرها تعلم ما تضمره تلك الفتاة لأبنائها، فبعد أن اوقعت إبنها الأكبر في شباكها وإقناعه أنها قد تركت مهنتها الغير مشرفة وستتوب، أخذت تتغلل في حياتهم كما المرض الخبيث، ولكن هى لن تسمح لها أن تدمر حياة صغيرها كما فعلت بحياة الكبير.

أخذ عزيز يسير ذهابا وايابا محاولا الوصول لابنه ولكن بلا فائدة، استبد القلق بالجميع، فنهض فرج وقد ملّ الانتظار قائلا:

- هاخد الرجالة واروح ادور على طريق القرية يمكن تكون العربية عطلت ولا حاجة

تحدث عزيز برعب شديد على ابنه الوحيد وزوجته التي اعتبرها ابنته :

- وانا هكلم الشركة تبعتلي حراس وناس يدوروا معانا يمكن فعلا م....

قاطع حديثهم ذلك ضربة رياض بعصاه التي يتكأ عليها بضعف قائلا بصوت ينافي هيئته:

- محدش منكم هيتحرك من مكانه، أظن كلام زين لينا كان واضح آوي أن لحد ما هو يتصل محدش يكلمه.

كاد عزيز يصيح معترضا فقاطعه رياض بإشارة من يده وهو ينهض ببطئ قائلا:

- أظن إنت آكتر من يعرف ابنك فليه خايف كده؟؟ انت مش واثق فيه، ايه عمره ما راح مهمة واخبارة انقطعت؟

نظر له عزيز بحزن فهو محق ولكن شعر بألم في قلبه وكأن صغيره يتألم حاول أن يداري خوفه ذلك لعله مجرد خوف لا اساس له، فقال وهو ينظر لفرج :

- خلينا مستنين لحد ما يتصل بينا؛ لأن زين فعلا مش بيحب حد يتصل بيه في اى مهمة وهو أول ما يلاقي مكان آمن هيتصل لوحده متقلقش

هدأ فرج قليلا ولكن مازالت اعصابه متحفزة لأى شئ، ورياض ينظر أمامه بشرود وهو يتذكر وعد زين له أنه سيحمي ابنته ولو بروحه، اغمض عينه متمنيا أن يكونوا بخير

نظر زين بتعجب لسائق السيارة والذي لم يكن سوى وائل ومعه فتاة وطفل صغير.

هبط وائل سريعا من سيارته واتجه لقائد بقلق من هيئته تلك قائلا :

- حضرتك بخير يا فندم، تحب أطلب دعم او...

قاطعه زين بتعب شديد وهو يرفع براءة اكثر بعدما تراخت يده قليلا قائلا :

- لا يا وائل متطلبش حاجة انا بس عايز

صمت قليلا حتى يتماسك فهو بدقائق كاد يدخل في حالة هيستيرية، لاحظ وائل ارتباكه فضيق حاجبيه بشبه صدمة فالمعروف عن زين تماسكه الشديد في اى موقف مهما كان، اكمل زين مقاطعا أفكاره :

- عايز مخبأ بعيد عن العين يا وائل، مكان ميكونش حد يعرفه وبعيد عن الزحمة كمان

نظر له وائل بعدم فهم ولكن لاحظ تعبه الظاهر فقال بشفقة عليه :

- طب يافندم أتفضل اركب العربية الأول ارتاح وأنا هفكرلك في مكان آمن.

اضطر زين للإمتثال لحديثه فقد أنهكه التعب، فتقدم وهو مازال يحمل براءة بحنان من سيارة وائل، جاء وائل ليساعده في إدخال براءة للسيارة، فجذب زين براءة بعيدا عن وائل بعنف مخيف جعل وائل يتقهقر للخلف بسرعة، بينما نظر زين لبراءة مجددا وحاول أن يضعها في السيارة برقة حتى نجح في الأمر ثم صعد بجانبها واسند رأسها على فخذه وأعاد رأسه للخلف بتعب شديد.

صعد وائل لسيارته بجانب حياة التي كانت تنظر لبراءة في المرآة الأمامية بخوف شديد فهى لاتنسى براءة وما فعلته لأجلها.

تحدث زين بتعب وهو يغمض عينه مشيرا لوائل بالانطلاق :

- أتحرك يا وائل ابعد عن هنا بسرعة

تحرك وائل ممتثلا لأوامر قائده، وهو يفكر في مكان بعيد يمكن أن يتخذه زين مخبأ له.

بينما زين أغلق عينه بتعب ليس بدني بل نفسي حيث توالت المشاهد أمام عينه.

(عام ٢٠١١)

اقترب زين من مكان الهمس بتعجب فوجد ما جعله يصدم حيث كان رائد واصدقاءه يمسكون مؤمن وقد خلعوا عنه بذلته ليذلوه ثم أخذوا يضربوه بعنف، انطلق لهم زين بشراسة كبيرة وهو لا يرى أمامه سوى دموع صديقه، ذهب إليهم وسحب أحدهم من فوق مؤمن لاكما اياه بغضب وهو يسبه بسباب نابي، ويضربه كالمجنون واسفله الشاب يصرخ من عنف ضربات زين.

ركض رائد بفزع حينما رأى اقتراب زين من أحد اصدقاءه وضربه، حاول جذب زين من فوق صديقه وهو يحاول أن يهدأه، ولكن لم يكن زين في الحالة التي تمكنه الاستماع لأحد، حيث هبط فوق الجميع يكيل لهم الضربات بدون رحمة وأنين صديقه يخترق آذانه بعنف، حتى توقف فجأة يشعر بضربة عنيفة فوق رأسه فوضع يده بألم واستدار وجد مجد ينظر له بغل قائلا :

- اوعى تكون فاكر نفسك مفيش زيك، لا فوق يا زين يا هلالي ده انت واحد..... اصلا

شاهد زين صراخ رائد بمجد لما اقدم على فعله وفي ثواني كان الجميع يركض مرتعبا من المكان، فأتجه زين بتشوش لجسد مؤمن المرمى أرضا وضمه إليه بحنان ووجع هامسا بثقل :

- مؤمن اصحى هنمشي يلا ، فتح عينك متعملش فيا كده، انت عارف اني مش بحب الحركات دي، اصحى يا مؤمن متعملش زى ماما وتسبني.

هبطت دموع زين بشدة وهو يصرخ بوجع شديد ورعب :

- مؤمـــــــــــن

فاق زين من تلك الذكريات الأليمة التي اعادتها مجددا مشهد براءة وهى بين يديه، انتبه زين على توقف السيارة فنظر حوله بتعجب وجد شاطئ واسع جدا غير مأهول تقريبا لا يوجد به شئ سوى منزلين بجانب بعضهم البعض، نظر زين لوائل في انتظار شرحه.

تحدث وائل مشيرا للمنازل أمامه قائلا بهدوء وجدية :

- حضرتك طلبت مكان بعيد عن الزحمة والناس، وده طلبك.

رفع رائد نظره لرجاله ثم ضحك بصخب يصفق بكفيه قائلا:

- مات؟ زين الهلالي مات بالسهولة دي؟

فجأة انقلبت ملامحه للنقيض صارخا بهم :

- ده زى القط بسبع أرواح، ازاى تتحركوا من هناك من غير جثته؟

تقدم مجد قائلا وهو ينظر للجميع بشماتة :

- قولتلهم يا رائد باشا إن اللي زى زين ده مش سهل يتكل كده

رمق رائد مجد جيدا ثم قال بسخرية :

- وطبعا مين أدرى بزين غيرك يا مجد، ده حتى السوڤينير (تذكار) اللي سابه ليك لسه معلم على خلقتك

وضع مجد يده على جرح وجهه الذي يبدأ من عينه وحتى منتصف رقبته، وقال بحقد :

- زين الهلالي لو بس يقع في أيدي

ضحك رائد بسخرية ثم رمق رجاله قائلا :

- يعني كده اللي انقذ البنت دي هو هو زين باشا، مش كده؟

هز الجميع رأسه بإيجاب فأبتسم لهم رائد بسمة مقيته وهو يشير بيده ليرحلوا، ثم اخرج هاتفه وتحدث مع ذلك المجهول قائلا بنبرة مرعبة :

- الو..... انا موافق شوف عايز تعمل ايه وانا معاك، في الاخر مصلحتنا واحدة.

تقدم زين من المنزل يحمل براءة بكل حنان ثم أنتظر قليلا حتى لحق به وائل وفتح له الباب فتقدم زين للداخل وهو يبحث عن مكان

لوضع زوجته به فأشار له وائل ليلحقه لداخل إحدى الغرف ومن خلفهم حياة التي رمقت براءة بشفقة قائلة :

- ممكن حضرتك تسيبها اغيرلها اللبس

بلا شعور ضم زين براءة إليه فقال وائل متعجبا تلك الحالة :

- دي حياة مراتي يا فندم ممكن تسيبها هى تغير للأنسة فيه هدوم هنا خاصة بأختي أظن أنها هتناسبها، لغاية ما اكلم حضرتك برة

نظر زين لبراءة قليلا ثم ابتعد عنها تاركا إياها لحياة حتى تبدل ثيابها، وخرج هو برفقة وائل الذي جلس على الاريكة مشيرا له بالجلوس أيضا ثم بادره وائل بالسؤال :

- مين دي يا فندم؟؟ مش دي البنت اللي اتخانقت معايا يوم الاقتحام؟

هز زين رأسه وهو يزفر بتعب قائلا :

- دي تبقى مراتي يا وائل

صدم وائل من حديثه واقترب اكثر منه قائلا :

- حضرتك اتجوزت؟

هز زين رأسه وبدأ يقص عليه امر المهمة فهو بالنهاية من فريقه وهو يحتاج لأحد يثق به ويساعده وعندما إنتهى من اخباره بكل شئ حتى لحظتهم تلك، سارع وائل قائلا :

- يعني كده الورقة اللي كانت ممكن تدين رائد الدميري اختفت؟

هز زين رأسه بأسف فذلك الخبر تلقاه مباشرة بعد عودته هو وبراءة ذلك اليوم من الحقل مساءا، فقد علم أن الورقة التي تدين رائد قد سُرقت من مكتب قائده بطريقة غامضة، كما أن رائد يبحث عنهم في كل مكان.

تحدث وائل وقد حسم أمره فيما سيفعله :

- ارجوك سيبني أساعدك في المهمة دي

نظر إليه زين بإستنكار وكاد يرفض فقاطعه وائل قائلا بلهفة :

- ارجوك اسمعني الأول، الشالية ده بتاع اخويا واللي جنبه بتاعي أنا هقعد فيه مع مراتي وابني وهبلغهم في البيت إني محتاج ابعد شوية خصوصا في ظل المشاكل اللي بتحصل في البيت ، ومتقلقش المكان هنا أمان ومحدش يعرفه وبعيد عن المدينة واقرب مكان مأهول هنا على بعد كبير ومحتاج عربية

صمت يستشف رأى زين ولكن كالعادة ملامحه غامضة فحاول الضغط أكثر عليه قائلا:

- وكمان عشان المدام تكون مرتاحة آكتر لما تلاقي بنت زيها معاها، وعشان لو احتجت اى حاجة انا عارف المكان هنا.

صمت ينتظر رده فنهض زين زافرا بضيق من إلحاحة، ثم قال بعد تفكير طويل :

- تمام ياوائل بس خليك فاهم إن الموضوع ده ميتعرفش من أى حد سامع

نهض وائل بحماس وهو يصيح مؤديا التحية العسكرية :

- أوامرك يا قائد

في ذلك الوقت خرجت حياة وهى تحمل صغيرها قائلة ببسمة :

- انا غيرت ليها لبسها بس !!!

صمتت بتوتر فأنتبه لها زين جيدا وقال بترقب :

- بس إيه؟ مالها براءة؟

قالت حياة ببسمة مهدئة إياه :

- لا لا هى بخير بس... وانا بغير لبسها لاحظت كدمات في كتفها اليمين وهى مزرقة تقريبا اتخبطت فيها

تذكر زين لحظة اصطدام السيارة بالمياة وربما وقتها اصطدمت هى بالسيارة لام نفسه على وجعها ذاك

فتحدثت حياة لزوجها ببسمة جامدة :

- نمشي يا وائل؟

قال وائل لها بتقرير :

- لا يا حياة احنا هنقضي فترة هنا بعيد عن البيت على الأقل ناخد هدنة من المشاكل

كادت حياة تتسآل عن مقصده فقاطعها وهو يجذبها لخارج الشاليه قائلا :

- تعالي هفهمك في الشالية بتاعنا

ثم خرج تاركا خلفه زين وقلبه يتآكل على زوجته التي تتسطح في الداخل بلا حول ولا قوة

في الداخل عند زوجته التي بلا حول ولا قوة كانت براءة تتذمر وهى تبعد عنها الغطاء بإنزعاج قائلة بإمتعاض :

- لو قاصدين يسلقوني مش هيغطوني في عز الحر كدة

اعتدلت على الفراش وهى تنفخ بضيق ثم نظرت حولها بأعين متفحصة وهى تقول :

- الاه هو أنا فين، يكونش زعيم المافيا خطفني عشان نبدأ قصتنا

توقفت قليلا ثم قالت بيأس :

- متأخرة يا ابو الاجرام خلاص اتجوزت الزفت زين اللهي يارب ي....

توقفت عن الحديث فجأة وهى تتذكر كل ما حدث لها قبل أن تسقط مغشيا عليها فزعت وهى تنظر لثيابها قائلة بغضب:

- الزبالة بيستغل اني نايمة وبيغرغر بيا ويغيرلي لبسي، طب ما انا كنت صاحية قدامه الا ما حتى أخدني بالحضن غير واحنا بنتقلب في الترعة، قلبوه في ماية نار البعيد.

نظرت حولها بتفكير وهى تحاول معرفة أين هى، هل مازالت بمصر ام أخذها خارج مصر كما تقرأ في الروايات حيث تستيقظ البطلة لتجد نفسها في منزل كبير في دوله اجنبية وقد بدل البطل ثيابها.

توقفت عن الاسترسال في أحلامها وهى ترى الثوم المعلق في النافذه المجاورة لها فقالت بسخرية لأفكارها :

- لا لسة في مصر الحمدلله

هبطت من الفراش وهى تنظر حولها بحثا عن ذلك الزين فسوف تقتله بيدها تلك كيف يتجرأ ويقفز بها في المياة ذلك الغبي، ولكن أثناء سيرها

في الغرفة سمعت أصوات أقدام تقترب فركضت سريعا حتى كادت أن تسقط وادعت انها ما تزال في غفوتها حتى تعلم ما يحدث حولها.

دخل زين للغرفة بهدوء خوفا أن يوقظها، واقترب من الفراش وهو يتسحب على أطراف أقدامه حتى توقف أمام الفراش الخاص بها فأبتسم بحنان عليها وانحنى رامقا اياها عن قرب ولاحظ لأول مرة شعرها الذي كانت تخفيه خلف حجابها، ابتسم عليها فهى تبدو هادئة كالاطفال في نومها، قال بهدوء وصوته الرخيم :

- عاملة زى الملايكة وإنتِ نايمة، ولما تصحي بتبقى عاملة زى القرود

همست براءة لنفسها بغيظ من حديثه :

- جاك قرد ينططك يابعيد

انتبه زين لتحرك أهدابها فأبتسم بسخرية على حركاتها الطفولية تلك، واقترب منها وهو يهمس بقصد :

- تعرفي انك حلوة اوي

حاولت براءة إخفاء بسمتها بصعوبة فاكمل هو قائلا بأسف مصطنع :

- بس للاسف كرشك ده مبوظ الدنيا، ولا خدودك الكبيرة دي والهلات السودة اللي تحت عينك دي، وشعرك كنت حاطط امل فيه بس طلعتي كارتة

هنا لم تحتمل براءة ادعاء الإغماء ونهضت بعنف وهى تصرخ :

- جاك كارتة يوقفوك فيها ما تعرف تعدي منها يا بعيد، بقى انا بكرش يا معفن ده انا عود فرنساوي ، ثم ايه الهالات السودة دي، سودوا عيشتك.

ضحك زين بعنف وهو يسقط أرضا ويشير لها :

- يخربيتك بكابورت فتح

هبطت براءة من على الفراش بحده وهى تقترب منه بشر قائلة :

- تعالى بقى جرب الباكبورت لما ينفجر في وشك

نهض زين بسرعة حينما رأى ملامح الشر ترتسم على وجهها ولكن أثناء نهوضه بسرعة تعرقل في مفرش الأرضية فسقط مجددا بحدة ولكنه قاوم ونهض مجددا وركض خارج الغرفة وهى خلفه تصرخ به بغضب :

- بقى انا ياض تقلبني في الترعة ده انا هقلبك في عين الحمام يا زبالة

ازدادت ضحكات زين بصخب اكثر وهو بداخله يحمد الله على تعافيها ذلك فهو حينما شعر أنه على وشك فقدها علم لكم هى مهمة في حياته.

خرج زين ودخل للمطبخ يحاول الصعود على الأثاث وبراءة خلفه تصرخ به أن يهبط، ولكن توقف الاثنان عن الحراك وتجمدت اجسادهم وهم يستمعون لصوت حركة في الغرفة المقابلة للمطبخ.

نظرت براءة لزين برعب ثم وضعت ما كانت تحمل في يدها وصعدت بجواره بكل هدوء وتمسكت به وهى تقول :

- انا اسفة انا عيل، روح شوف مين اللي في الاوضة دي

نظر زين لها بحنان وهو يربت على رأسها ثم أشار لها بالهدوء والصمت وهبط هو ثم ساعدها في الهبوط وحمل العصا التي كانت تحملها هى منذ قليل لضربه، وتحرك وهى خلفه تتمسك به كطفله صغيره تتمسك بوالدها، واتجه الاثنان للغرفة بهدوء شديد، مدّ زين يده وفتح الباب بحذر ولكن فجأة.....

حاول سكان العمارة جذب عامر من تحت يد جده بصعوبة

قال شعبان بنزق وهو يجذب عامر :

- ياسيد سيب الولد حرام عليك، قولنالك ده حفيدك

نظر له سيد بشر قائلا وهو يصيح بهم :

- برضو هيقولي حفيدي، يابني بقولك انا زوجتي ماتت لما كنت في حرب العراق ومكنش عندنا عيال ازاى بقى جاى تقولي أن ده حفيدي

صاح عامر بضيق شديد يحاول الفرار من تحت يد جده:

- حرب العراق مين يا سيد ده انت وقتها كنت كاسر الاربعين

جذبه سيد بعنف قائلا :

- ليه يا خويا شايفني من العصور الوسطى ولا إيه

زفرت سوسيتا بضيق وهى تترك الجميع خارجة من العمارة حتى تتجه لعملها

بينما استمر الشجار بين الجميع في الداخل

بمجرد خروج سوسيتا من باب العمارة حتى سمع الجميع صراخها يعلو المكان

فتح زين الباب ولم يكد يتقدم خطوة حتى عاد للخلف بسرعة هو وبراءة بسبب اندفاع قطة ما يبدو أنها دخلت من النافذة المفتوحة

وضعت براءة يدها على صدرها وهى تتنفس لتهدأ، اقترب منها زين ودون أن يشعر ضمها إليه قائلا بحنان وهو يربت على ظهرها :

- خلاص اهدي مفيش حاجة حصلت، جعانة؟؟

تعجبت براءة بل صدمت لحديث زين ذاك ولحنيته الغريبة ولكن انتبهت على سؤاله ورفعت عينها له وابتسمت بخجل وهى تهز رأسها بنعم، ابتسم لها زين وهو يجلسها على الاريكة ودخل للغرفة وتأخر قليلا ثم عاد وهو يبتسم لها قائلا:

- تعالي هنروح ناكل من اى مكان وبالمرة نشتري تليفون غير اللي باظ

نهضت براءة بحماس وفرحة وهى تقول بينما تتجه لباب الشالية :

- اشطا يلا بسرعة عشان هموت من الجوع

اوقفها زين يمسك ذراعها وشدها إليه سريعا قائلا بنظرات مستنكرة :

- يلا فين، إنتِ هتخرجي كدة؟

والان فقط انتبهت براءة لهيئتها فصرخت به :

- آه صح فكرتني، ازاى يا أفندي يا محترم تجيلك الجرئة إنك تغيرلي لبسي ها؟؟

رمقها زين بتعجب ثم اقترب منها بخبث هامسا :

- أنا جوزك يعني عادي

احمر وجهها من همسه ولم تكد تصرخ به حتى عاجلها قائلا :

- عموما مش انا اللي غيرت ليكي

نظرت له بفم مفتوح ثم تساءلت بنبرة مريبة :

- أمال مين لا مؤاخذه

قال زين يدعي البراءة ويحرك كتفه بعدم اهتمام قائلا:

- واحدة

نظرت له براءة بغضب ثم اتجهت له وقالت بعنف وهى تجذب ثيابه :

- اسمع ياض عشان من اولها نتفق، بارد ورخم وقولنا ماشي، مش بتعرف تعامل الليدز وعديناها، مش قليل ادب وهنعلمك، إنما تجبلي اى واحدة فيها تاء التأنيث هنا واستوب بقى عشان فيها رقاب يابا، ده انا اطين عيشتك انت وهى

ضحك زين على حديثها بشدة ثم ابعد يدها عن ثيابه قائلا :

- تصدقي خوفت منك، اسمعي يا براءة وخليها حلقة في ودانك انا لا بخاف منك ولا من غيرك ماشي، ثم إن الست دي كانت مرات واحد صاحبي مش اكتر

نظرت له براءة بشك وهى تضيق نظرها قائلا :

- اكيد؟ يعني مش شوفت حاجة؟

هز رأسه بنفى فأكملت هى بإمتعاض :

- يا اخي تبا لاحترام الأزواج

نظر لها بعدم فهم حيث كانت تتحدث لنفسها بصوت منخفض ولكن لم يكد يتحدث حتى تركته وركضت لغرفتها وهى تتحدث لنفسها بضيق :

- ماشي يا زين يا محترم اما فسدتك

وصلت للغرفة التي كانت تنام بها وحاولت البحث عن اى ثياب تناسب خروجها ولكن كل ما وجدته هو ثياب شاطئ وثياب للمنزل مثل التي ترتديها، زفرت بضيق شديد ثم خرجت لتخبر زين بالأمر ولكن لم تجده حيث تركته فأتجهت لأول غرفة صادفتها ولكن عندما فتحت الباب تجمد جسدها وهى ترى زين يبدل ثيابه حيث لم يكن يرتدى ثيابه العلوية، فصرخت بعنف، بينما هو فزع بسبب صراخها، وأتجه لها بسرعة وحاول كتم فمها ولكنها عادت للخلف بسرعة، رفع زين حاجبه بإستنكار ثم اقترب منها وحاصرها في الحائط قائلا بهمس :

- لما إنتِ بتقلبي قطة كده عشان بس شوفتيني من غير تيشرت، أمال كنتي عايزاني اغيرلك ازاى؟

نظرت له بإنشداه وابتلعت ريقها ثم حاولت الإبتعاد عنه ودفعه بعيدا ولكنه لم يتحرك من مكانه خطوة واحد، فرفعت نظرها له وقالت بصوت جاهدت لخروجه:

- كنت بهزر والله، هتلاقيني بهزر في حجات كتير بس انا بُق أساسا

ابتسم زين ثم مد يده وضمها إليه، فأنتفضت هى ولكنه ضمها اكثر يقول بهدوء شديد :

- اسمعي يا براءة انا في البيت معظم الوقت بكون من غير تيشرت لاني كنت عايش انا وعزيز لوحدنا فأتعودت، هحاول البسه هنا طالما انتِ

بتتكسفي كده ماشي؟

هزت رأسها ببطئ فأبتعد هو قليلا ونظر لوجهها بحنان هامسا وكأنها طفلته، لا يعلم فقط يشعر أنها أصبحت تخصه ومسئوله منه :

- ودلوقتي بقى كنتِ جاية عايزة ايه؟

حاولت أن تخرج حروفها بدون أن يظهر ارتعاشها من الموقف فقالت بخجل شديد :

- كنت عايزة لبس اخرج بيه، عشان إللي عندي كلهم لبس بيتي وو... ومايوهات

ضحك زين بشدة فهو لأول مرة يكتشف الجزء الخجول بها، ابعدها عن احضانه قليلا ثم قال وهو يشير للخزانة :

- أظن أن ممكن نلاقي لبس هنا، بس معرفش الصراحة فيه ولا لا؛ لأني لسه مدورتش

ابتعدت براءة تماما عنه ثم اتجهت سريعا لتلك الخزانة وخلفها زين الذي يراقبها ببسمة واسعة ويقف خلفها. مدت براءة يدها لفتح الخزانة وقد استبد بها التوتر بسبب وقوفه خلفها، فتحت الخزانة بسرعة حتى تنتهي من هذا الأمر ولكن بمجرد فتحها للخزانة هزت

صرخة براءة ارجاء المنزل، بينما فتح زين فمه وعينه ببلاهة كاد يتحدث، لكن وجد براءة تنقض عليه تغطي عينه بقوة :

- غمض عينك اوعى تبص عشان هولع فيك

ثم نظرت للخزانة مجددا وهى تعض شفتيها بغضب شديد وهمست بشر في أذن زين :

- اوعى تكون شوفتهم لوحدك؟

تحدث زين بسرعة وكأنه مدان أمامها :

- والله اول مرة افتح الدولاب معاكي

نظرت براءة للخزانة مجددا وهى تكاد تبكي :

- عارف لو بتكدب عليا هولع فيك، ده الدولاب متلغم هدوم مش محترمة ، تلاقيك أخدت الأوضة دي عشان كده، وانا اللي فكرتك محترم.

توقفت عن الحديث بغيظ شديد فبرر زين وهو يحاول إبعاد يدها عن عينه :

- يا بنتي اخرسي شوية بقولك أول مرة افتح الدولاب كانت معاكي بعدين الأوضة مش انا اللي اخترتها دي كانت صدفة بس

نزعت براءة يدها من على عين زين لكن جذبت وجهه لينظر لها حتى تبعد نظره عن الخزانة :

- اول مرة تشوفها، أمال مين اللي جايب الحجات دي يا مزازنجي، اتاريك فاتح صدرك وتقولي متعود ابقى من غير تيشرت مع بابا، على ماما يالا

ثم تخصرت قائلة بغضب شديد :

- قولي بقى بابا يفرق ايه عني؟

رفع زين حاجبيه بعدم فهم ثم أجاب بغباء قليلا :

- بابا راجل وإنتِ ست

أشارت له ليصمت وهى تظن أنه يراوغها في الأمر :

- قولي هو بابا كيرڤي زيي

رفع زين حاجبه بتشنج فجأة فهم مقصدها، ابتسم بخبث وقرر أن يستمتع قليلا فقال وهو يقترب منها :

- هو فيه في حلاوة بابا ولا جمال بابا طب ده حتى عليه واحدة حبيبي بتجبني الأرض

فتحت براءة عينها بصدمة من حديثه تتخيل زين مع فتاة أخرى يغازلها فشعرت دون إرادة منها انها تشتعل، اكمل زين حديثه بخبث قائلا :

- طب تعرفي لما كنت بنام معاه كنت....

صرخت به براءة وهى تجذب شعره بعنف قائلة:

- ولما انت سافل ومترتبش جاى تحترم نفسك عندي يا معفن

ضحك زين بشدة محاولا نزع يدها من شعره قائلا :

- ايه يا براءة انتي بتغيري من عزيز ولا إيه

ازداد جذب براءة لشعره اكثر واكثر حتى صاح بوجع :

- يا بت اوعي هتغابى عليكي والله

لم تنزع براءة يدها من شعره، لذا مد هو الاخر يده وأمسك شعرها وشده بغيظ شديد وهو صرخا بها :

- والله لو ما سيبتي شعري لأقطعلك الشعرتين الكُرت اللي فرحانة بيهم دول

صرخت براءة بالمقابل وهى تجذب شعره أكثر :

- وانا اللي عشمت نفسي إنك محترم، اتاريك مشوفتش ثانية تربية يا زبالة

أخذ الاثنان يجذبان شعر بعضهم البعض كأطفال في الروضة، في نفس الوقت دخل وائل بسرعة ولهفة وقد ظن من صراخهم أن هناك من تهجم عليهم خاصة أنه وجد الباب مفتوح، ولكن بمجرد دخوله للغرفة

فغر فاهه مصعوقًا مما يرى أمامه؛ قائده الذي كان ومن معه يرتعشون فقط لسماع صوته يتشاجر الأن كطفل صغير.

انتبه زين أثناء مشاجرته لشخص يقف على الباب وفي ثواني قبل أن تعي براءة شئ كانت تقف خلف ظهر زين الذي صرخ بغضب مرعب :

- اطلع برررة

فزع وائل من صراخ زين الذي أخرجه من شروده فهو كان شاردا ولم يكن ينظر إليهم حتى لكنه خرج سريعا حتى لا يستفز غضب قائده اكثر، بينما بمجرد خروج كان جسد زين ينتفض من الغضب، عادت براءة للخلف برعب لرؤيته بتلك الهيئة، استدار لها زين وأشار بأصبعه محذرا وقد كانت عيونه تطلق شرار :

- لو لمحتك برة هقتلك سامعة، متتحركيش من هنا والمرة دي مش بهزر يا براءة فاهمة؟

هزت براءة رأسها بسرعة ورعب من هيئته، فرمقها هو بنظرة اخيرة مرعبة، خرج وأغلق الباب خلفه بعنف يبدو مظهره كما لو أنه على وشك قتل أحدهم.....

***

(الفصل العاشر)

انتفضت سوسيتا تشعر بدلو ماء يُقذف عليها شهقت بفزع وهى تنظر حولها محاولة معرفة أين هى لكن لا شئ، كل ما تراه هو ظلام فقط.

شعرت بإرتجاف يصيب جسدها حينما سمعت صوت يصدر من أحد الاتجاهات ولم تستطع أن تحدد من أين، ابتلعت ريقها بخوف وهى تسمع صوت أجش يتحدث بحدة قائلا :

- سوسيتا يا سوسيتا، تعرفي انك طلعتي حلوة اوي

اهتز جسدها برعب محاولة تبين مصدر الصوت ولكنها لم تعرف فأكمل ذلك الصوت قائلا :

- قولتيلي بقى إنك صاحبة عزيز باشا

ابتلعت سوسيتا ريقها وقالت بخوف :

- آه آه هو هو كان عندي عشان

لكن قاطع حديثها صوت صفعة رنّ صداه في المكان كله فقال ذلك الصوت بنبرة باردة :

- كدابة يا سوسيتا وأنا مش بحب الكدب

بكت سوسيتا برعب وهى تهتف بتوتر :

- ياباشا انا معرفش حاجة انا رقاصة وكل يوم بشوف واحد شكل ياباشا و

قاطعها مجد بنبرة مرعبة قائلا :

- وفخورة آوي يا روح امك، اسمعي يابت أنتِ، عينك دي مش هتشوف النور غير لو ما قولتيلي على مكان زين سامعة؟

تحدثت سوسيتا من بين شهقاتها :

- ياباشا والله ما اعرفه أساسا انا أعرف بس عزيز باشا؛ لاني قعدت معاه قبل كده واتكلمنا بس والله ما اعرف زين ده ولا اعرف مكانه

فجأة شعرت بشعرها يُجذب بحدة صرخت بوجع شديد وشعرت بأنفاس ذلك الشخص على رقبتها وهو يقول بهدوء مرعب :

- طب هصدقك يا سوسو بس أنتِ كمان تساعديني

هزت سوسيتا رأسها بإيجاب وهى تبكي بعنف :

- حاضر والله اللي أنت عايزه هعمله بس ارحمني ابوس إيدك

ابتسم مجد بمكر ثم مال على اذنها هامسا :

- كده تعجبيني

عند رائد كان يجلس على مقعده متذكرا ماحدث قديما بينه وبين زين، نفث دخان سيجارته ، ثم أعاد رأسه للخلف وهو يقول بهدوء مرعب:

- إنت بدأت اللعبة يا زين وانا اللي هنهيها.

ثم ضحك بشدة ينظر لهاتفه قائلا يتذكر ذلك المجهول الذي يعاونه في التخلص من زين :

- شكل حبايبك كتير يا هلالي

(عام ٢٠١١)

استيقظ زين من غفوته وجد نفسه في غرفة كبيرة كل جدرانها بالأبيض فعلم أنه في المشفى، نظر بجانبه يتأوه بوجع فوجد والده والذي كان يغفو بجانبه، ينتفض قائلا بخوف :

- زين حبيبي انت كويس يابني؟

تحدث زين بصوت ضعيف يشعر كما لو ان هناك مطارق تضرب رأسه بقوة :

- مؤمن، هو فين مؤمن؟

تحدث والده بهدوء مربتا على كتفه بحنان :

- هو بخير يا حبيبي شوية كسور بس هيكون بخير انت ادعيله

تحدث زين وشعور بالذنب يكاد يقتله :

- كان هيموت بسببي، كل ده بسببي، كان هيموت بسببي زى ما ماما ماتت بسببي.

انخلع قلب عزيز من صدره بألم مردداً:

- لا يا زين متقولش كده يا حبيبي امك ماتت لأن ده قدرها مش انت السبب أبدا

هبطت دموع زين وهو يهتف بوجع :

- لا انت بتضحك عليا عشان متعبش تاني بس انا عارف انها ماتت بسببي يابابا لو مكنتش كلمتها في اليوم ده تيجي تاخدني من المدرسة واصريت انها تيجي مكناش عملنا حادثة وماتت، كله بسببي، كل ما حد يقرب مني يتأذي

بكى عزيز بشدة على دموع صغيره الذي دخل في حالة اكتئاب طويلة منذ وفاة والدته، خرج منها بعد سنين من موتها والآن حادثة صديقه احيت بداخله ذلك الاحساس مجددا.

امسك عزيز يد ابنه هامسا بحب شديد :

- اسمع يا حبيبي، ربنا كاتب لكل واحد فينا قدر هيشوفه وما نحن الا اسباب لتنفيذ إرادة ربنا.

ابتسم زين بوجع ثم نظر للسقف قائلا ومشاهد ضرب صديقه تتلاحق امام ناظريه :

- وانا مش هعدي اللي حصل ده بسهولة يا بابا هاخد حق مؤمن من كل واحد اذاه حتى لو اخر يوم بعمري

(في الوقت الحالي)

خرج زين من الغرفة متجها للبهو يسبقه غضبه الذي يكاد يهدم هذا المنزل على رأس من به، بمجرد أن لمح وائل حتى عاجله بلكمة جعلته يسقط على الاريكة خلفه من قوة اللكمة ثم امسكه من ثيابه ورفعه جهته هامسا بنبرة خطرة :

- ازاى تتجرأ تدخل البيت كده؟

حاول وائل التحدث وتهدئته لكن لم يعطه زين فرصة فقد كان غضبه جحيمي، ابتلع وائل ريقه بتوتر وهو يحاول إبعاد يد قائده عن ثيابه قائلا بهدوء:

- اسمعني بس يا فندم انا والله ما شوفتش اى حاجة والله كنت سرحان وما خدتش بالي من حاجة

قربه زين منه بدرجة خطيرة ثم قال وهو يضغط على أسنانه بطريقة مخيفة :

- كنت سرحان؟؟ سرحان في إيه يا خويا؟

واخيرا استطاع وائل إبعاد يد زين عنه وقال وهو يُعدّل ثيابه :

- كنت والله سرحان يافندم ما اخدتش بالي من حاجة خالص ولا والله اعرف مدام حضرتك عاملة ازاى حتى، انا بس استغربت حضرتك مش اكتر

انتبه له زين ثم قال بتساؤل وهو يرمقه بجمود:

- استغربتني ازاى مش فاهم؟

قال وائل وهو يحك رقبته بحرج :

- أصل يعني احنا.. قصدي حضرتك دايما كنت خشن معانا ودايما كنت جد آوي وعمرك ما ضحكت غير قليل وبتكون ضحكة متكلفة، وعمر تقريبا ما شوفت من حضرتك تصرف يدل على انك انسان طبيعي

رمقه زين بشر وهو يرفع حاجبه، فاكمل وائل وهو يشير بيده معتذرا :

- مش قصدي والله اهانة يا فندم بس حضرتك اللي اقصده كنت زى الإنسان الآلي بالضبط، بس معاها.. احم قصدي مع المدام يعني كنت كأنك واحد تاني غير زين باشا اللي نعرفه

نظر له زين بدقة ثم قال راغبا في سماع ما يشغله هو منذ معرفته ببراءة :

- وضح كلامك آكتر

استشعر وائل هدوء قائده فقال بحذر وهو يصف له ما كان يفكر به :

- يعني يافندم حسيت انك انسان تآني مليان نشاط يعني لما كنت بتتخانق مع المدام كنت زى الطفل آه بتتخانق بس كنت مبتسم بسمة مشاغبة زى الطفل الشقي اقصد

ابتسم زين ساخرا من دقة ملاحظته وكيف لا وهو من دربه :

- كل ده وانت سرحان؟ أمال لو ركزت شويه كنت قولتلي عرض اكتافي كام؟

كبت وائل ضحكته هاتفا وهو يفرك رقبته بحرج :

- بعتذر يافندم بس تأكد إني والله ما لمحت طرف المدام وكمان لما دخلت كان الباب مفتوح و انا جاى عشان أبلغ حضرتك حاجه بس سمعت صراخ فجريت خوفا ان يكون فيه هجوم.

هز زين رأسه بتفهم ثم قال معقبا على حديثه:

- كنت جاى ليه صح؟؟

قال وائل بعدما اعتدل وهو ينظر لزين :

- كنت جاى انادي حضرتك انت والمدام تاكلوا معانا، أصل قبل ما نقابل حضرتك كنا في مطعم وطلبنا اكل دليفري وطبعا مفيش اكل حاليا في الشاليهات فقولت انادي حضرتك تاكل معانا

هز زين رأسه بتفهم ثم قال وهو ينهض :

- مفيش داعي انا كنت هاخد مراتي واروح اكل في اى مكان وكمان كنت عايز اجيب تليفون بدل اللي باظ

نهض وائل معترضا وهو يخرج هاتفه :

- ميصحش والله يا فندم انت ضيفي، بعدين حاليا عشان توصل للمدينة هتسوق كتير اوي ولغاية ما ترجع يكون الوقت اتأخر آوي والموضوع خطر شوية

رفع زين حاجبة فأكمل وائل بعدما تدارك خطأه :

- قصدي يعني يافندم الأفضل تستنوا لبكره هنروح نجيب كل اللي محتاجينه من المدينة بس دلوقتي أتفضل معايا ناكل لقمة سوا، وكمان المدام تتعرف على مراتي

ثم مد يده بهاتفه مكملا حديثه ببسمة ودودة :

- واتفضل حضرتك تقدر تتصل بكل اللي انت عايزه من عندي لغاية ما نجيب تليفون.

نظر له زين قليلا وهو يفكر أن الوقت تأخر كما أنه مرهق جدا على القيادة لوقت طويل، فمدّ يده واخذ الهاتف منه وهو يشكره ثم سريعا قام بتدوين رقم والده ورفع الهاتف على اذنه منتظرا الرد

مر وقت طويل لم يعلم أحد ما حدث مع زين وبراءة مازالت الأجواء مشحونة، وعزيز يكاد يفقد عقله فقد زاد قلقه على ابنه خاصة أنه لم يتصل به حتى الآن يطمئنهم،

كما أن فرج كان يشعر كما لو أنه على وشك فقدان عقله.

انتفض الجميع فجأة وهم يستمعون لصوت رنين هاتف قطع هذا الصمت المشحون، امسك عزيز هاتفه بسرعة كبيرة وهو يجيب دون أن ينظر للمتصل :

- الو

صمت قليلا وهو يضيق حاجبيه بتعجب ثم ابعد الهاتف ونظر له وبعدها اكمل الحديث بدهشة قائلا :

- سوسيتا؟؟ فيه حاجة ولا ايه

انتبه فرج لذلك الاسم هامسا بخفوت و شك :

- الرقاصة

تحدثت من الجانب الآخر سوسيتا وهى تنظر لمجد الذي كان يضع الهاتف على اذنها محذرا اياها أن تقوم بشئ غير الذي املاه عليها فتحدثت بنبرة جعلتها طبيعية :

- ايوة يا زيزو ازيك بقى كده متسألش على سوسيتا حبيبتك هونت عليك

زفر عزيز بضيق فهو حاليا رأسه مشغول بولده وزوجته الذين لا يعرفون أين هم حتى الآن :

- معلش والله يا سوسيتا كنت مشغول شوية الفترة دي ومعرفتش اتكلم

أشار لها مجد أن تقول له ما اتفقوا عليه فقالت :

- الا صحيح يا زيزو مش هترجع تسكن عندنا في العمارة تاني دي بقت مضلمة من بعدك والله انت والشاب اللي كان معاك ده

تحدث عزيز بحزن شديد متذكرا ابنه قائلا :

- معرفش والله يا سوسيتا إحنا بس روحنا هناك مؤقتا ومظنش هنرجع العمارة تاني

حاولت سوسيتا ان تستدرجة قائلة :

- ليه يعني يا زيزو هو إحنا مش قد المقام ولا إيه ولا يكونش ابنك مش راضي يجي معاك.

تحدث عزيز دون أن ينتبه قائلا بوجع :

- هو فين ابني بس يا سوسيتا ابني مش لاقيه ولا عارف ليه طريق وقلبي واجعني عليه حاسس أنه حصله حاجة

نظرت سوسيتا لمجد الذي أخذ يفكر في الأمر جيدا ولكن فجأة انتبه الاثنان على صوت صراخ يصدر من الهاتف لأحد وهو يصيح قائلا برعب :

- الحقني يا عزيز الرجالة بيقولوا انهم لقوا عربية غرقانة في الترعة اللي على أول البلد وشكلها لزين وبراءة ولقوا فيها جثث

صدحت صرخة شقت قلوب الجميع لامرأة تصرخ بوجع شديد :

- بنتـــــــــــــــــي

وايضا صوت اخر يبدو عليه الانهيار وهو يتحدث قائلا :

_ تعالى يا فرج قومني تعالي خدني وديني لبنتي خدوني عندها

صدح صوت عزيز وهو يصرخ برعب ويبدو أنه نسى الهاتف :

- زيـــــــــــــن

أغلق مجد الهاتف وقد نال ما يريد ثم ابتسم ناظرا لسوسيتا التي تبكي بشدة، اقترب منها هامسا :

- مبارك يا حلوة خلاص عملتي اللي عليكي وبكرة هتخرجي

تركها تبكي بشدة على ما سمعت لكن بمجرد سماعها لغلق الباب حتى ابتسمت بخبث وهى تقول :

- غبي

على الطرف الآخر عند عزيز، تحدث فرج في الهاتف وهو يقول ببسمة :

- ايه رأيك يازين باشا، محترفين

ضحك زين بصخب وهو يغمز لزوجته قائلا:

- تستحقوا أوسكار يا فرج والله وخصوصا ست الكل دي خلتني أشك أن الحمدلله ارتحنا من براءة

ضربته براءة بعنف على كتفه وهى تنزع منه الهاتف قائلة بمزاح :

- ايه يا فرج الجمال والعظمة دي يابني، ده انت لو مثلت هتقعد كريم عبدالعزيز في بيته

قال فرج وهو يرفع أنفه بتكبر :

- كريم عبدالعزيز مين ده يابنتي قولي هقعد بيومي فؤاد

ضحكت براءة بصخب عليه غير منتبه على ذلك الذي يرمقها بنظرات غامضة

اخذ عزيز الهاتف من فرج قائلا لبراءة ظنا انها تعلم بالأمر :

- براءة خلي بالك من علاج زين عشان هو بينسى على طول، خليه يخده بإنتظام والا هينتكس

جذب زين الهاتف بعنف من براءة وأغلق المكبر بتوتر :

- حاضر يا بابا متخافش انت وزى ما فهمتك هتعمل ماشي

تحدث عزيز ببسمة لتفكير ابنه :

- حاضر ياحبيبي خد بالك من نفسك ومن مراتك وابقى طمنا عليك

أجابه زين وأغلق الهاتف ثم استدار ناظرا لبراءة التي كانت ترمقه بنظرات متفحصة، سألته :

- علاج ايه ومرض ايه يا زين انت مريض بإيه؟

ابتسم زين وهو يحضر حجابها الذي كانت ترتديه سابقا ووضعه على رأسها قائلا :

- ده تعب عادي بس عزيز بيخاف عليا زيادة حبتين متاخديش في بالك ويلا زمان الناس مستنية

ثم سبقها وهو يغمض عينه بوجع وخلفه براءة ترتدي ثيابها التي أتت بها بعد أن جففتها جيدا وكانت تناظر زين بشك كبير وقد أصرت على معرفة امر علاجه ذاك.

ضحك رياض بشده على تلك التمثيلة التي قاموا بها منذ قليل ثم قال:

- لا بس ابنك ده دماغ والله

ابتسم عزيز وهو يهز رأسه ويتناول مشروبه :

- وبرضو الفضل يعود لسوسيتا في الأول لولا انها قدرت تتصل بينا من التليفون اللي بتخبيه دايما وفيه نمرتها اللي مع الزباين كنا وقعنا في الفخ

ابتسم له فرج ثم قال بهدوء شديد :

- رقاصة بنت حلال

ضحك عزيز عليه وتذكر حينما وجد رسالة على هاتفه من رقم غريب مكتوب بها انها سوسيتا وهذا رقم عملها واخبرته سريعا عما حدث لها علم عزيز ما سيفعله وحينما اتصل به زين اخبره بكل شئ عندها طلب منه زين أن يقوموا بالتمثيل أنهم اكتشفوا سيارته وبها جثثهم هو وبراءة وأن يتقنوا ادوارهم ويكونوا على اتصال معهم لذا أغلق المكالمة مع والده واتصل بهاتف فرج ليستمع لكل شئ يحدث وحينما انتهوا اخبرهم زين أن يقوموا بإعلان وفاتهم وإقامة سرداب عزاء لهم فلا بد أن رائد سيرسل من يتأكد من الأمر وهذا من شأنه ان يعطله قليلا عنه، حتى يجد زين دليلا قويا لإدانته.

خرج عزيز من شروده على مناداة فرج فانتبه له يقول :

- نعم يافرج كنت بتقول حاجة

ضحك فرج وهو يربت على كتفه قائلا :

- اللي واخد عقلك يتهنى بيه، ياسيدي بقولك يلا قوم ناكل لقمة سوا عشان يبقى عيش وملح نكون اوضتك جهزت

ابتسم له عزيز ثم نهض معه تجاه الطاولة فقال فرج وهو يساعد أخيه في الجلوس بفضول شديد :

- الا صحيح متواخذنيش يا عزيز في اللي هقوله

انتبه له عزيز جيدا أكمل فرج مشيرا لثياب عزيز قائلا :

- هو إنت لابس كده ليه يعني؟

نظر عزيز لثيابه التي تتضمن رسومات كرتونية فقال ببسمة غبية بعض الشئ :

- حلو صح، ده التيشيرت الأصلي لبات مان

تشنج فرج ثم قال وهو يرمق بعدم فهم :

- مش فاهم طب ليه لابسه الكرتون ده

ضحك عزيز بشدة وهو يتناول بعض الطعام قائلا :

- مش واضح ولا إيه؟ بات مان يعني الغموض والقوة كنت لابسة عشان اسيب انطباع قوي عند نسايب ابني

صمت فرج بريبة من ذلك الشخص بينما علت ضحكات رياض عليهم.

كانت حياة ترتب الفراش لنومها بعد مغادرة زين وبراءة لكن فجأة انتبهت لوائل الذي يعدل من وضع الوسادة وينام على الفراش فتخصرت وقالت بعدم فهم :

- ايوة أتفضل عايز ايه؟

نظر لها وائل قليلا يتذكر نصائح زين له بمحاولة التقرب منها :

- يزيد فضلك انا عايز انام بس

ضحكت حياة بعدم فهم ثم سحبت الغطاء عنه تشير لخارج الغرفة قائلة:

- تصبح على خير

ابتسم وائل بسماجة، ساحبا الغطاء عليه مجددا قائلا :

- وانتِ من اهل الخير يارب

فتحت حياة فمها ببلاهة من تصرفاته الصبيانية تلك قائلة بغيظ :

- ده سريري على فكرة

قال وائل وهو مازال مغلقا عينه بسخرية :

- ليه فيه تيكت باسمك عليه ولا يكونش هتاخديه معاكي وانتِ مروحة

فجأة انتفض جالسا على ركبتيه ليصبح في طولها قائلا بجدية وصوت عالي :

- السرير ده ملكية عامة يا ختي وانام عليه براحتي

هزت حياة رأسها ببسمة غاضبة ثم مدت يدها ونزعت الفراش والوسائد كلها وتركت الفراش بدون اى شئ قائلة :

- ودول بتوعي انا اللي نفضتهم وحطيتهم يا زوجي العزيز حابب تنام نام عليه ملط كده

ثم تركته وخرجت بينما هو ردد بتعجب :

- ملط؟؟

نظر للفراش يلوي فمه بغيظ :

- اتنيل انام ازاى دلوقتي

زفر بضيق ثم هبط من الفراش ذاهبا خلفها وجدها ترتب غرفة أخرى وتضع عليها كل شئ أخذته منه، ألقى جسده على الفراش بعنف، مما جعلها تنظرله بغيظ صارخة :

- هو تلزيق وخلاص مش سبتلك ام الأوضة التانية ولا هى تماحيك وخلاص

مد وائل يده وجذبها بحدة لتسقط جواره فقيدها جيدا في احضانه بعناد طفل صغير :

- بالضبط الله ينور عليكي هى تماحيك وخلاص واتخمدي بقى بدل ما اخلي ليلتك متعديش

نظرت له بشر فقال ببسمة مستفزة :

- عارفة لو طلعتي نار زى التنين من بقك برضو مش هتحرك من هنا ولا انتي هتتحركي من هنا وخلصنا.

لم تتمكن حياة من الفكاك من يده بسبب تقييده ذاك زفرت بضيق وهى تحاول الاعتدال في نومها قائلة :

- طب اتاخر (تحرك) شوية طب

ابتسم لها بسماجة قائلا :

- لا انا مرتاح كدة ويلا اتخمدي عشان بكرة ورانا لفة طويلة

كادت تتحدث فصرخ بها بحدة قائلا :

- قولت اتخمدي

اغمضت حياة عينها بسرعة وقد خشيت صوته العالي بينما هو تمتم بسخرية :

- ناس متجيش غير بالعين الخضرا

فتحت حياة عينها قائلة بسخرية لاذعة :

- خضرا مين يا كامل الأوصاف انت مرايات بيتكم كلها متكسرة

نظر لها ببسمة خبيثة وهو يقترب منها اكثر :

- أمال هما لونهم أيه طيب؟

نظرت لعينه قليلا بشرود ثم قالت دون أن تنتبه لخدعته تلك :

معرفش لونها عسلي فاتح آوي و

وأخير انتبهت لقربه الشديد منها فحاولت الإبتعاد عنه قليلا فقال هو بهدوء شديد وهو يضمها بحنان :

- نامي يا حياة، تصبحي على خير

نظرت له حياة لبعض الوقت حتى سقطت في النوم، بينما وائل كان ينظر للسقف بشرود :

- هحاول واعافر يا حياة، مش هسيبك بسهولة كده، مش بعد ما اتعلقت بيكِ

وضع زين رأسه على الفراش واغمض عينه يتنهد بهدوء شديد في انتظار زيارة النوم لاجفانه، ولكن يبدو ذلك صعبا خاصة أنه توقف عن أخذ ادويته منذ فترة حتى شعر أنه على وشك الأنهيار، ولكنه يقاوم بعناد غبى كعادته ويدعي انه بخير، كل الخوف أن يفقد السيطرة على نفسه امام براءة، وقتها ربما يأذيها بدون قصد منه، شرد قليلا في علاقته مع براءة التي بدأت تأخذ منحنى لا يعجبه البتة فهو منذ عشر سنين يمنع نفسه من إدخال أحد لحياته حتى يتجنب حدوث نفس الأمر له والذي

بدأ بفقدانه لوالدته، أصبح أمر فقدان الأقرباء هاجس يطارده فأضحى يعاني من فوبيا الفقدان يخشى أن يفتح قلبه لأحد ويأتي يوم يفقده، وقتها سينهار تماما، لكن تلك البراءة التي اخترقت ظُلمته بكل وقاحة تجبره على كسر قواعد كثيرة كان قد وضعها في حياته واقسم على ألا يكسرها، لكن يبدو أنها تدفعه نحو كسر القواعد تلك.

خرج من شروده لشعوره بحركة بجانبه على الفراش استدار بتعجب وجد براءة تنظر له مبتسمة بغباء :

- معرفتش انام قولت اجي نتساهر شوية

زفر زين بقلة حيلة فهذه الفتاة تتغلغل بداخله بدون إرادة منه، كلما قرر الإبتعاد وجدها تجذبه بكل عنف، سمع صوتها تقول :

- قولي بقى بتشتغل ايه؟؟

نظر لها بسخرية يتعجب عدم اكتشافها لعمله حتى الآن، اكملت هى دون أن تستمع لرده :

- متقولش هقول انا، تعرف شكلك كده بودي جارد

نظر لها واستدار بجسده ليقابلها قائلا بصوت منخفض قليلا :

- اشمعنا بودي جارد؟

نظرت له براءة نظرات متفحصة قائلة ببسمة :

- اكيد يعني مش راقص باليه بعضلاتك دي،ولا تصدق هيليق عليك

عض على شفتيه بغيظ شديد منها ثم مد يده وجذب رأسها اليه قائلا :

- تعرفي اللي مخليني مستحملك هو ابوكي لولا كده كنت قطعتك

ابتسمت بسخرية :

- متقدرش يابا، بعدين كلها اسبوع ولا حاجة وتخلص مني وقتها هتقول ولا يوم من أيامك يا براءة

صمت زين وقد شعر بشعور سئ جدا ودون وعى وجد نفسه يهتف :

- مين قالك اني هخلص منك بعد اسبوع ولا حتى بعد سنة؟

كرمشت براءة ملامحها بعدم فهم، كادت تتحدث فجذبها إليه زين قائلا وهو يغمض عيونه :

- نامي يابراءة انا تعبان وعايز انام

قالت براءة بتذمر شديد وهى تحاول الإبتعاد :

- بس انا مش عايزة انام

ضمها زين اكثر وهو يقول بسخرية :

- طبعا ما الكونتسية خدتلها ساعتين مقلوبة زى القتيل مش حاسة بحاجة، نامي عشان لو سمعت كلمة تانية هقوم ارميكي برة

صمتت براءة بضيق ثم تمتمت بغيظ شديد :

- قولت مش عايزة اتخمد هو بالعافية

بعد مرور عشر دقائق :

كان زين يحدق بالسقف لا يستطيع النوم بسبب حركات براءة أثناء نومها حيث كانت تضربه بقدمها ويدها بعنف كأنها تصارع أثناء نومها، ابعد زين يدها بعنف :

- جثة وانقلبت

ابتعد عنها وأخذ وسادة وغطاء وضعهم في الأرض ثم تسطح عليهم محاولا النوم، عندما بدأ يسقط في النوم شعر بثقل جسد براءة يسقط عليه بعنف ليخرج صرخة شقت هدوء الليل

فتح مجد الباب بعدما سمع صوت رائد يأذن له بالدخول، تقدم منه بهدوء وخطوات مدروسة ثم توقف قليلا مبتلعًا ريقه بتوتر قائلا :

- خلاص يا باشا ابن الهلالي ودع الدنيا خالص

ابعد رائد نظره عن تلك التي تجلس بجانبه ثم رمق مجد قائلا بتهجم واضح :

- شوفت جثته بنفسك

قال مجد يحاول أن يبدو واثقا من نفسه أمام رائد :

- لا بس اتأكدت من الموضوع بنفسي يا باشا والرجالة في البلد اكدوا على الموضوع وشافوا أهلهم بيجهزوا للعزا

ابتسم رائد باتساع شديد ناظرا لتلك التي تجاوره وهو يقول بصياح سعيد :

- وبكده نكون خلصنا تماما من ابن الهلالي، الموضوع يستحق الاحتفال

ابتسم مجد بشماتة يمرر يده على جرحه هاتفا براحة :

- واخيرا يا زين أخدت طاري منك

خرج مجد من شروده على صوت رائد :

- عايزك بقى تحكيلي اللحظة المجيدة دي من اولها لدلوقتي وازاى عرفت بخبر موته

اعتدل رائد في جلسته منصتا فبدأ مجد يقص عليه كل شئ منذ اختطاف سوسيتا وحتى لحظتهم هذه

ضيق رائد ما بين حاجبيه ثم قال ببسمة غامضة مرعبة :

- قولتلي سوسيتا دي رقاصة؟ هي فين بالضبط؟

قال مجد بتعجب لترك رائد الحديث المهم وسؤاله عن سوسيتا، ولكنه أجاب قائلا :

- آه رقاصة وهي في المخزن ياباشا

نظر رائد بجانبه لتلك الفتاة قائلا بخبث :

- واضح يا شوشو ان حبيبتنا سوسيتا لسه ليها في اللعب.

كان مايزال ذلك المجهول يحمل صورة لشاب مازال في بداية حياته يقف مع رجل كبير في السن قليلا يبدو والده

تحسس ذلك الرجل الصورة بيده وهو يقول بصوت مشحون بالحقد والغضب :

- مش هنسالك اللي عملته يا زين مش هنساه، وهدمرك واحسر قلبك على كل اللي حواليك هخليك تندم على اليوم اللي فكرت تلعب فيه معايا.

انهى حديثه وهو يضغط على إطار الصورة مستعيدا تلك الذكرى التي كانت بمثابة الشرخ الأول في حياته

(٢٠١١)

أصبح زين يتجنب مؤمن بطريقة مريبة، حيث كان يبتعد عن كل الأماكن التي كان من المحتمل له أن يقابله فيه، لم يعلم مؤمن السبب أبدا ولم تُتاح له الفرصة في سؤاله حتى أن كان زين يفر من أمامه اذا ما لقاه في طريقه صدفة، وتمر الأيام ويستمر الحال كما هو حتى بدأ مؤمن يعود لسابق عهد وبدأ الجميع يعود لنبذه وإحتقاره لظنهم أنه خرج من تحت حماية زين، ففي أحد المرات حينما كان مؤمن في طريقه للخروج من الجامعة وجد بعض الشباب يتوقفون أمامه، رفع بصره لهم وهو يناظرهم بنظرات متوترة بعض الشئ، شعر بأقتراب أحدهم منه فأخفى وجهه برعب ولكن عكس ما كان يتوقع وجد ذلك الشاب يضع يده على كتفه قائلا بخشونة :

- إيه يابني مالك مرعوب كده؟ أنا بس كنت عايز اعزمك على حفلة عندي

نظر له مؤمن بصدمه كبيرة وهو يشير لنفسه متسائلا:

- تعزمني؟ قصدك تعزمني انا عندك؟

ضحك ذلك الشاب بصخب هو ومن معه ثم قال ببسمة خبيثة :

- ايوة اعزمك انت عندي، ها هتيجي ولا لا؟

لو كان عرض عليه هذا العرض سابقا لربما كان يرفض الأمر ولكنه بعدما تذوق طعم الرفقة لم يسطتيع تقبل الوحدة، لذا وبدون تردد هز رأسه موافقا، ولم يكن يعلم ما ينتظره....

(في الوقت الحالي)

ابتسم ذلك المجهول قائلا بنبرة تثير الرعب في القلوب :

- قريب هنتجمع كلنا ونعمل حفلة كبيرة ووقتها اللي ليه حق هياخده، وحقي هاخده وبالفوايد

أنهى حديثه وهو ينظر لمجموعة من الصور امامه لأشخاص كثيرين تتوسطهم صورة زين

استيقظت براءة تنظر بجانبها فوجدت نفسها تنام أرضا بينما زين ينام على الفراش، كرمشت ملامحها بانزعاج قائلة :

- واحد معندوش ذوق راميني في الأرض ونايم هو على السرير ولا على بالة إن فيه انسانه جالها الغضروف تحت.

زفرت بغيظ ثم اتجهت له وكادت تناديه ليستيقظ لكن توقفت بخبث تبتسم ثم عادت للخلف بضع خطوات وفي ثواني كانت تركض بسرعة كبيرة جهته ناوية أن تقفز على معدته لكن لسوء حظها او لسرعة

بديهة زين، تحرك زين من مكانه فسقطت على الفراش تسمع ضحكات زين بجانبها وهو يقول :

- انسى يا ختي مش هسمحلك تكسري آخر فقرتين لسه في مكانهم.

رفعت براءة رأسها وهى تنظر له بغيظ قائلة :

- تصدق بالله إنت معندكش دم، يعني يا بجح سايبني نايمة على الأرض وانت نايم على السرير ومش بعيد تكون زقتني كمان.

فتح زين عينه بصدمة هاتفا :

- انتِ مش فاكرة اي حاجة خالص؟

اردفت براءة بتعابير متشنجة :

- مش فاكرة حاجة غير اني معرفتش انام منك طول الليل، نومك زفت

انهت حديثها تكاد تهبط من الفراش لولا أن امسكها زين من ثيابها من الخلف فكانت مثل الأرنب الذي يتم مسكه من أذنه، جز زين على أسنانه قائلا بغيظ :

- نعم يا روح اهلك مين ده اللي معرفش ينام طول الليل؟ ده انا كنت نايم في حلبة مصارعة ياختي، ده انا في حياتي عملت

تمارين كتير وقليل بس عمري ما حسيت بوجع العضم ده، انا مبقاش عندي غير فقرتين في مكانهم والباقي بقوا في معدتي

نظرت له براءة تحاول نزع ثيابها منه قائلة :

- اهو بقى لبّس اى عيب خلقي فيا، انا مالي فقراتك في معدتك ولا حتى في قفاك، روح اتعالج.

جذبها زين اكثر يضغط على أسنانه أثناء الحديث قائلا :

- لا ده انا ممكن اجيب تقرير من الطب الشرعي بميعاد تحرك الفقرات وابهدلك بيه

ثم هزها بقوة وهو يقول بعنف :

- ده انا مستبيع يابت، معنديش لا عزيز ولا غالي

نظرت له تقول ببسمة غبية :

- طب غالي وهنعديها إنما عزيز الراجل السكرة ده يهون عليك؟

هزها زين مجددا وهو يقول بتهكم وعنف :

- ده انا عندي استعداد اجيب لعزيز شخصيا تقرير من الطب الشرعي يثبت إن شللي أصبح وشيك على ايده

ضحكت براءة بغباء وهى تقول :

- طب طالما انت واصل ما تخليك جدع كده وتجبلي واحد تقرير طب شرعي يثبت أن فرج غير سوي نفسيا ولا يصلح لإدارة القرية ولا حتى إدارة حياته شخصيا ، أصل احنا بنضيع ياباشا والله، ونهايتي هتكون بسبب افكاره

ألقاها زين على الفراش بعنف، ينهض صارخا :

- يا الله يا ولى الصابرين، تعرفي تكة، انتِ فاضلك تكة معايا وهسحلك من هنا لقريتك على الاسفلت، وهروح اسلم نفسي للعصابة

صرخت به براءة بتهكم :

- جرا ايه يا خويا مالك صاحي وانت طايح في الكل كده، بعدين متفكرش اني هسمح بالظلم والتحكم ده كتير ؟

اخرج زين رأسه من باب الحمام قائلا ببسمة باردة :

- آيوه انا ظالم ومعنديش دم وطايح في الكل

نهضت براءة من الفراش ثم خرجت من الغرفة وهى تقول بصوت عالي قاصدة أن يصل له :

- ولابد عن يوم محتوم تترد فيه المظالم، ابيض على المظلوم اسود على كل ظالم

سمعت زين من الداخل يقول بصوت عالي :

- معلش لو مش هخرجك من مود ذئاب الجبل ده، ممكن تجهزي عشان هنخرج نشتري اللي ناقصنا

تحدثت براءة من الخارج بفرحة لأنها ستخرج :

- اجهز ايه هو انا عندي حاجة أساسا، انا مستنياك في العربية

هز زين رأسه بيأس ثم وقف أسفل رذاذ الماء يفكر بأن الجولة الأولى من هذه اللعبة انتهت ، وانتهى معها وقت المراوغة والان حان وقت المواجهة.

اتسعت بسمته المخفية قائلا بفحيح ينذر بما قادم :

- عشت في ظلم وضلمة طول عمري جه الوقت عشان اعيشكم في جزء منه، وبدأ العد التنازلي.....

صدر صوت مزعج بسبب فتح الباب الحديدي فدخلت منه إضاءة ازعجت سوسيتا تحاول أن تغمض عينها لكن صوت تلك الخطوات التي تسير جهتها جعل جسدها ينتبه لها بشدة، في ثواني شعرت بأنفاس تلفح وجهها محدثة قشعريرة مرعبة بجسدها، ولكن صوت آتي من الماضي اخترق حواسها وجعلها تكاد تسقط ارضا من الفزع، خرجت همستها مرتجفة تردد اسمه :

- رائد؟؟

صدحت ضحكات رائد ليتردد صداها في تلك الغرفة الخاوية فأرتجف جسد سوسيتا تقول برعب ملتفتة حولها :

- رائد، انت هنا؟؟ اكيد بحلم، فوقي اكيد حلم

ازدادت الضحكات اكثر ثم خرج صوته مرعبا وهو يقول :

- والله زمان يا سوسيتا، شايف انك لسه فكراني اهو

تحدثت سوسيتا باشمئزاز وهى تغمض عينها بخوف :

- وانا هنسى واحد زيك ازاى يا رائد باشا، ده حتى تبقى عيبة في حق نجاستك

ضحك رائد أكثر عليها ثم ثواني كانت صفعته تسقط على وجهها بعنف جاذبا شعرها :

- سوسيتا الصغننة كبرت وبقى ليها لسان، فين ايام ما كنتي بتبوسي ايدي عشان شمة يا معفنة

بصقت سوسيتا في وجهه مشمئزة :

- ما هو الطيور على أشكالها تقع ياباشا عشان كده كنت تعرفني، ما هو مقلب زبالة واحد اللي جمعنا

مسح رائد وجهه ثم اغمض عينه بغضب لكن فتحها فجأة وهو يقول:

- شكلك حابة تعيدي ايام زمان، بس وماله يا حبي هنعيدها

أنهى حديثه يترك شعرها بعنف خارجا من الغرفة مغلقا اياها، وهنا انهارت سوسيتا تعلم جيدا أن القادم من حياتها لن يكون هين البتة.

بكت تتذكر حياتها السابقة التي دفنتها مع ذلك المقيت رائد ، شردت بذهنها نحو ما حدث من قبل عشر سنوات

(عام ٢٠١١)

دخل مؤمن للحفلة بتوتر شديد يتلفت حولة محاولا ألا يظهر خوفة ولكن مرت دقائق ولم يتحدث إليه أحد فقرر الذهاب ، حيث أنه كذب على عائلته واخبرهم أنه ذاهب للخارج ليقابل زين ولم يعلم والداه أنه لم يرى زين منذ الحادث.

كاد يلتفت خارجا من الحفل لولا اصطدامه بفتاة فأسقط المشروب على فستانها.

عاد مؤمن للخلف برعب وخجل وعدل نظارته وهو يقول بأسف :

- انا اسف والله ما اخدتش بالي

نظرت له الفتاة ببسمة لطيفة ثم قالت وهى تمسح ثيابها :

- لا عادي محصلتش حاجة

لاحظت نظراته التي تدور في المكان بحيرة شديد لذا ابتسمت له هاتفه ببسمة تخفي الكثير :

- متعرفناش

نظر لها مؤمن بتوتر يحاول الذهاب من هنا :

- انا مؤمن

ابتسمت الفتاة بمكر شديد وقد حددت الهدف :

- وانا سوسيتا

خرجت سوسيتا من ذكرياتها الأليمة تقول بغضب ورعب كبير :

- غبي يا رائد راجع تفتح في الجروح القديمة وهتضيع نفسك وتضيعني معاك

صمتت بتعب ولكن فجأة فتحت عينها بصدمة كبيرة وهى تقول :

- معنى وجود رائد هنا إن زين صاحب مؤمن هو هو زين ابن عزيز، يا نهار اسود ..

سجن الظلم.. سجن الكره.. سجن الندم.. سجن الوحدة وسجن الماضي..

مازلنا نشيد المزيد والمزيد من السجون وكأنها اضحت إحدى ضروريات الحياة، لا نستطيع بدونها.

نجلس هناك في أقصى أركان السجن نرمق بقعة الضوء التي تسللت خلسة من نافذة السجن، نتساءل هل يمكن أن تتغلغل في السجن لتصل لقلوبنا؟

هل نسمح أن يتم كسر قوانين السجن العتيقة بهذه البساطة...

هل نقبل هذا الضوء ام نهرع بفزع لنغلق تلك النافذة قاطعين على شعاع الضوء طريقه؟؟

هل نتقبل الضحكة ام نكتفي بالبكاء؟؟

هل نقبل البراءة أم نفضل السجن؟؟

لم تنتهي حكايتنا عند هذا الحد بل يمكنك القول اننا بدأنا الرحلة للتو، رحلة مليئة بمغامرات لم تكن لتتخيلها يوما لذا لا ترهق نفسك بالتفكير فلن يصل تفكير لما سنعيشه في الفصل الثاني من حكايتنا.

براءةظُلمه2 .. قريبا

تمت بحمد الله